A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

UNIVERSITY
LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى

تفسير الاناجيل المقدسة

التى تقرأ فى أيام الآحاد والأعياد

حسب طقس الكنيسة الاسكندرية

المعهد الاكليريكى الفرنسيسكانى الشرقى
الجيزة - مصر

القديس مُرقس الإنجيلي

كاروز الديار المصرية

الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى

هدية المحبة والإخلاص
لصديقي العزيز السيد ميشيل
زنوب الخبير الزراعي والصحافي الكبير
الأب لويس برسوم

220
B282tA
C.1

تفسير
الأناجيل المقدسة
التى تقرأ فى أيام الآحاد والأعياد
حسب طقس الكنيسة الاسكندرية

المعهد الاكليريكى الفرنسيسكانى الشرقى
الجيزة ـ مصر

Nihil obstat quominus imprimatur
P. Ambrosius Ridolfi, O.F.M. Superior

مطبعة مخيمر بشارع فاروق تليفون ٤٧٠١٩٣
١٩٥١

بطريركية
الاسكندرية وسائر الكرازة المرقسية
للأقباط الكاثوليك
كوبرى القبة — مصر

Li26-325

كوبرى القبة فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥١

حضرة ابننا المبارك الأب لويس برسوم
الراهب الفرنسيسكانى القبطى

غب إهدائكم السلام والبركة ، لقد تصفحنا بارتياح مجموعة التأملات والمواعظ ، التى وضعتموها لأيام الآحاد والأعياد ومختلف المناسبات ، حسب طقس كنيستنا الإسكندرية .

وإنا نثنى على غيرتكم الكهنوتية ، ونبارك مجهودكم الطيب ، ولنا وطيد الأمل فى نعمة الرب يسوع أن يعود عملكم لفائدة الكهنة الرعاة وبنيان المؤمنين .

فلا يستطيع أحد أن يضع أساساً متيناً وثابتاً لقيام الفرد والعائلة والوطن والمجتمع البشرى غير يسوع المسيح فادينا ومعلمنا الإلهى ، فمنه نتلقى كلمة الحياة ، وبه نكون ونحيا ونعمل .

وإنا نحض أبناءنا الأعزاء على تشجيعكم بالإقبال على مطالعة مجموعتكم ونشرها بين المؤمنين .

وعربوناً لمحبتنا الأبوية نمنحكم عن طيبة خاطر البركة الرسولية .

✝ مرقس الثانى
البطريرك

مقدمة

وبعد حمد الله ، نقول إننا وإن وضعنا هذا الكتاب فى الأصل من أجل فائدة أبناء كنيستنا الاسكندرية إكليروساً وشعباً ، لافتقار هذه الكنيسة لكتاب حديث شامل يشرح النصوص الإنجيلية ، التى تقرأ على الشعب فى أيام الآحاد والأعياد ، لم تكن نيتنا قصر فوائده على بنى القبط وحدهم ، لأن الإنجيل مهما نظمت قراءاته وفصوله حسب إحتياج طائفة من الطوائف ، فهو هو إنجيل الجميع ، إنجيل كل زمان ومكان ، الذى يجب أن تهتدى بهديه كل الأمم والطوائف من كل لسان وقبيلة .

وعلى ذلك نقول إن هذا الكتاب هو كتاب القبط كما هو كتاب الروم . وهو كتاب الكاثوليكى كما هو كتاب الإخوة الأرثوذكسى والبروتستانتى . . وبذا فهو كتابك الخاص ، أيها القارىء الحبيب ، أياً كانت طائفتك وعقيدتك . كتبته لك خصيصاً لتتذوق جمال كلة الله المحيية والتعاليم الإلهية وهى نور وحياة .

واعلم أنك لن تقرأ هذا الكتاب دون ثمرة تجتنيها . على أن تقرأه بروح الله ، بتؤدة وهدوء . وإنى أوصيك من الآن بأن لا تقرأه دفعة واحدة ، بل يجب أن تكتفى كل مرة بقراءة فصل منه أو بعض الفصل . إذ ان الفائدة ليست فى كثرة ما يؤكل ، بل فى هضم مايؤكل . وهذا الكتاب ينبغى أن تأكله أكلاً ! ولكن على شرط أن تهضم أولا بأول ما تأكله منه .

على أنى لم أكتف باجتلاء نص الإنجيل فى معنيه الحرفى والروحى ، بل واجتهدت فى استخلاص ما أمكن استخلاصه من تعاليم نظرية تخص العقيدة ،وأدبية تخص السلوك والعمل .

ولا أدعى أن جميع ما فى هذا الكتاب من تفاسير وتعاليم خلاصية هو من جعبتى أوأنه غير مقتبس ، بل إنى لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت إن معظم هذه التفاسير والشروح ماهو إلا صدى صادق لتعاليم آباء الكنيسة القديسين ومعلميها العظام ، القدماء منهم والمحدثين .

وقد تعمدت فى كتابى هذا الإيجاز ، إلافى النادر ، عملا بالمثل الجارى ، إن خير الكلام ماقل ودل. ولاسيما أن نطاق الكتاب المحدود وإتساع المادة لم يسمحا لى بالاسهاب والاطناب .

وصية أخيرة للقارىء الكريم هى أن يقرأ هذا الكتاب ، لا بروح الباحث الذى يطلب العلم للعلم ، بل بتلك الروح المسيحية الحقة ،التى تطلب المعرفة للحياة ، والحياة الأبدية.

هذه هى الحكمة التى يريد يسوع أن تكون رائدنا. إذ كما يقول لاسمه السجود : «فكل من يسمع كلامى هذا ويعمل به يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته على الصخر . فنزل المطر وجرت الأنهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لأن أساسه كان على الصخر . وكل من يسمع كلامى هذا ولا يعمل به يشبه رجلاً جاهلا بنى بيته على الرمل . فنزل المطر وجرت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً »

(مت ٧ : ٢٤ — ٢٧)

المؤلف

ملحوظة :

إن نص الإنجيل فى هذا الكتاب لم نأخذه عن كتاب القطمارس القبطى ، بل عن الترجمة العربية للكتاب المقدس طبعة الآباء اليسوعيين ببيروت . وهى الطبعة الأكثر إنتشاراً بين المؤمنين .

الأحد الأول من توت

عظمة المسيحي ورسالته

فصل من إنجيل لوقا ٧ : ٢٨ — ٣٥

فانى أقول لكم إنه ليس فى مواليد النساء نبى أعظم من يوحنا المعمدان ، لكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه . فلما سمع جميع الشعب والعشارون برروا الله معتمدين بعمودية يوحنا . وأما الفريسيون ومعلمو الناموس فرفضوا مشيئة الله فيهم إذ لم يعتمدوا منه . وقال الرب بماذا أشبه رجال هذا الجيل ومن يشبهون . يشبهون صبياناً جلوساً فى السوق يصيحون بعضهم ببعض قائلين زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا . جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فقلتم إن به شيطاناً وجاء ابن البشر يأكل ويشرب فقلتم هوذا إنسان أكول وشريب للخمر ، محب للعشارين والخطأة . وتبرأت الحكمة من بنيها .

« فانى أقول لكم إنه ليس فى مواليد النساء نبى أعظم من يوحنا المعمدان ، لكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » (لو ٧ : ٢٨)

بعدما قرَّظ سيدنا يسوع المسيح يوحنا المعمدان ، أو بالحرى رسالته كنبى لاندَّ له فى مواليد النساء ، شاء أن يكشف لنا عن سمو دعوتنا ، نحن معشر المسيحيين ، مستدركا على تقريظه المذكور ، مافحواهُ : إنَّ دعوة الإنسان للمسيحية هى دعوة أسمى وأشرف من دعوة يوحنا المعمدان نفسه لإعداد شعب إسرائيل لقبول المخلص !

هذا هو معنى الآية الصحيح ، كما فهمها معظم الآباء القديسين وملافنة البيعة المقدسة .

وعلى ذلك فان يسوع لا يُقارن هنا بين قداسة يوحنا والأنبياء الذين سبقوهُ ، كما وإنَّ قوله : « والأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » لا يعنى مطلقاً أن كل مسيحى هو أعظم قداسة من يوحنا .

إنما المقصود هو إنَّ رسالة المعمدان ، التى تفوق بمراحل رسالة كل أنبياء العهد القديم ، هى دون رسالة المسيحى . لأنَّ عضوية هذا الأخير فى الكنيسة ، جسم المسيح السرى ، تؤهله للقيام بأعظم أعمال الغيرة الرسولية . الأمر الذى لم يكن فى طاقة أتباع الشريعة العتيقة ، ومنهم يوحنا المعمدان خاتم أنبياء العهد القديم .

رسالة يوحنا المعمدان :

وما من شك فى فضل رسالة يوحنا على رسالة كل أنبياء العهد القديم : فبينما بشَّر هؤلاء بالمخلص عن بُعد ، وعن بعض أوجه حياته فقط ، بشَّر هو به عن قُرب ، بل وحاضراً . مشيراً إليه بالبنان قائلا : « هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم » (يو ١ : ٢٩) . معلناً هكذا بصراحة أنه مخلص العالم المنتظر .

وهو الذى قال فى تفصيل حياته : « هذا هو الذى قلت عنه إنهُ يأتى بعدى رجل قد جُعل قبلى لأنه أقدم منى » (يو ١ : ٣٠) . مشيراً بذلك إلى صفة يسوع الإنسانية والإلهية معاً .

إنَّ رسالة الأنبياء جميعها يمكن تلخيصها فى كلمتين : تقويم إعوجاج أمة اليهود ، وحثّ الشعب على الرجاء ، وإعداده لقبول المسيح المخلص .

وقد قام يوحنا المعمدان بهذه المهمة المزدوجة خير قيام . ولا سيما إنَّ نظام حياته الصارم ، وتقشفاته غير العادية أكسبته سلطاناً على الشعب ، قلما نجد له مثيلا بين الأنبياء . فرد العصاة إلى حكمة الأبرار ، وأعد للرب شعباً كاملاً (لو ١ : ١٧) .

وهو الذى كان يردد منادياً على رؤوس الملأ شهادته ليسوع : « وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤) .

وقد مدح المخلص غَيرة السابق ونجاح رسالته بقوله : « ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونه » (مت ١١ : ١٢) .

رسالة المسيحى :

أمَا رسالة المسيحى فتفوق رسالة يوحنا المعمدان ، لأنها لا تختلف فى جوهرها عن رسالة الكنيسة ، ألا وهى تقديس النفوس .

ويقوم المسيحى بهذه المهمة النبيلة ، والعمل الجليل ، بقوة « كلمة الحق » أى بتعاليم الإنجيل المقدَّسة . تلك التعاليم التى متى سرنا بمقتضاها بلغنا أسمى درجات

الكمال والقداسة ، وعملنا فى الوقت نفسه على تقديس القريب ، الذى إذ يرى أعمالنا الصالحة ينقاد بأكثر جاذبية لقبول هذه الكلمة، ويمجد الله أبانا السماوى .

هذا إلى ما أُعطى للمسيحى من مواهب سنية نذكر منها موهبة المواهب ، سرّ القربان الأقدس ذلك السر الذى بواسطته نتحد بيسوع المسيح ، رب النعمة والمجد وكل موهبة صالحة ، إتحادًا حقيقياً سامياً ليس بعده إتحاد .

هذه هى الغبطة وهذا هو الشرف ، اللذان يحق للمسيحى أن يفتخر بهما على الدوام ، غبطة وشرف لم يحظَ بهما لا يوحنا المعمدان ، ولا أحد من الأولين على الإطلاق .

وحيث إن عظمة المسيحى الحقيقية هى فى اتحاده بيسوع المسيح فى سر القربان الأقدس ، فغنى عن البيان أننا من غير هذا السر ، نشبه جنوداً عُزلا وقفوا فى مقدمة الصفوف دون سلاح فى أيديهم !

وعليه فهذا المسيحى الذى يطلب القداسة والكمال — وتوجد درجة من الكمال والقداسة مدعو إليها كل فرد من المسيحيين — بمعزل عن التناول ، والتناول بكثرة وعن استحقاق ، فهو يطلب المحال ، أو كالذى يجرب الرب إلهه طالباً المعجزات عبثاً .

لأنه كيف نستطيع أن نحمل صليبنا كل يوم ونتبع يسوع المسيح دون أن نتغذّى بالقوت الروحى قوت الأقوياء ، الخبز الواهب الحياة للعالم ؟ فقد قال ، لاسمه السجود ، بصريح العبارة : « مَن أراد أن يتبعنى فليكفر بنفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » (لو ٩ : ٢٣) .

وخلاصة القول إنّ الذين يهملون الاشتراك فى جسد الرب والدم الكريم ، هؤلاء بالحقيقة ليسوا على شىء من عظمة أبناء الملكوت ، المختارين للسعادة الأبدية . بل وأمثال هؤلاء المسيحيين يُعرّضون ، ولا شك ، أنفسهم لخطر هلاك مبين .

أما اعتراض البعض : بأنهم على غير استحقاق من قبول هذا السرّ ، فهذه

حجة واهية . إذ لا يوجد بين خلق الله مَن هو مستحق ، بحصر القول ، لقبول مثل هذا السر العظيم .

كما وانه لا عذر حقيقى يمكنه أن يعفى الإنسان من أن يكون ، على الدوام ، فى حال النعمة والبرارة، تلك الحال التى لابدّ منها للتناول باستحقاق .

وبالإيجاز فان المسيحى الذى يختلق الأعذار ليتهرب من المناولة ، هو انسان قد خان دعوته والرسالة السامية التى أؤتمن عليها . ولذا فلا نصيب له مع يسوع المسيح .

وهو فى اعتبار الله كالميت ، لا يُرجى منه منفعة . قال يسوع : « الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه ، فلا حياة لكم فى أنفسكم » (يو ٦ : ٥٤)

وكما إن الميت يُوارى التراب ولا إقامة له بين الأحياء ، كذلك المسيحى الذى يضع نفسه فى حالة لا تمكنه من تناول الأسرار المقدسة ، فلا اقامة ولا شركة له ممكنة فى جماعة القديسين .

٭٭٭

ولنستخلص الآن نتيجة ما تقدّم : انّ المسيحى الحقيقى هو مَن يجدّ فى اقتفاء آثار المسيح معلمه ، يتخلق بأخلاقه ، ويتبع وصاياهُ .

انّ مثل هذا المسيحى هو عظيم حقاً . وانّ عظمته هذه تفوق من عدة وجوه عظمة يوحنا المعمدان والأنبياء كافة .

وهو عظيم فى الواقع : لأنه عضو حى فى جسم المسيح السرى ، ولأنّ دعوته الى المسيحية تؤهله لقبول كل المواهب والنعم الروحية الممكنة التى ترتفع به الى أسمى درجات الكمال .

ثم هو عظيم لأنه باتحاده المتواصل بيسوع المسيح فى سرّ القربان الأقدس يُصبح صورة حية للسيد المسيح. فيمجد الله ويبنى قريبه بمثله الصالح ، وبعد جهاد لا يدوم طويلاً ، يذهب ليملك مع المسيح مخلصه الى أبد الآبدين .

الأحد الثانى من توت

محبة الله والقريب

فصل من إنجيل لوقا ١٠ : ٢١ — ٢٨

وفى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أعترف لك ياأبت رب السماوات والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للاطفال نعم ياأبت لأنه هكذا حسن لديك . كل شىء قد دفع إلى من أبى وليس أحد يعلم من الابن إلا الاب ، ولا من الاب إلا الابن ومن يريد الابن أن يكشف له . ثم التفت إلى التلاميذ وقال طوبى للعيون التى تنظر ما أنتم تنظرون ، فانى أقول لكم إن كثيرين من الأنبياء والملوك اشتهوا أن يروا ما أنتم راءون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا . وإذا واحد من علماء الناموس قام وقال مجرباً له يامعلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له ماذا كتب فى الناموس كيف تقرأ . فأجاب وقال : أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك وقريبك كنفسك . فقال له :أجبت بالصواب اعمل ذلك فتحيا .

إن هذا السائل المتطفل ليس هو أحد العامة ، بل عالم من علماء الشريعة ، ولذا فإنّ يسوع يردُّه الى الشريعة نفسها ، ليعطى هو بذاته الجواب الصحيح الذى يعرفه، والذى قد سأل عنه المعلم الالهى مجرباً .

ولذا فإنّ يسوع لما سأله بدوره قائلا : ماذا كتب فى الناموس، كيف تقرأ ؟ أجاب من فوره وقال : أحب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك ، وقريبك كنفسك . فقال له يسوع : بالصواب أجبتَ . اعمل ذلك فتحيا .

يبدو من ذلك واضحاً أنّ الأعمال الصالحة ، المطلوبة من الإنسان ، ليرث الحياة الأبدية هى : أن يحفظ وصايا الله ، تلك التى تتخلص جميعها فى محبة الله والقريب .

وعليه فمن أحبَّ الله بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته وكل ذهنه ، أى بمحبة حقيقية صادقة ، وقريبه كنفسه ، فقد أتمّ كل ما فى الوصايا . إذ كما يقول السيد المسيح : « بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٤٠)

فلا غرو ، أنّ مَن يثبت فى محبة الله ، فإنه يبذل قصارى جهده ليتمم كل وصاياهُ ، متحاشياً كل ما من شأنه أن يغضبه تعالى . وبالمثل من كانت فيه محبة القريب ، فإنهُ يتجنب كل ما يُسيء إلى هذا القريب ويضرّ به .

ومن الفضول القول إنّ محبة الله تُلازم على الدوام محبة القريب ، ومحبة القريب محبة الله . إذ لا محبة لله حقيقية من غير محبة القريب ، الذى يجب أن نحبه من أجل الله . ولا محبة قريب حقيقية ، بالمعنى المسيحى ، من غير محبة الله .

على أنه يجب أن نحب الله ، لا لأنه غايتنا القصوى فحسب ، بل ولأنهُ مُبدىء حياتنا أيضاً ، الخالق العظيم الذى وهبنا الوجود والكيان . ومع الوجود والكيان مالا يُحصى من المواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة .

فهذا العقل ، وهذه الإرادة الحرة ، كل قوى النفس والجسد ، الصحة والجمال وجميع ما نملك من خيرات مادية ومعنوية وروحية ، ثم مواهب النعمة والإيمان : كل هذه هى ، ولا شك ، شعاع من جود الله غير المتناهى ، تضطرنا الى محبته تعالى

ثم يجب أن نحبه تعالى ، فوق كل اعتبار آخر ، لأنه الصلاح بالذات ، الحاوى كل الكمالات دون حدٍ أو حصر ، ينبوع كل خير وصلاح ، المستحق كل كرامة ومحبة .

أما القريب فيجب أن نحبه لأنه أخونا ، خُلق مثلنا على صورة الله ومثاله . فنحن جميعاً أبناء أب واحد هو الله ، خالق وربّ الكل ؛ وأعضاء أسرة واحدة هى الألفة البشرية ؛ سُلالة أبوين بعينهما هما آدم وحواء ، أصل الجنس البشرى ؛ لنا مخلص واحد ، يسوع المسيح الوسيط بين الله والناس ، مات وبالحرى قام من بين الأموات فداءً عن الجميع ؛ ودعوة خلاصية واحدة موجهة الى جميع البشر على حد سواء : الإيمان بابن الله لبلوغ الحياة الأبدية .

كيف نحب الله :

وبما إنّ الله هو مُبدىء حياتنا وغايتنا القصوى ، والصلاح بالذات، المستحق كل كرامة ومحبة ، فيجب أن نحبه تعالى محبة خاصة فريدة ، عبّر عنها الناموس

شريعة الله المقدسة ، وأثبتها السيد المسيح بقوله : « أحبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك » .

١ — « أحبب الرب إلهك بكل قلبك» بمعنى أنه يجب أن نحب الله محبة صادقة لا غش فيها ، دون قيد أو شرط ، محبة سامية كلية .

إنّ محبتنا للقريب قياسها محبتنا لأنفسنا . أما الله فيجب أن نحبه من غير قياس ، فوق كل شيء ، لا بل وفوق أنفسنا ذاتها .

إنّ القريب ، لو جاز هذا التعبير ، يجب أن نحبه ببعض قلبنا ، أما الله فيجب أن نحبه بكل قلبنا : « أحبب الرب إلهك بكل قلبك » .

٢ — انّ محبة الله كما تُوجب علينا أن نحبه تعالى بكل قلبنا ، توجب علينا كذلك أن نحبه بكل نفسنا : « وبكل نفسك » أى لا بكل عواطفنا وجوارح قلبنا فحسب ، بل وبكل قوانا العقلية أيضاً .

إذن بمحبة سامية يشترك فيها العقل وإرادة الإنسان الحرة . العقلُ بمعرفة الله المعرفة الحقة ، والإرادة بانعطافها الشامل نحوهُ تعالى ، وهو الخير الأعظم ، غايتنا وموضوع سعادتنا القصوى الأخيرة .

٣ — غير أن محبة الله يجب أن تكون محبة عملية أيضاً .ولذا بعدما قال:«أحبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك » أضاف : « وبكل قدرتك » أى يجب علينا أن نحبه تعالى بكل قوانا ومواهبنا ، سواء أكانت روحية أم جسدية ، وبقدر استطاعتنا .

فلا نكتفى بمجانبة الشر ، والابتعاد عن الخطيئة وأسبابها ، وألا نتعدى على وصاياه تعالى كبيرها وصغيرها ، بل ويلزم أن نجتهد فى ترويض نفوسنا على ممارسة الفضائل المسيحية كافة ، وعمل الخير كله كاملاً غير منقوص . وذلك على مدى الأيام وإلى آخر نسمة من حياتنا .

ينتج عن هذا ، أنّ محبتنا لله يجب أن تكون سخية ونشيطة ، مستعدة دوماً لتجود بكل ما لديها ، باذلة فى سبيل محبته تعالى كل غال ورخيص . فدأب المحبة

العمل ، والعمل على الدوام لمرضاة حبيبها وموضوع مسراتها .

٤ — إنّ وصية محبة الله ، وهى أولى الوصايا وأعظمها ، كما تُوجب علينا أن نحبه تعالى بكل قلبنا وكل نفسنا وكل قدرتنا ، كذلك تُوجب علينا أن نحبه بكل ذهننا « وبكل ذِهنك »[١] أى إنّ محبتنا لله عز وجل يجب أن تكون على الدوام ، ساهرةً يقظى ، بحيث إن موضوع حبها : ألا وهو الله المحبوب منها للغاية بكل القلب وكل النفس وكل القوى ، لا يجب أن يغيب عنها لحظة واحدة ، فتستطيع بذلك أن تسلك أمامه وتكون كاملة : « اسلك أمامى وكن كاملاً » (تك ١٧ : ١) .

وعلى ذلك فانّ كل اتجاهاتنا يجب أن تكون موجهة نحو الله ، كنحو مركزها ومحورها الأصيل الأوحد . بحيث إنّ كل حركاتنا وسكناتنا ، أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا ، لا يجب أن تكون لها غاية أخرى سوى محبة الله وطلب مرضاته .

كيف نحب القريب :

بيد أن محبة الله هذه لا تعتبر صادقة ، ولا يمكنها أن تفيدنا الخلاص الأبدى إلا إذا كانت مقرونة بمحبة القريب ، للصلة الوثيقة بين الوصيتين من حيث موضوعهما الأوَّلى ، ألا وهو الله ، الذى يجب أن نحبه من أجل ذاته ، والقريب من أجله تعالى .

إنما محبة القريب هى محبة الله فى أعز مخلوقاته ، وهم البشر أجمعون ، الذين خلقهم على صورته ومثاله ، وبذا فهى جزء لا يتجزأ من محبتنا لله عزّ وجلّ .

وقد فُرض علينا أن نحب القريب من أجل الله ، لأننا إن لم نحبه من أجله تعالى ، فإننا نحبه لا محالة من أجل ذاتنا . فينجم عن هذا الشطط وقلب الأوضاع المبين ، أن تُضحى المحبة رذيلة ، والتودد أنانية وأثرة . . !

ومن صفات المحبة الحقيقية أن تكون منزهة عن الأهواء والأغراض ،

(١) الذهن هو الفهم ، وهو أيضا الذاكرة وحفظ القلب ، وجميعها من الاعمال الخاصة بالعقل . وقد توخينا هنا شرح المعنى الاخير .

غير نفعية ، لا تطلب ذاتها بل خير القريب المحبوب من أجل الله .

أما مقياس محبتنا للقريب فهو ، كما سبق القول ، أن نحبه محبتنا لأنفسنا: «أحبب قريبك كنفسك» وعليه فكل الخير الذى أبتغيه لنفسى يجب أن أبتغيه لغيرى ، والشر الذى لا أشتهيه لنفسى لا يجب أن أشتهيه لأحد من بنى جنسى .

وإن شئت قاعدة لتصرفاتك مع القريب ، فإليك هذه القاعدة فى قول السيد المسيح العسجدى : «وكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، فافعلوهُ أنتم بهم »

على هذا المنوال ، إذا ما انسجمت محبتنا لله والقريب فى قالب واحد ، نكون أكملنا كل مافى الناموس والأنبياء ، وأضحى لنا حق وثيق فى إرث الحياة والسعادة الأبدية .

الأحد الثالث من توت

زكا العشـــار

فصل من إنجيل لوقا ١٩ : ١ — ١٠

ثم دخل أريحا واجتاز فيها . وإذا برجل اسمه زكا كان رئيساً على العشارين وكان غنياً . فطلب أن يرى يسوع من هو ولم يستطع من الجمع لأنه كان قصير القامة . فتقدم مسرعا وصعد إلى جميزة لينظره لأنه كان مزمعاً أن يجتاز بها . فلما انتهى يسوع إلى الموضع رفع طرفه فرآه فقال له يا زكا أسرع انزل فاليوم ينبغى لى أن أمكث فى بيتك . فأسرع ونزل وقبله فرحا . فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين إنه حل عند رجل خاطىء . فوقف زكا وقال للرب هآءنذا يارب أعطى المساكين نصف أموالى ، وإن كنت قد غبنت أحداً فى شىء أرد أربعة أضعاف . فقال له يسوع اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت لأنه هو أيضاً ابن ابراهيم . لأن ابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص ماقد هلك .

كان هذا الرجل الصغير الجسم ، الكبير النفس ، يسعى من كل قلبه إلى معرفة يسوع .

أجل ، لقد كانت ، فى بادىء بدء ، مجرد رغبة طبيعية ، نتيجة ماكان يُذاع عن يسوع ، والعجائب الباهرة التى كان يجترحها .

وقد تحوّلت هذه الرغبة ، تحت تأثير النعمة ، إلى اشتياق مضطرم للتعرف بيسوع ، وذلك لا لإشباع روح الفضول ، ومشاهدة أشياء غريبة من ذلك المعلم الصالح ، بل للتزود منه بما هو ضروري للخلاص ومعرفة الحق .

وسنرى كيف أن يسوع ، المعلم الصالح ، لن يخيب هذه الآمال الكبار ، التى عقدها عليه زكا العشار .

غير أننا فى الواقع منذ البداية أمام مشكل ! ترُى كيف يستطيع زكا ، وهو القصير القامة ، أن يرى يسوع ، ويسوع لم يكن يجتاز بمدينة ، إلاّ وهو محاط بمئات وألوف المخلوقات البشرية ؟ ! .

فكر صاحبنا فى حيلة تُبلغه إلى مأربه ... بيد أنه الآن سيكتفى برؤية يسوع العابرة ، إلى أن يحين الوقت ، الذى يمكنه من الاختلاء بالمعلم ، فيعرض عليه أمره .

وكانت حيلة بارعة ، فقد صعد زكا على جميزة ، كان يسوع عتيداً أن يمرّ تحتها ، حتى يستطيع من أعلى الشجرة أن يمتع نظرهُ بمشاهدة يسوع ، ولو عن بعد ! .

وهنا يجدر بنا أن نتأمل كيف أن زكا ، هذا الغنى ، المعروف فى كل أريحا ، لا يعنيه أن يترك أعماله ومصالحه : مائدة جبايته ، فضته وأوراقه . . ويهرول ليشاهد يسوع ، ولو عن بُعد ، ومن على شجرة .

ونحن معشر المسيحيين ، الذين عرفنا من هو يسوع ، ألا نريد أن نضحى بشىء ، مهما كان يسيراً ، من أجل هذا الاسم ، المسجود له ، الذى نتشرف بحمله والانتساب إليه ؟ ! .

وكيف ننهمك فى مصالحنا الدنيوية ، فلا نجد ساعة زمن نكرسها لخدمة الله ، ومصالحنا الروحية ، وخلاص نفوسنا ؟ ! .

ولنعد الآن إلى زكا ، الذى تركناهُ على الجميزة متلهفاً إلى رؤية يسوع ، ينتظر بفروغ الصبر مرور المعلم تحت الشجرة .

إن فكرة مشاهدة الرب يسوع ، والتعرف به ، هى الفكرة الوحيدة التى

أصبح زكا يخضع لها . فى سبيل هذه الفكرة لا يخشى أن يُعرّض نفسه لسخرية الجمهور ، بتسلقه شجرة كأحد الرعاع ، ولا إزدراء هؤلاء المواطنين ، الذين كانوا يكنون له ، مالا يخفى ، من البغض والكراهية .

فكان اليهود يمقتون كل صنف العشارين ويطلقون عليهم لقب «باريسيم» أى لصوص ، ولصوص من الدرجة الأولى ، لأنهم حسب رأيهم مجرمون فى حق الدين والوطن .

غير أن جود يسوع لا يمكن أن يُغلب بحال ! . . .

إن وجود زكا على الجميزة وقصد العشار — وما أنبله قصداً — لا يخفيان عليه . وعلى ذلك شاء أن يُكافئه على شجاعته هذه النادرة : بذله وتضحيته وانتصاره المبين على ذاته ، أضعافاً مضاعفة . ذلك بأن شرّفه ، أمام كل ذلك الجمهور العظيم ، طالباً منه أن ينزل عليه ضيفاً فى ذلك اليوم المشهود .

وما أن وصل الموكب إلى الشجرة حتى توقّف يسوع عن المسير ، ورفع طرفه إلى فوق ونادى بصوتٍ عالٍ : « يازكا ، أسرع انزل فاليوم ينبغى لى أن أمكث فى بيتك » .

إن زكا لم يطلب سوى مشاهدة يسوع المعلم الالهى ، مشغولا فى تبيان تلك الملامح الجذابة ، وسط ذلك الجمهور الغفير ، فباغته يسوع بمالم يكن ليخطر على باله أبداً ، بأن عرض عليه أن يقيم عنده يوماً كاملاً ، يأكل ويشرب على مائدته !

فما أعظم جود يسوع ! حقاً إنهُ جود إلهٍ يفيض سخاء ورحمة نحو عباده ، حتى إنه ليسبقهم إلى استجابة رغائبهم الصالحة ، التى تقربهم إليه وتمجده تعالى .

وهذا التنازل الكريم هو ، وايم الحق ، من صفاتك أنت وحدك ، أيها الراعى الصالح ، الذى يجدّ فى طلب الخروف الضال ليخلصه ، ولو من فم الذئب (الشيطان) قتّال الناس منذ قديم الزمان .

إن اختيار يسوع زكا ، الذى أثار غيرة الشعب وتذمر الكتبة والفريسيين ، كان له أحسن رد فعل فى نفس هذا العشار المتحمّس لقبول النعمة . دليل ذلك

توبته المبكرة ، التى جاءت مصداقاً لقول يسوع : « إن ابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك » .

تاب زكا ، فأراد من فوره أن يقدّم ترضيةً لمعلمه الإلهى ، هى فى الوقت نفسه ، بمثابة كفارة عن خطاياهُ السالفة . ترضية سخية للغاية ، فقد شاء أن يتبرع ، ذلك اليوم ، بنصف أمواله للفقراء ، وأعلن عن استعداده أنه يرد أربعة أضعاف ما سلب من أموال الناس ظلماً ! وبذلك برّر تصرف يسوع بازائه وإيثاره إياهُ على كل أهل أريحا .

هنا أيضاً شاء يسوع أن يُكافىء سخاء زكا وبطولته الفذّة ، باعلانه للجميع انتصار النعمة فى قلب هذا العشار ، وأنه يهب مثل هذا الخلاص لا لزكا فحسب ، بل ولكل عائلته أيضاً لأنه أظهر بأعماله أنه ابن لابراهيم لا بالاسم فقط ، بل وبالفعل أيضاً ، ولذا قال يسوع بصراحة : « اليوم قد صار الخلاص لهذا البيت لأنه هو أيضاً ابن ابراهيم » .

* * *

وهنا يجدر بك أيها المسيحى ، أن تتأمل ماطرأ من تغيير عجيب فى حياة زكا . إنهُ منذ لحظة كان بخيلاً وظالماً ، مُحباً للمال والجاه العالمى ، أمّا بعد أن لبّى دعوة يسوع ، دعوة النعمة فقد أصبح غير متعلقٍ لا بالمال ولا بالجاه ، ولا بشىء آخر من حطام الدنيا . بل هاهو يُصبح عادلاً رحيماً ، يفيض جوداً وكرماً ! .

إنّ يسوع نفسه ، الذى طلب مرة زيارة زكا ، مازال إلى يومنا هذا يقف عند أبواب قلوبنا قارعاً وقائلا : افتح لى فاليوم ينبغى لى أن أمكث فى بيتك . « هاءنذا واقف على الباب أطرق ، فإن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) .

لنصغينّ إلى هذا الصوت الأبوى الكلى العذوبة . إنهُ صوت يسوع مخلصنا ، الذى إذا أتى إلينا ، فلا يأتى عبثاً ، بل ليهبنا خلاصه ، ويغنينا بملء نعمته . فما بالنا إذن لا نلبى دعوته ، ونفتح له باب قلبنا على مصراعيه ؟ وحين لبينا

دعوته ، وفتحنا له هذا القلب ، الذى يريده كله له : « يابنى ، أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) لِمَ لم تثمر توبتنا الثمار اليانعة ، كما أثمرت توبة زكا ؟

ولا أخالك ، أيها القارىء الحبيب ، أنك لم تحظَ أبداً بزيارة السيد المسيح ، لا مرةً بل مراراً ، ولا سيما فى سر القربان الأقدس . فأين أنت مثلا من توبة زكا .

أأصبحت حقاً بعد المناولة من جسد الرب والإتحاد بيسوع المسيح ينبوع كل قداسة ، أكثر رحمة ورأفة بقريبك ، أكنت أكثر عدلا مع جميع الناس ، ثم أين ازدراء المال ومجد هذا العالم وأباطيله ، وأين الجود والسخاء المسيحى ، والغيرة على مجد الله ، وانتشار ملكوته ؟ !

* * *

لنقر بكل صراحة أننا مقصرون كل التقصير فى حق يسوع مخلصنا وملكنا ، وأن نعمته لم تنتصر فينا بعد كل الانتصار ، لأننا لم نعمل مع نعمته جنباً إلى جنب .

لنسرعنَّ إلى تدارك هذا الخلل ، بل والاعوجاج ، بل والتناقض الصارخ فى حياتنا كمسيحيين أى أعضاء فى جسم المسيح السرى ، بالإصلاح العاجل .

لأنه كيف يعقل أن يكون يسوع ، وهو الرأس ، مكللاً بالشوك ، ونحن أعضاؤه نكون مكللين بالورود والزهور . أن يحمل هو المعلم الصليب ، ونريد نحن التلاميذ أن نتخلص بشتَّى الطرق من هذا الصليب . أن يكون هو مضطهداً ونحن مكرمين . أن يُذاق هو مر العذاب ، ونكون نحن فى نعيم دائم من اللذات ! !

أوَ كيف يمكننا أن نمشى فى النور والظلام ، أن نكون تلاميذ ليسوع المسيح ولباليعال عدوه ، أن نكون روحيين وجسديين ، محبين للمادة والخيرات الأزلية ؟ !

وخلاصة القول إنَّ حياة المسيحى على الأرض هى جهاد وإنكار للذات ،

شعارها « إحمل صليبك واتبعنى » بل وحرب عوان ضد العالم وشهواته . وأركان هذا العالم المفترى الشرير .

ومع ذلك فان تلميذ يسوع المسيح لا يخاف ولا يجزع من مثل هذا الجهاد والحرب المكللة بالظفر . فقد قال يسوع ، وعز من قال : « ثقوا فانى قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) وأيضاً : « مَن غلب فأنى أُوتيه أن يجلس معى على عرشى كما غلبت أنا وجلست مع أبي على عرشه » (رؤ ٣ : ٢٥) .

الأحد الرابع من توت

مريم المجدليـــة

فصل من انجيل لوقا ٧ : ٣٦ — ٥٠

وسأله أحد الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ . وإذا امرأة خاطئة فى المدينة لما علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب . ووقفت من ورائه عند رجليه باكية . وجعلت تبل رجليه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب . فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك قال وهو يحدث نفسه لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وما حالها إذ هى خاطئة . فأجاب يسوع وقال له ياسمعان عندى شىء أقوله لك . فقال قل يامعلم . قال كان لمداين مديونان على أحدهما خمس مئة دينار وعلى الآخر خمسون . وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما كليهما ، فقل لى أيهما يكون أكثر حباً له . فأجاب سمعان وقال هو فيما أظن الذى سامحه بالأكثر . فقال له بالصواب حكمت . ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أترى هذه المرأة . أنا دخلت إلى بيتك فلم تسكب على رجلى ماء ، وهذه بلت رجلى بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها . أنت لم تقبلنى وهذه منذ دخلت لم تكف عن تقبيل قدمى . أنت لم تدهن رأسى بزيت وهذه دهنت قدمى بالطيب : لأجل ذلك أقول لك إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها لأنها أحبت كثيراً والذى يغفر له قليل يحب قليلا . ثم قال لها مغفورة لك خطاياك . فجعل المتكئون يقولون فى أنفسهم من هذا الذى يغفر الخطايا أيضاً . فقال للمرأة إن إيمانك قد خلصك فاذهبى بسلام .

إنَّ إنجيل هذا الأحد يقدم لإعتبارنا ثلاث شخصيات متباينة : الأولى فى شخص المخلص ، مثال الوداعة والتواضع ، والثانيـــة فى شخص سمعان

الفريسى ، الذى يمثل الرجل المتكبر المعتد بذاته ، والثالثة فى شخص مريم المجدلية ، مثال التوبة النصوح .

المخلص الوديع :

ولا أحاول أن أصف لك شخصية المخلص ، وهى أعظم من أن يصفها لسان بشرى . وإن لم يمنعنا ذلك من تأمل هذا الفادى العجيب ، كيف مارس - فى هذا الموضع — فضيلتى الوداعة والتواضع لتعليمنا . وهو الذى قال : « تعلموا منى أنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١٨ : ٢٩) .

أجل ، إنَّ يسوع كان يعرف تمام المعرفة — وهو الإله الذى ترقب عينه ما فى السماء وما فى الأرض — مَن هو سمعان هذا ، وهذه الحلقة الخبيثة من المدعوين ، التى كانت تحيط به . ومع ذلك فقد لبى الدعوة . لماذا ؟ لأنه وديع ومتواضع القلب .

دخل يسوع بيت سمعان ولكن استقبال الفريسى له كان فاتراً وأى فتور . فقد أغفل ، دون اكتراث ، كل واجبات الضيافة . فكانت العادة عند اليهود أن يُقبِّل ربُّ البيت ضيفه ، ثم يقدّم له ماءً لغسل رجليه ، ودهاناً لرأسه . لكن كبرياء الفريسى أبت عليه أن يقوم بشىء من إمارات الإكرام والمحبة هذه ، التى كانت تُبذل للضيوف .

ومع ذلك فإنَّ يسوع لم يظهر أىّ استياء من هذه المعاملة الشاذة ولم ينطق بكلمة واحدة تشير إلى هذا الإغفال المهين . لماذا ؟ لأنه وديع ومتواضع القلب .

أجل إنه سيتكلم ، ولكن حينما تضطره المحبة إلى ذلك . فقد تكلم ليدافع عن المجدلية التى اتهمها الفريسى ظلماً بأنها خاطئة ، وذلك فى اللحظة عينها التى كانت قد غُفرت لها جميع خطاياها بسبب ندامتها الكاملة .

وقد تكلم لعله ينير باشعة كلمته الظلام الدامس ، الذى كان يخبط فيه ذلك الفريسى المتهور ، الذى حكم بأنَّ يسوع ليس نبياً ، لا لداع آخر ، إلا لأنه لم يطرد من أمامه المجدلية !

تكلم يسوع ، وكان ذلك عن طريق المثل ، فقال : ياسمعان عندى كلمة أقولها لك . فقال قلها يامعلم . قال : كان لمداين مديونان ، على أحدهما خمس مئة دينار ، وعلى الآخر خمسون ، وإذ لم يكن لهما ما يوفيان ، سامحهما كليهما ، فقل لى أيهما يكون أكثر حباً له . فأجاب سمعان قائلا : هو فيما أظن الذى سامحه بالأكثر . فقال له بالصواب حكمت .

وإليك تفسير المثل : الدائن هو يسوع نفسه ، والمديونان هما سمعان الفريسى ومريم المجدلية . فالمجدلية كانت مدينة ليسوع بخمس مئة دينار ، أى إنَّ دين خطاياها كان أعظم من دين خطايا الفريسى ، الذى لم يكن مديناً للرب إلا بخمسين ديناراً .

ومع ذلك فان المجدلية هى الآن فى حال ، يمكن الفريسى أن يحسدها عليها ، لأن دينها وإن كان عظيماً فقد غفر لها جميعه بسبب ندامتها . أمَّا هو فدينه ، وإن صغيراً نسبياً ، فما زال باقياً عليه بسبب عدم توبته وإيمانه .

كذلك فإنَّ محبة المجدلية ، التى غفر لها كثيراً ، لا يمكن بحال أن تقاس بمحبة الفريسى المعدومة ، الذى لم يُغفر له شىء من دين ذنوبه بسبب كبريائه .

وقد أورد يسوع لسمعان ثلاثة أدلة تشهد جميعها بعدم محبته وإيمانه . وذلك تلك المعادلة اللطيفة بين ما عملته هى للدلالة على حبها ، وما أغفله هو من واجبات الضيافة .

قال له : دخلتُ إلى بيتك فلم تسكب على رجلى ماء ، وهذه بلت رجلى بالدموع . أنت لم تُقبّلنى ، وهذه منذ دخلَتْ لم تكُفَّ عن تقبيل قدمى . أنت لم تدهن رأسى بزيت ، وهذه دهنت قدمى بالطيب .

وكان بعد هذا العتاب الرقيق أن التفت يسوع الى المرأة وقال لها : « مغفورة لك خطاياك » وإذا بالمتكئين جميعهم يجدفون عليه فى أنفسهم قائلين : من هذا الذى يغفر الخطايا أيضاً .

قرأ يسوع على صفحة قلوبهم هذه التجاديف المهينة لشخصه الإلهى ، ولكنه

لم يجبهم ببنت شفة لقساوة قلوبهم . وكانت الغلبة فى ذلك لتواضع يسوع ووداعته .

فما أعظم تواضع يسوع ! صبره وأناته ، دعتـــه ووداعته مع كل أعدائه ومقاوميه !

سمعان الفريسى :

هو مثال الرجل المتكبر ، المعتد بذاته فوق كل حدّ واعتبار الذى يظن من نفسه أنه كامل ، ولا ينقصه شىء . وبالتالى يحق له أن يزدرى بكل مَن هو دونهُ صلاحاً وكمالا !

من هنا تهورهُ فى الحكم على المجدلية ، أنها ما زالت خاطئة رغم ما كان يرى منها ، من دلائل توبة صادقة . وأنَّ يسوع ليس بنبى لأنه لم يزجر الخاطئة ، ولو تائبة . كأنى بالأنبياء والقديسين هم بالمرصاد لسحق الخطاة المساكين ، لا أن يعملوا على جذبهم وهدايتهم .

لنقصينَّ عنَّا روح الكبرياء ، الذى إذ يضع نصب أعيننا نقائص الآخرين ، يُخفى عنَّا نقائصنا الخاصة بوضعها خلف ظهورنا .

ولا نحكمنَّ على أحد البتة ، بل لنتركن الحكم لله وحده ، وهو الذى لايمكن أن يغِشّ ولا أن يُغَشّ .

مريم المجدلية :

إنّ مريم المجدلية ، وهى التى سكبت طيب الناردين الثمين على رأس يسوع ، ستة أيام قبل الفصح الأخير ، هى نفس الخاطئة التى يتكلم عنها الإنجيلى هنا ، وهى نفس مريم أخت مرثا ولعازر (١)

إنّ هذه المرأة ، التى أحبت السيد المسيح كثيراً ، قبل أن تصبح تلميذة له ، وتلميذة من أشد التلاميذ تعلقاً به ، كانت فريسة الحب العالمى وغروره . وقد لوثت سمعتها بعدة فضائح مخزية .

(١) هذا هو الرأى الذى أجمع عليه أغلب المفسرين ، وهو الأصوب حسب القديس أغوسطينوس وكثير من الآباء . وقد إرتأى البعض خلاف ذلك .

على أنَّ ذلك لم يثنها عن عزمها على إصلاح سيرتها ، ولاسيما بعد أن رأت يسوع وسمعته ينذر بالتوبة واقتراب الملكوت .

وفيما هى تفكر كيف تتصل بيسوع لكى تطلب منه مغفرة خطاياها ، بلغها خبر مجيئه إلى المدينة (وهذه المدينة هى نائين حسب بعض المفسرين ، وهى المجدل حسب البعض الآخر) . وأنه يقيم فى بيت سمعان الفريسى . فنهضت لساعتها مهرولة إلى بيت ذلك الفريسى طالبة المعلم الإلهى .

وها هى الآن ، عند قدمى هذا المعلم ، تبكى خطاياها مدراراً ، فتبل رجليه بالدموع ، وتمسحهما لا بمنديل بل بشعر رأسها ، تعظيماً له . ولا تخشى أن تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، إشهاراً لإيمانها ومحبتها له ، واعترافاً بجميله .

إنها تؤمن أن يسوع يستطيع أن يغفر لها خطاياها ، لأنها آمنت أنه المسيح المخلص ، وتبالغ فى إظهار محبتها له ، ليعلم الجميع أنها ، من الآن فصاعداً لن تكون لأحد ، غير يسوع الختن الإلهى .

فبقدر ما طوَّحت بنفسها فى الخطيئة ، بقدر ذلك شاءت أن تلقى بكل ذاتها ، دون قيد أو شرط ، فى أتون المحبة الإلهية . وقد شهد لها يسوع عن هذه المحبة المتقدة بقوله عنها : « إنها أحبت كثيراً » .

تأمل أيضاً ثقتها : إنها تعلم كثرة خطاياها وفظاعة هذه الخطايا . فقد قضت أحسن سنى شبابها فى الرذيلة ، ولكنها لا تيأس ، بل وهى على رجاء وطيد من أن رحمة يسوع غير المتناهية لا يمكن أن تردها خائبة .

وماذا نقول عن توبتها ؟ إنها بلا مراء ، توبة نصوح بكل مافى هذه الكلمة من معني . وعليه فلا شىء فى الدنيا يمكنه أن يقف حائلا دون هذه المرأة والوصول إلى يسوع ، لا ذكر حياتها الماضية المخجل ، ولا وجود يسوع فى بيت ذلك الفريسى المملوء من ذاته ، وسط جماعة هم أشد ما يكون ازدراء لها . فما أعظم شجاعة هذه المرأة ، وما أشد عزمها فى توبتها !

تأمل أيضاً تواضعها : إنها لا تجسر على الوقوف أمامه ، بل وراءه عند قدميه وبدموع غزيرة حارة تبلهما ، وبشعر رأسها تمسحهما !

* * *

ونحن أيها الأحباء ، حين وافتنا النعمة أرَجعنا إلى الله رجوعاً صادقاً حقيقياً ، عازمين على قطع كل علاقة بالماضى ، أم ازدرينا هذه النعمة ، ولم نكترث لأمر خلاصنا ؟

وحينما تقدمنا إلى الكاهن لنيل الحل من خطايانا ، أكان إيماننا عظيماً ، بحيث إننا كنّا على يقين من أن الكاهن ، فى سر التوبة ، يُمثل السيد المسيح حقاً ، وبالتالى له السلطان أن يحلنا من خطايانا ؟

وأيضاً حينما تقدمنا من كرسى الاعتراف ، أكانت ثقتنا فى رحمة الله شديدة هكذا على مثال المجدلية أم يئسنا من الخلاص ، وقلنا إن خطايانا أعظم من أن تغفر؟!

وماذا أيضاً ؟. أتقدمتَ بخشوع ، واعترفت بكل بساطة بجميع خطاياك ، أم تملك عليك خجل جهنمى ، فلم تقربها . وحين عزمت على التوبة ، أكانت فيك الشجاعة الكافية للتغلب على كل العوائق ، التى كانت تحول دونك والاعتراف ، أم خفت أقاويل الناس وتهكم الأشرار ؟

وبعد عزمك هذا ، أكنت حقاً أكثر حباً ليسوع المسيح ، أم بقيت فى فتورك ، فلم تكترث لمحبته لك فتبادله محبة بمحبة ؟

وأنت أيها الأخ المتردد ، الذى لا ينوى أبداً على الاعتراف ، أيوسوس لك الشيطان أن خطاياك فظيعة ، وأنك لا تستطيع أن تتخلص من تلك العادة الرديئة !

إذنْ فاعلم أن مريم المجدلية كانت إنساناً ضعيفاً مثلك ، بل ربما كانت أضعف منك بكثير ، وقد لازمت الرذيلة سنين عديدة ، ومع ذلك فقد استطاعت بقوة النعمة أن تضبط الطبيعة الجانحة إلى الفساد ، وتنتصر على عاداتها القديمة المشؤومة .

نعم ، لقد أخطأتَ كثيراً ، ولكنك بتوبتك ومحبتك ليسوع تستطيع أن

تُسوّى مسألة خلاصك ، فارجع الآن إذن إلى الحضن الأبوى ، ولا تكن ابناً جاحداً ، يصرُّ دون داع على هلاك نفسه .

إن يسوع أبا المراحم يدعوك ، فتقدم إليه بثقة ، وبثقة اعترف بجميع خطاياك أمام الكاهن ممثله ووكيله على الأرض ، تحظى بغفران وسلام يؤهلانك لمرضاة يسوع فى الدنيا والآخرة .

الأحد الأول من بابه

شفاء مخلع كفرناحوم

فصل من إنجيل مرقس ٢ : ١ — ١٢

وبعد أيام عاد فدخل كفرناحوم . وسمع أنه فى بيت فللوقت اجتمع كثيرون حتى إنه لم يبق موضع يسع ولا عند الباب وكان يخاطبهم بالكلمة فأتوا إليه بمخلع يحمله أربعة . وإذ لم يقدروا أن يصلوا به إليه لسبب الجمع كشفوا السقف حيث كان ، وبعد ما نقبوه دلوا السرير الذى كان المخلع مضطجعاً عليه . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمخلع يابنى مغفورة لك خطاياك وكان قوم من الكتبة جالسين هناك يفكرون فى قلوبهم . ما بال هذا يتكلم هكذا إنه يجدف . من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده . فللوقت علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم . ما الأيسر أن يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم احمل سريرك وامش . ولكن لكى تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا . ثم قال للمخلع ، لك أقول قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك . فقام للوقت وحمل سريره وخرج أمام الجميع ، حتى دهش كلهم ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط .

لم يمض عام بعد على الكرازة بالإنجيل، وقد شاع صيت يسوع فى كل الجليل وأرض اليهودية وأورشليم !

فماذا يفعل الكتبة معلمو الناموس والفريسيون(١) ، وقد جاء يسوع ليقلب كل أنظمتهم وتقاليدهم الدهرية رأساً على عقب ؟ !

---

(١) الفريسيون هم طائفة من اليهود المتطرفين ، الذين امتازوا بتعصبهم الدينى وتمسكهم الأعمى بحرف الشريعة أكثر من روحها .

إنهم بعد مشاورات ، اتفقوا على أن يرسلوا بعثة إلى كفرناحوم مدينته ، حيث كان يقيم أكثر أيامه ، ليقاوموا علناً تلك التعاليم الجديدة ، والعجائب الباهرة التى كان يجترحها ، بأن ينسبوها إلى قوة الشيطان !

وصل الكتبة والفريسيون من الجليل واليهودية وأورشليم إلى كفرناحوم ، وأخذوا يرقبون عودة يسوع ، وانتهاز الفرصة السانحة لإشهار حربهم عليه .

ولم يطل انتظارهم على هذه الحال ، فقد عاد يسوع إلى المدينة ، وبمجرد انتشار خبر مجيئه ، امتلأت الدار ، وهى فى الغالب دار سمعان بطرس ، بالزائرين . وبذا استطاع الكتبة والفريسيون أن يندسوا بين الجماعة ، دون أن يُثيروا اهتمام أحد ، شأنهم بإزاء يسوع صانع المعجزات العظيمة ، شأن أى مخلوق آخر .

امتلأ البيت عن آخره ، فلم يبق موضع لقدم حتى ولا عند الباب . وأخذ يسوع يخاطب الجماعة بالكلمة ، وكأنى بالكتبة والفريسيين قد خرسوا ، فلم يستطيعوا أن ينبثوا ببنت شفة !

وقد حدث فعلا ما جعلهم يغلون كالمراجل التى ازدادت تحتها النار . ولكنهم رغم ذلك لم يقووا ولا هذه المرة أيضاً ، أن يفوهوا بكلمة انتقاد واحدة .

فقد شاء يسوع بذلك أن يعلمهم أنه متى أراد أمراً ما ، فلا يستطيع أحد ، مهما بلغ من الدهاء ، أن يقف حائلا دون تنفيذ هذا الأمر ، وبالتالى فهو حر فى رسالته ، يؤديها كيفما شاء ، ومتى شاء ، دون أن يقوى على اعتراضه معارض .

أما ما حدث فكان بمناسبة شفاء يسوع لأحد المرضى ، وكان مخلعاً . فبينما كان يعلم الشعب ، إذا بأربعة رجال يأتون بهذا المخلع ، وكانوا يلتمسون الدخول به ، ليضعوه أمام يسوع ليشفيه ولكن الازدحام الشديد داخل البيت وخارجه ، حال دون وصولهم إلى يسوع .

ففكروا فى حيلة ، وهى أن يصعدوا به إلى السطح من سلم خارجى ، ويكشفوا السقف حيث كان يسوع ، وبواسطة حبال يُنزلون مريضهم أمام يسوع . وقد استطاعوا فعلا أن ينجزوا ما صمموا عليه .

إن هذا العمل الجرىء ، الذى لم يخل من ضوضاء ، والذى أزعج ، ولا شك ، سامعى المعلم وذهب باصغائهم ، لم يستنكره يسوع ، لأنه رأى إيمانهم ، أى إيمان الرجال الاربعة والمخلع ، فأعجبه .

وشاء أن يُكافئ هذا الإيمان الشديد بمكافأة سخية ، بشفاء مزدوج يهبه المخلع فوهبه بادئ بدء شفاء النفس ، ثم شفاء الجسد .

وهذا ولا ريب ، لقصد معين . لنتعلم نحن أن نهتم بالنفس ، وهى الجزء الأشرف فينا ، أكثر من إهتمامنا بالجسد . وأنَّ خير النفس الخالدة التى خلقت على صورة الله ومثاله ، يجب أن يفضل على خير الجسد الترابى الفانى على الدوام .

* * *

وليسمح لنا القارئ الكريم بفتح قوسين ، لنقول للأخ الساذج ، الذى يظن أن المخلع نال مغفرة خطاياه بالإيمان وحده دون المحبة ، وبالتالى دون توبة ، بحجة أن الانجيلى لم يذكر سوى الإيمان ، أن استنتاجه هذا باطل .

لأن ذكر شرط أساسى لا ينفى وجود شرط أساسى آخر على السواء ، وإن لم يذكر . فهل يجوز لك مثلا فى حادث توبة مريم المجدلية أن تستنتج أن المجدلية كانت خالية من الإيمان ، لأن يسوع لم يذكر من أسباب توبتها لسمعان الفريسى سوى شرط المحبة ، فقد قال له : « إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها ، لأنها أحبت كثيراً » ؟!

زد على ذلك إن الإيمان الذى يرضى عنه يسوع فيكافئه بشفاء مزدوج ليس هو ، ولا شك ، الإيمان المائت المجرد عن المحبة ، بل الإيمان الحى العامل بالمحبة .

* * *

ولنرجع الآن إلى حادثنا : إن الكتبة والفريسيين لما سمعوا يسوع يغفر للمخلع خطاياه بقوله له « يابنى ، مغفورة لك خطاياك » جعلوا يفكرون فى قلوبهم قائلين : ما بال هذا يتكلم هكذا ؟ إنه يجدِّف . من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟

وكان جواب يسوع على هذه الأسئلة التى — كما سبق القول — لم يجرؤوا أن يجاهروا بها ، قوله لهم : « ما الأسهل أن يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك أم أن يقال : قم احمل سريرك وامش؟ ولكن لكى تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا » كفاكم هذا الدليل .

ثم التفت إلى المخلع وقال له بسلطان : « لك أقول ، قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك » فقام قدامهم فى الحال ، وحمل سريره وخرج أمام الجميع .

وهنا يمكنكم أن تتصوروا كم كان مخزياً ومزرياً ، موقف أولئك الكتبة والفريسيين مقاومى يسوع .

أجل ، لايستطيع أحد أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ، ولكن من يستطيع أيضاً أن يشفى مخلعاً بكلمة واحدة سوى الله وحده .

إذن فمن يصنع مثل هذه الأعجوبة الأخيرة ، مبرهناً عن حقيقة لاهوته ، يمكنه أن يغفر الخطايا أيضاً .

بيد أن السيد المسيح أراد بصنعه هذه المعجزة أن يبين لنا أن له هذا السلطان، سلطان مغفرة الخطايا ، لا كإله فحسب بل وكإنسان أيضاً . ولذلك لما شفى المخلع لم يقل لتعلموا أن ابن الله له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ، بل قال لتعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا .

فقد لاق بالسيد المسيح ، الذى كان مزمعاً أن يعطى هذا السلطان لكنيسته ، أن يبرهن بمثل هذه الأعجوبة الباهرة ، أن لله صاحب الملك وكل سلطان ، أن يفوّض هذا السلطان للبشر .

الأحد الثانى من بابه

السعى الباطل

فصل من إنجيل لوقا ٥ : ١ — ١١

ولما ازدحم الجمع عليه لسماع كلمة الله وهو واقف على بحيرة جناسر . رأى سفينتين راسيتين فى البحيرة وقد انحدر منهما الصيادون يغسلون الشباك . فركب إحدى السفينتين وكانت لسمعان وسأله أن يتباعد قليلا عن البر وجلس يعلم الجموع من السفينة . ولما فرغ من الكلام قال لسمعان تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد . فأجاب سمعان وقال له : يامعلم إننا قد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئا ولكن بكلمتك ألقى الشبكة . فلما فعلوا احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرقت شبكتهم . فأشاروا إلى شركائهم فى السفينة الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم فأتوا وملأوا السفينتين حتى كادتا تغرقان . فلما رأى ذلك سمعان بطرس خر عند ركبتى يسوع قائلا : اخرج عنى يارب فإنى رجل خاطىء . لأن الانذهال اعتراه هو وكل من معه عند صيد السمك الذى أصابوه . وكذلك يعقوب ويوحنا ابنا زبدى اللذان كانا رفيقى سمعان . فقال يسوع لسمعان لاتخف فإنك من الآن تكون صائداً للناس . فلما بلغوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شىء وتبعوه .

فرغ يسوع من تعليم الشعب ، وإذا به يأمر سمعان بطرس قائلا : « تقدم إلى العمق ، والقوا شباككم للصيد » فأجاب بطرس وقال له : يامعلم ، إنا قد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئا ، ولكن بكلمتك ألقى الشبكة . فلما فعلوا ذلك احتازوا من السمك شيئاً كثيراً .

« قد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئاً » انّ هذه الآية تذكرنا بحقيقة أساسية فى الحياة الروحية ، لا ريب فى صحتها ، وهى : إننا من غير الله لانستطيع أن نعمل شيئاً صالحاً يفيدنا أجراً للحياة الأبدية .

فكما أن الرسل تعبوا ليلة ، بدت كأنها دهر طويل ، دون أن يقتنصوا سمكة واحدة ، لأن يسوع لم يكن فى وسطهم ، كذلك المسيحى الذى يسعى من غير يسوع المسيح لايستطيع ، فى حالٍ من الأحوال ، أن يأتى بالاعمال التى بها يستحق الأجر السماوى .

وعلى ذلك فان كثيرين من المسيحيين ، ممن أفنوا حياتهم فى الكدح والكد ، ولم تخلُ أعمالهم من بعض الصلاح ، وقفوا فى نهاية المطاف فارغى الأيدى ، مرددين بمرارة قول الرسول « لقد تعبنا الليل كله ولم نصب شيئاً » وما ذلك إلا لأنهم تعبوا من غير السيد المسيح ، بعيداً عن الله .

ويتعب من غير السيد المسيح ، بعيداً عن الله ، المسيحى المتردد الذى لا يعزم أبداً أن يتخلَّص من الخطيئة . تلك الخطيئة التى تجعل منه عضواً ميتاً فى جسم المسيح السرى .

إذ من المقرر الثابت أنه مادام الإنسان مجرداً عن النعمة المبرِّرة فى حال الخطيئة المميتة ، يستحيل عليه أن يصدر أفعالا مبرورة مقدَّسة ، ذات استحقاق للحياة الأبدية .

قال الرسول : « لو كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة .. وكانت لى النبوة ، وكنت أعلم جميع الاسرار والعلم كله ، وكان لى الإيمان كله .. ولم تكن فىَّ المحبة فلست بشىء » (١ كور ١٣ ..)

أى لو كنت أعلم كل ما يمكن علمه من المعارف والأسرار البشرية والإلهية معاً . . وكنت خالياً من المحبة أى النعمة المبرِّرة — وهى التى تقدس الإنسان وتجعل منه ابناً لله ووارثاً لملكوته — فكل هذه لاتنفعنى شيئاً !

وعليه فالأعمال الصالحة التى يصنعها الإنسان وهو فى حال الخطيئة المميتة لاتحسب له . فهى أشبه ما يكون بمحصول جيد قد شبَّت فيه النار فذهب هباءً منثوراً .

فهذه الصلوات وتلك الحسنات ، أنواع الإماتة والصيام ، بل وممارسة الفضيلة نفسها : كل هذه ، قد تفيد الخاطىء من حيث إنها تحرك قلب الله فيهبه نعمة التوبة ولكنها من المحال أن تستحق له أىَّ أجر سماوى . فهى أفعال لاقيمة لها فى النظام الفائق الطبيعة ، وذلك لصدورها عن غصن ميت فى دوحة الكنيسة ، وبالتالى فهى من غير استحقاق للآخرة .

من هنا يمكنك أن تتصور كم هى تعيسة حالة ذلك المسيحى الذى يقضى الأسابيع ، بل والشهور والسنين ، وربما الحياة كلها ، متقلباً فى حالة الخطيئة ، مجرداً عن النعمة !

كذلك يتعب من غير الله هؤلاء المسيحيون الذين ليست لهم نية مستقيمة فى أعمالهم . أجل ، إنهم يتعبون ، ولكن باسمهم ؛ ويفعلون البر ولكنهم يطلبون ذاتهم ، إنما غايتهم بشرية محض ، لا تكاد تسمو الطبيعة فى حال من الأحوال !

ونتيجة أعمال هؤلاء الأنانيين هى نفس نتيجة الذين يعملون دون نعمة الله العقمُ وعدم الصلاحية للآخرة .

وعليه فهذه الحسنات التى تصنع حباً فى الظهور حتى يشار إلينا بالبنان ، حفظ الواجبات ، وكذا ممارسة الفضيلة مراعاة للظروف أو لتحاشى عذل أهل البر والصلاح ، أعمال التقوى التى تظهرنا فى رأى الرؤساء . . . كل هذه هى أتعاب ذهبت مع الريح ، لا يمكنها أن تثمر شيئاً للحياة الأبدية .

لهؤلاء العملة غير الأمناء ، الذين عملوا لدنياهم لا لآخرتهم سوف يقول الديان العادل يوم الدين : « لقد أخذتم أجركم » (مت ٦ : ٢) .

☆ ☆ ☆

لنتعلمن إذن أن نعمل على الدوام مع الله ، ولله وحده عز وجل . أى مع نعمته ، ولوجهه تعالى الكريم .

مع نعمته أى ونحن فى حال النعمة المبرِّرة ، التى بواسطتها تتقدس كل أعمالنا وتصبح ذات أجر أبدى . ولوجهه تعالى ، أى طلباً لمرضاته ومجده العظيم المقدس .

الأحد الثالث من بابه

بعل زبوب

فصل من إنجيل متى ١٢ : ٢٢ — ٣٧

حينئذ أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس فأبرأه حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر . فدهش الجموع كلهم وقالوا لعل هذا هو المسيح ابن داود . وسمع الفريسيون فقالوا إنما هو يخرج الشياطين ببعل زبوب رئيس الشياطين. فعلم يسوع أفكارهم فقال لهم كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب وكل مدينة أو بيت ينقسم على نفسه لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على نفسه فكيف تثبت مملكته . وإن كنت أنا أخرج الشياطين ببعل زبوب فأبناؤكم بمن يخرجونهم، فمن أجل هذا هم يحكمون عليكم . وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد اقترب منكم ملكوت الله! . أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب امتعته إلا أن يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته . من ليس معى فهو على ومن لا يجمع معى فهو يفرق . من أجل هذا أقول لكم إن كل خطيئة وتجديف يغفر للناس وأما التجديف على الروح فلا يغفر . ومن قال كلمة على ابن البشر يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى . إما أن تجعلوا الشجرة صالحة وثمرتها صالحة وإما أن تجعلوا الشجرة فاسدة وثمرتها فاسدة لأنها من الثمرة تعرف الشجرة . يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار وإنما يتكلم الفم من فضل ما فى القلب . الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج الصالحات والرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الشرور . أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جواباً فى يوم الدين . لأنك من كلامك تتبرأ ومن كلامك يحكم عليك .

بعدما انتخب يسوع رسله الإثنى عشر ، جاء بهم إلى كفرناحوم ، المدينة التى اختارها كمركز له ينشر منها رسالته فى كل الجليل . وأتوا إلى بيت ليأخذوا نصيبهم من الراحة والقوت . لكن وفود الزائرين ، والمرضى الذين جاءوا يطلبون الشفاء ، لم تمهلهم من الراحة ولا من أكل الخبز !

مساكين هؤلاء الرسل ! . . إن يسوع يريد تدريبهم على روح التضحية ، التى لا بد منها لكل مَن يبتغى أن يكون تلميذاً ، ولاسيما رسولا له .

بيد أن هذه التضحية لا يتركها يسوع من غير مكافأة . ولذا فها هو يُبدلها

بفيض من النعم الغزيرة ، والعجائب الخارقة ، التى سيجترح الكثير منها لتعزيتهم وتثبيتهم فى الإيمان .

من بين هذه العجائب ، تلك الاعجوبة الباهرة التى صنعها يسوع ، ذلك اليوم والتى أذهلت كل الحاضرين ، فقد حوت على ما لا يقلّ عن أربع عجائب !

شفاء المجنون الأعمى والأخرس :

وتفصيل ذلك ، هو أن أحد المرضى ، وكان مجنوناً وأعمى وأخرس ، بسبب رباط الشيطان له ، شفاه يسوع من كل هذه العاهات ، بمجرد زجره إبليس وأمره بالخروج منه ، حتى عاد الأعمى الأخرس إلى صوابه تماماً ، وطفق لساعته يتكلم ، ويبصر كل ماحوله من ناس وأشياء !

إن هذه المعجزة التى أدهشت كل الحاضرين ، جعلت الكتبة والفريسيين يتميزون غيظاً ، ويودون لو أنهم يقنعون الجموع أن ليس هناك مايستدعى دهشهم وإكبارهم لانّ يسوع يخرج الشياطين ببعل زبوب ، رئيس الشياطين !!.. فقد جاءوا من أورشليم لهذا الغرض المعين ، لمقاومة يسوع وعرقلة رسالته !

وحيث إنهم لم يتمكنوا ، هذه المرة ، من إنكار عظمة العجائب التى صنعها المخلص ، والتى شاهدوها مشاهدة العين ، أبوا إلا أن ينسبوها إلى الروح الشرير. وكان هذا دأبهم كل مرة عجزوا عن إنكار صحة وقوع الأعجوبة .

أما سبب هذا السلوك المعوج، فلأنهم كانوا يحسدون يسوع ، الذى كان يجذب الشعب إلى تعاليمه . وكان من جرّاء حسدهم له — كما كان متوقعاً — أن عميت قلوبهم وطمست بصائرهم ، فلم يميزوا بين أعمال الله وأعمال الشيطان ، فنسبوا أعمال المخلص الباهرة ، وهى ضد أعمال إبليس على طول الخط الى قوة ابليس !

ولم يتورعوا من القول : ان فيه روحاً نجساً ! .. يسوع قدوس القديسين ، الذى لم يستطع أعداؤه أن يثبتوا عليه خطيئة البتة ، رجل غاشّ ، يبهر الناس بخزعبلات شيطانية ، وفيه روح نجس ! !

لا جرم ، انه ما من أحد كان فى طاقته احتمال مثل هذه الإهانات الجسيمة ، إلا من كان فى دعة ووداعة المخلص .

وقد سمح يسوع أن يكون هدفاً لمثل هذه الأراجيف والتجاديف المنكرة ليعلمنا بصبره ومثله احتمال كل الاضطهادات مهما كان لونها ونوعها .

ولم يُعاقب هؤلاء الأشرار ، ولم ينتقم منهم ، رغم مقدرته على ذلك — ولو فعل ، لكان فعله عدلا وصواباً — لأنه رحيم وصبور ، فلا يتسرع إلى معاقبة الخاطئ ، بل يعطيه مهلة لعله يتوب إليه !

وبذلك فهو يعلمنا أن نحتمل أعداءنا ومضطهدينا ونصفح عنهم ، ولو فى إمكاننا الانتقام منهم .

تحمل يسوع هذه الإهانات بصبر وأناة لا مزيد عليهما ، ولكنه لم يسكت عليها ، من حيث إنها مجرد تُهم لا أساس لها ، مناقضة للحق . وخاصة إنه خشى أن يضلل الكتبة والفريسيون الشعب بمثل هذه الترهات . وما أكثر ما يُخدع الشعب!

فدعاهم إليه وأخذ يفنّد آراءهم وما كانوا يضمرون له من عـــداء ، ونوايا جهنمية لتضليل الشعب . وذلك بأمثال وبراهين واقعية فى منتهى البساطة ، تكذب كل مزاعمهم .

لنتعلمن إذن من مدافعة السيد المسيح هذه عن صحة عجائبه ومصدرها الإلهى ، أنه متى دعت الضرورة . وخاصة متى اقتضى ذلك خير القريب ، يجوز بل ويجب أن ندافع عن أنفسنا ، وعما صدر منا ، من أقوال وأفعال ، لئلا نكون سبب عثرة للقريب بسكوتنا .

* * *

إنتصر يسوع على أعدائه نصراً مبيناً ، ومع ذلك فلم يحتقرهم ولم يشمت بهم ، وقبل أن يتخذ نحوهم أى إجراء حاسم ويتركهم وشأنهم ، هكذا كما يفعل الله عادة مع الخطاة المصرّين على خطاياهم ، شاء أن يصنع معهم رحمة أخيرة ، لعلهم يتوبون وإليه يرجعون .

وبما إنه كان قد استنفد كل طرق اللين ، وقد صنع من العجائب ما لا حصر له شهادة لهم ، أخذ ينذرهم بصرامة العقاب ، والدمار الهائل الذى يحل بهم ، إن لم يسرعوا ويتوبوا . قال لهم : « الحق أقول لكم إن جميع الخطايا والتجاديف ، التى يجدّف بها بنو البشر تغفر لهم . وأما مَن جدّف على الروح القدس ، فلا مغفرة له إلى الأبد ، ولكنه مجرم بخطيئة أبدية » (مر ٣ : ٢٨ و ٢٩) .

التجديف على الروح القدس :

والآن ماهو التجديف على الروح القدس ، الذى لا مغفرة له ، لا فى هذه الدنيا ولا فى الآخرة إلى الأبد ؟

هو رفض النعمة ، وعدم التوبة ، والإصرار على البقاء فى الخطيئة ، هو العناد وإنكار الحقيقة الظاهرة كالشمس فى رائعة النهار ، هو رفض الحقيقة الإيمانية ، المعروفة معرفة تامة ، والتشبث بالضلال لإعتبارات وأغراض دنيوية .

وعليه فالكتبة والفريسيون ، هؤلاء القادة العميان ، كانوا مجدفين حقيقيين على الروح القدس ، لأنهم لم يؤمنوا بالسيد المسيح ، رغم ما سمعوا وعاينوا من آيات ومعجزات باهرات صنعها تأييداً لرسالته الإلهية . وقد جحدوا يسوع المسيح لأنهم كانوا محبين للمادة ، والسلطة والجاه العالمى .

لنتعلمن من سيدنا يسوع المسيح كيف نسالم جميع الناس ، ونصنع الخير مع الجميع ، حتى مع أعدائنا أنفسهم ، ولنخف أن نكون مفرطين فى محبة الدنيا الفانية . لأنه من المحال أن نحب السماء والأرض ، الله والمال .

قال يسوع : « لا يستطيع أحد أن يعبد ربين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر . لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) .

الأحد الرابع من بابه

إقامة ابن أرملة نائين

فصل من إنجيل لوقا ٧ : ١١ — ١٧

وفى اليوم التالى كان منطلقاً إلى مدينة اسمها نائين وكان تلاميذه وجمع كثير منطلقين معه . فلما قرب من باب المدينة إذا ميت محمول وهو ابن وحيد لأمه وكانت أرملة وكان معها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى . ودنا ولمس النعش فوقف الحاملون فقال أيها الشاب لك أقول قم . فاستوى الميت وبدأ يتكلم فسلمه إلى أمه . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين لقد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه. وذاع عن يسوع هذا الخبر فى كل اليهودية وجميع النواحى التى حولها .

صنع يسوع هذه الأعجوبة فى مدينة نائين ، وهى احدى مدن الجليل ، الواقعة عند سفح جبل حرمون . وكان ذلك فى السنة الثانية من حياة يسوع العامة .

« وكان تلاميذه وجمع كثير منطلقين معه » فأينما توجه يسوع المعلم الإلهى ، كانت الجموع تتبعه ، متعطشة الى سماع كلمته المحيية ، ومشاهدة أعاجيبه الباهرة .

فكانت تعاليم يسوع تخرج من فمه الأقدس ، كالمياه الحلوة الجارية ، تروى غليل نفوسهم العطشى وقلوبهم الظمأى، ولاسيما ان هذه التعاليم كانت مصحوبة دوما بعجائب خارقة ، جاءت مصداقا لصحة هذه التعاليم نفسها ، وعظمة المسيح المخلص.

٭ ٭ ٭

بالقرب من باب نائين ، أى فى النقطة الأكثر حركة من المدينة ، حيث اعتاد اليهود أن يقيموا أسواقهم ومحاكمهم ، ها ان الجماعة التى تحيط بيسوع تصطدم بجماعة أخرى كبيرة ، خارجة من المدينة تحمل ميتاً شاباً ، وحيداً لأم أرملة .

وهذه الملاقاة بين الموكبين ، فى تلك النقطة من المدينة ، لم تكن بحت مصادفة ، بل نتيجة تدبير إلهى ، لكى يشاهد المعجزة ، التى أزمع يسوع صنعها ، أكبر عدد ممكن من اليهود ، والأمم المنتمية الى بلدان وأديان مختلفة (١) . وذلك تعظيماً لمجد الله وابنه يسوع المسيح مخلص العالم .

---

(١) فقد كان يقطن الجليل عدد كبير من الرومانيين واليونانيين ، وغيرهم من الأجانب .

وكانت أم الميت تتبع النعش حزينة ، غير متعزية ، تبكى وحيدها الفقيد بدموع حارة تذرفها مدراراً . أجل ، ان أهل مدينتها خرجوا جماعات لتشييع ابنها لمثواه الأخير ، ولكن ترى أتستطيع ثاكل أن تتعزّى ، وقد فقدت بفقدان ابنها الوحيد ، موضوع حبها وآمالها ، كل تعزية وسند فى الدنيا ؟!

غير أن قلب يسوع ، وهو القلب الذى جبل على الرحمة والرأفة ، إذ رأى هذه المسكينة ، وما هى فيه من ضيق وكرب « تحنن عليها » ، وبسلطانه الإلهى أمرها أن تكف عن البكاء . فوضع بهذا الأمر فى قلبها الرجاء والطمأنينة !

قال للمرأة «لاتبكى» ، وفى جلال شخصه الإلهى تقدم الى النعش ولمسه بيده ، فوقف الحاملون ، وتوجهت الأنظار كلها نحو يسوع . فقال للميت بسلطان : « أيها الشاب ، لك أقول قم » فاستوى الميت وبدأ يتكلم . فأخذه يسوع من يده وسلمه الى أمه حياً معافىً !

* * *

وكان من أثر هذه الأعجوبة ، التى أظهر بها يسوع قدرته الإلهية ، وسلطانه المطلق على الحياة والموت ، أن موجة قوية من الخوف ، الذى يعترى الانسان أمام كل ظاهرة تفوق قوى الطبيعة ، تسلطت على الجموع ، الذين لم يشاهدوا ولم يسمعوا من قبل بمثل هذه المعجزات العظيمة !

أجل ، ان بعض الأنبياء كإيليا وأليشاع صنعوا مثل هذه العجائب ، ولكن بإذن الله وقدرته تعالى . أما يسوع فبقوته الخاصة ، من غير أن يلجأ الى صلاة أو تضرع ، كما كان يفعل هؤلاء الأنبياء .

لكنَّ خوف الجمهور هـذا ما لبث أن تحوَّل الى فرح شامل عمَّ الجميع . فطفقوا يمجدون الله قائلين : « لقد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه » . وبذا اعترفوا أن يسوع هو المخلص المنتظر ، لأن النبى العظيم الذى كان ينتظره آنئذ اليهود والأمم هو المسيح مخلص العالم !

* * *

ومما هو جدير باعتبارنا أن يسوع بهذه الأعجوبة الخارقة يعلمنا عملياً ، أن مَن يؤمن به — وهو رب الحياة والموت — وإن مات فلن يموت الى الأبد . لأن يسوع نفسه سوف يأتى ويُقيمه من بين الأموات . ولكن لا مثلما أقام ابن أرملة نائين ليموت مرة أخرى ، بل ليحيا الى الأبد ، حياة مجيدة ، لا موت بعدها.

وعليه فليس الموت عند المؤمن — ونعنى بالمؤمن المسيحى ، الذى يجدّ فى أن تكون أعماله طبقاً لمبادىء ايمانه — هو ذلك الشبح المخيف ، الذى ترتعد له فرائص الذين لا رجاء لهم ، لأنه ينذرهم بسوء مصيرهم الأبدى .

بل بشير الخيرات المقبلة التى أعدها الله لمحبيه ، المنذر ببداية حياة سعيدة حقاً تدوم الى الأبد . تلك الحياة والخيرات التى تتمتع بها النفس بعد الموت ، عاجلا أو آجلا ، ويشترك فيها الجسد فى اليوم الأخير عند سماع البوق .

وعلى ذلك فالحكمة تتطلب منا أن لانرهب الموت ، بقدر ما يجب أن نستعد له بصلاح السيرة وحياة مسيحية حقة .

إن مثل هذا الاستعداد خليق بأن يجعل فينا من الشجاعة ما يكفينا مؤونة شر تلك الساعة الأخيرة . وهى ولا شك ، أرهب ساعة فى كيان الانسان كله . فنواجه النهاية المحتومة من غير ما اضطراب أو قلق ، بل مطمئنين وعلى أتم ما يكون من الهدوء .

لأن صورة الموت ، تلك الصورة الرهيبة ، تتحول إذ ذاك بإذن الله إلى صورة رسول سلام ، يبشرنا بالانتقال من دار الغربة والفناء إلى دار البقاء والوطن العزيز ، حيث الخلود والأفراح الدائمة .

ضرورة الاستعداد للجهاد الأخير :

أما كون هذا الاستعداد للموت هو أمر ضرورى للغاية ، لا يمكن أن يعفينا منه شىء فى الدنيا ، فهو ما يظهر لنا جلياً من حادث وفاة هذا الشاب الذى أقامه يسوع .

فهذا الشاب لم ينفعه أنه كان فى مقتبل العمر ، وعنفوان الشباب ، ولا كونه وحيداً ، والسند الوحيد لأُم أرملة ؛ ولا كونه محبوباً مكرماً من عشيرته وبين قومه . وأخيراً لم تدفع عنه براثن المنية تلك الدموع الغزيرة التى سكبتها أُمه عند فراشه قبل الموت .

إذن فإن شئنا أن نموت فى الرب ، موت المؤمنين وأبناء الله البررة فلا بد لنا من السهر والاستعداد . ولذا فقد أوصانا يسوع قائلا : « اسهروا إذن فانكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة » (مت ٢٥ : ١٣)

٭٭٭

يسوع المسيح هو القيامة والحياة ، وأعجوبة قيامة ابن الأرملة ، جاءت دليلا ومصداقاً على ذلك .

بيد أن يسوع المسيح لا يهب الحياة والقيامة ، إلا لتلاميذه وعبيده الأمناء وهم الذين عاشوا فى هذه الحياة العاجلة بروح التقوى ومخافة الله .

قال يسوع : « تأتى ساعة يسمع فيها جميع مَن فى القبور ابن الله ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٩) أى للحكم عليهم بالهلاك الأبدى .

لنحىَ نحن بروح الإيمان والتقوى حسبما نهجهما لنا يسوع المسيح فى إنجيله الطاهر ، فنحظى بالحياة وقيامة مجيدة . ولنكسرن منذ الآن شوكة الموت وغلبته بإقصاء قلوبنا عن حب العالم وشهواته السريعة الزوال .

الأحد الأول من هاتور

مثـــل الزرع

فصل من إنجيل لوقا ٨ : ٤ — ١٥

فلما اجتمع جمع كثير وأتوا إليه من جميع المدن قال بمثل . خرج الزارع ليزرع زرعه وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق فوطىء وأكلته طيور السماء . والبعض سقط على الصخر فلما نبت يبس لأنه لم تكن له رطوبة . وبعض سقط بين الشوك فنبت الشوك معه فخنقه . وبعض سقط على الأرض الصالحة فلما نبت أثمر مئة ضعف . قال هذا ونادى من له أذنان سامعتان فليسمع . فسأله تلاميذه ما هذا المثل . فقال لهم أنتم قد أعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله وأما الباقون فأ كلهم بأمثال لكى ينظروا ولاينظروا ويسمعوا ولا يفهموا . وهذا هو المثل . الزرع هو كلمة الله . والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس ويذهب بالكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا والذين على الصخر هم الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها بفرح ولكن ليس لهم أصل وإنما يؤمنون إلى حين وفى وقت التجربة يرتدون . والذى سقط فى الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون بالهموم والغنى وملذات الحياة فلا يأتون بثمر . وأما الذى سقط فى الأرض الجيدة فهم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد وصالح ويثمرون بالصبر .

مثل الزرع هو أحد الأمثال التى تنازل السيد المسيح وشرحها لنا بنفسه ، ولذا فى استطاعة كل انسان فهمه دون حاجة إلى كثير من التأويلات . على ان زرع كلمة الله ، كأى زرع آخر ، لا يمكن ان يأتى بثمر البتة ، إلا إذا قبلته أرض جيدة وتربة خصيبة .

ومن المعلوم ان التربة الخصيبة والأرض الجيدة ، التى تصلح لزرع كلمة الله ، هى النفوس التقية الصالحة دون سواها .

١ — النفوس التى تشبه الطريق :

وعلى ذلك فإن صادف هذا الزرع نفوساً هى أشبه ما يكون بطريق عام مفتوح للجميع ، فقل انه زرع تبدد . لأن المارة ، ويجب أن يفهم بذلك غرور العالم وأباطيله ، تطأه . بمعنى أنها تبدده وتفنيه فى هذه النفوس ، المكنى عنها بالطريق

كما وأن العدو ، وهو إبليس ، يأتى ويسلب من هذه النفوس التعيسة ، البقية الباقية من الزرع ، بحيث لا يعود لها أى أمل من بعد فى نوال الخلاص .

وإليك الآن نص تفسير السيد المسيـــح : « والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس ويذهب بالكلمة من قلوبهم ، لئلا يؤمنوا فيخلصوا » .

يأتى إبليس ويذهب بالكلمة من قلوبهم ، ولكن ليس بدون رضاهم ، بل برضاهم التام ومطلق حريتهم . إن عدد هذه النفوس ، التى تنقاد لمشورة إبليس ، عدو جنسنا الألد، أكثر من إنقيادها لمشورة الله الآمر بإتباع الخير وتجنب الشر ، هو فى الواقع أكثر مما يظن .

فى جملة هذه النفوس المنكودة الحظ ، يجب أن نحصى كل المسيحيين الذين يحضرون الكنيسة والاجتماع ، لا لغاية أخرى ، سوى إنتقاد الواعظ . وكذا الذين يحضرون لداعى الفضول فقط ، واستماع أشياء جديدة .

ثم الذين يحضرون الوعظة ، كما لو حضروا أية محاضرة دنيوية ، دون أى استعداد داخلى لإصلاح سيرتهم والذين يحضرون للمتعة ، وإلفات النظر ، وحب الظهور ، وما إلى ذلك من أغراض وغايات بشرية بحتة .

٢ — النفوس التى تشبه الأرض الصخرية :

كذلك كلمة الله لا تثمر مطلقاً ، وبالتالى فهى كلمة ذهبت مع الريح ، متى صادفت نفوساً هى أشبه ما يكون بأرض صخرية ، تمسُّها الكلمة من الخارج ، دون أن تنفذ إلى أعماقها ، لأنها قاسية صلبة كالجلمود .

إلى هذه النفوس يشير السيد المسيح فى تفسيره المثل بقوله : « والذين على الصخر ، هم الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها بفرح ، ولكن ليس لهم أصل . وإنما يؤمنون إلى حين . وفى وقت التجربة يرتدون »

بين هذه النفوس القاسية القلب ، الضعيفة الارادة ، التى لا ثبات لها ، والتى تنهار قواها أمام كل عقبة كأداء ، دون أن تستقر على رأى أبداً ، يجب أن نحصى المترددين كافة ، وكل الذين يمشون مع كل هواء ، وريح تعليم جديد .

فهؤلاء وإن أظهروا ، فى بعض الأحيان ، بعض العبادة ، فلا يمكن الاعتماد عليهم ، لأنهم متزعزعون ، وغير راسخين فى الايمان . إنهم يسمعون كلمة الله ، ولكنهم لا يودعونها قلوبهم ليرجعوا إليها عند التجربة . ولذلك فإن ديانتهم أيضاً باطلة .

وكيف يثبتون طويلا فى الايمان ، وهم لا يتأملون قط الكلمة التى سمعوها ؟ لأن كل مَن لا يفقه كلمة الله ، ولا يُريد أن يتعمق فى معرفتها ، لتثبت فيه ، ويثبت هو فيها فإنه يعرّض نفسه لا محالة ، لاتباع كل تعليم يُعجب ، من غير ما تمييز بين الغث والثمين ، وبين الردىء والصالح ، والصادق والذى له شبه الصدق فقط .

٣ — النفوس التى تشبه الأرض المشوكة :

إن كلمة الله كذلك ، لا يمكن أن تثمر بتاتاً ، وبالتالى فهى كلمة ذهبت هباءً ، كل مرة وجدت نفوساً هى أشبه بالحيوانات منها للبشر ، استبدلت مجد الآخرة بقليل من حطام الدنيا ، وجعلت من أباطيل العالم من غنى ولذات كل غاية كيانها .

قال يسوع « والذى سقط فى الشوك ، هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون بالهموم والغنى وملذات الحياة ، فلا يأتون بثمر » .

فالغنى واللذات وكرامات هذا العالم الباطلة ، حسب تعليم السيد المسيح هذا الصريح هى : أشواك تخنق فتقتل ، وتوخز القلب فتدميه ، بل وتستنزفه نزفاً يعقبه موت أكيد أبدى لا محالة .

٤ — النفوس التى تشبه الأرض الطيبة :

والآن كلمة عن النفوس المختارة القليلة ، المكنى عنها فى المثل بالأرض الجيدة والتى تثمر فيها كلمة الله ، الواحدة الثلاثين ، والأخرى الستين ، وبعضها المئة .

إلى هذه النفوس يشير الرب بقوله : « وأما الذى سقط فى الأرض الجيدة فهم الذين يسمعون الكلمة ، فيحفظونها فى قلب جيد وصالح ، ويثمرون بالصبر »

وعليه فالأرض الجيدة، التى تصلح لبذرة كلمة الله هى النفوس التى تسمع كلمة الله بخشوع كلى، تودعها قلبها بكل عناية، وتجدُّ فى تأملها والرجوع إليها عند الحاجة.

إن أمثال هذه النفوس البارة تجدُّ على الدوام، فى تنقية قلبها من كل زرع غريب، ليس هو كلمة الله: تعاليم الكفر والالحاد، ثم الهرطقة ومفسدات الأخلاق، حب الغنى وملذات الحياة بافراط، وذلك فى أناة وصبر كثير.

* * *

وبعد أتشعر، أيها المستمع الكريم، بحاجة إلى سماع الكلمة؟ ومتى سمعتها أتسمعها بخشوع وانتباه؟ ثم أأودعتها دائماً قلبك لحفظها وتنميتها، وذلك بتأمل مستديم؟ وبالتالى أأنت مجد فى تطهير قلبك من حب العالم وشهواته، وذلك بعمل جدى متواصل؟

وبالإيجاز أكلمة الله أثمرت فيك المئة، أو على الأقل الستين أو الثلاثين؟ ثم أأنت مطمئن من جهة أمر خلاصك والفوز بالحياة الأبدية؟

فانهض إذن من غفلتك، وليكن رائدك الصلاة والسهر والعمل مع النعمة جنباً إلى جنب، مخافة أن تشبه نفسك الطريق، أو أرض صخرية أو مشوكة، فتنظر ولا تنظر وتسمع ولا تفهم!

الأحد الثانى من هاتور

مثل الزرع

فصل من إنجيل متى ١٣ : ١ — ٩

فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس إلى جانب البحر . فاجتمع إليه جموع كثيرة حتى إنه ركب السفينة وجلس . وكان الجمع كله قائماً على شاطىء البحر . فكلمهم بأمثال كثيرة قائلا : هوذا الزارع خرج ليزرع . وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق فأتت طيور السماء وأكلته . والبعض سقط على أرض حجرة حيث لم يكن له تراب كثير فللوقت نبت إذ ليس له عمق تراب ، فلما شرقت الشمس احترق وحيث لم يكن له أصل يبس . وبعض سقط فى الشوك فطلع الشوك وخنقه . وبعض سقط فى الأرض الجيدة فأعطى ثمراً الواحد مئة والآخر ستين والآخر ثلاثين . من له أذنان سامعتان فليسمع .

مثل الزرع هو أول مثل نطق به السيد المسيح ، ولذا فإن التلاميذ تعجبوا من أن معلمهم الالهى يخاطب الجمهور بهذا الأسلوب ، الذى لم يألفوه منه ، وسألوه قائلين : لماذا تكلمهم بأمثال ؟

على هذا السؤال البرىء أجاب يسوع بقوله : « أنتم قد أُعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله ، أما الباقون — وقد عنى بذلك الكتبة والفريسيين ، ومَن حذا حذوهم — فأكلمهم بأمثال لكى ينظروا ولا ينظروا ، ويسمعوا ولا يفهموا » (لو ٨ : ١٠) .

وعلى ذلك فإن يسوع يضرب الأمثال لقصد معيَّن ، ألا وهو عدم تعريض جواهر حكمته وتعاليمه السماوية ، لتهكم هؤلاء الرؤساء الحمق ، الذين لم يقدّروا هذه الجواهر والتعاليم السماوية حق قدرها .

فالأمثال ، ولاسيما التى لا يحاول المرء فهمها باستقامة نية ، هى كالكتاب المختوم الذى لم تُفضّ ختومه ، صاحبه ينظر ولا ينظر ، ينظر الظواهر لا الجواهر ، أو كاللغة الأجنبية تُسمع ولا تُفهم .

هذا وجه خاص ، كشف عنه المسيح لتلاميذه ، ليبيّن لهم أنه بقدر ما بُذل

كبرياء المتكبرين ، يرفع المتواضعين ، بل وكأنى بهم أصدقاء له أوفياء يطلعهم على دخيلة أسراره ، التى لا تثمن بثمن !

غير أن يسوع ، وإن لم يكشف إلا عن هذا الوجه الخاص بعينه ، فمع ذلك لا يمكن أن ننكر ما للأمثال من مزايا حسنة كثيرة ، ليست لغيرها من أنواع التعبير : كسهولة الحفظ ، وإثارة اهتمام السامع لاكتشاف ما حوت من تعليم أدبي أو نظرى خفى . وذلك عن طريق الفحص وتأملها الملى ، أو بطلب تفسيرها ممن له خبرة بذلك ، هكذا كما فعل الرسل .

وحيث إن للأمثال كل هذه المزايا ، فلا عجب أن يكثر يسوع من استخدام الأمثال فى تعليمه الشعب ، الذى يمل ، فى العادة ، الأسلوب المنطقى ويفضل عليه القصة والمثل (١) .

قال يسوع فى تفسير مثله الأول : « الزرع هو كلمة الله » وقد شبّه المخلص بصواب كلمة الله بالزرع ، لأنه كما إن الزرع هو مبدأ وأساس الحياة المادية ، كذلك الكلمة هى ، دون جدال ، مبدأ وأساس الحياة العقلية .

ذلك إنه عن الكلمة ، والكلمة المسموعة بالذات ، تنشأ وتتكون جل خواطرنا وأفكارنا ، وبالتالى أحكامنا ، حبنا وتقديرنا للأشياء .

فهى التى تغرس فينا المبادىء ، وهى التى تُنمى وتُربّى فينا الملكات ، ألا وأعنى بذلك القواعد الأساسية لسلوكنا وكل تصرفاتنا .

غير أن الكلمة ، كما لا يخفى ، إما جيدة وإما رديئة . كلمة جيدة هى ، بلا شك كلمة الله . وكذلك كل كلمة مطابقة لهذه الكلمة ، أو على الأقل غير مناقضة لها .

بعكس ذلك هى رديئة ، كل كلمة بمنأى عن تعاليم الإنجيل كلمة الله المحيية ، وبالأحرى كل كلمة مناقضة لهذه التعاليم السماوية وسواء أنطق كبير أم صغير بهذه الكلمة النابية ، غير المطابقة للإنجيل ، يجب أن تنبذ نبذ كل ما هو ضار وسام وقتّال .

---

(١) يبلغ عـــدد الأمثال التى وردت فى إنجيل كل من متى ومرقس ولوقا ، حسب إحصاء أغلب المفسرين ، ما يقرب من الثلاثين مثلا .

وقد تراءف الله بالإنسان ، فأعطاه كلمته مذ خلقه ووضعه فى فردوس النعيم الأرضى . وتابع الله زرع كلمته فى الأجيال الخوالى ، بواسطة الآباء والأنبياء القديسين .

ولما جاء ملء الزمان كلمنا بواسطة ابنه الوحيد يسوع المسيح مخلصنا . ثم من بعد صعود الرب يسوع ، عمل الرسل على نشر كلمة الله فى كل البقاع والأصقاع ، وذلك تنفيذاً لوصية المعلم الإلهى القائل : « إذهبوا وتلمذوا كل الأمم » .

ومن بعد الرسل ما زالت الكنيسة حريصة على تأدية رسالتها هذه القدسية ، ألا وهى بذر كلمة الله بين كل شعوب الأرض ، بجد ونشاط لا يعرفان الكلل . وذلك رغم ما يصادف أبناؤها من اضطهادات عنيفة من أركان العالم الشرير .

على أن كلمة الله ، وإن هى من الخصب والحيوية ، بحيث إنها تستطيع أن تأتى فى النفوس الصالحة بأينع الثمار ، فى النفوس الرديئة التى شبهها المخلص بالطريق العام ، والأرض الحجرة ، والأرض المشوكة ، فلا يمكن أن تأتى بثمر ألبتة .

وسبب ذلك ، هو أن النوع الأول من النفوس ، وهى التى أذلها إبليس ، وقد قبلت حال العبودية طائعة مختارة ، لا ترضى عنها بديلا ، تسمع ولا تفهم . ولذا فلا عجب ، أن المارة أى التعاليم الزائغة تتغلب فيها على كلمة الله ، وأن عصافير السماء أى التشتتات ، التى مصدرها الشيطان تذهب بالكلمة قبل أن تتأصل فيها .

أما النوع الثانى من النفوس ، فلا تثمر فيه كلمة الله ، لأنه جبان لا عزم له ولا قوة ، بحيث إنه عند أول تجربة يتقهقر متخاذلا .

أما النوع الثالث ، فلا تثمر فيه كلمة الله ، لإنهماكه فى اللذات وطلب خيرات هذا العالم الفانية بإفراط .

هذه عقبات ثلاث ، يجب أن نتغلب عليها بنعمة الله ، فتثمر فينا كلمته ، كل بحسب اجتهاده ومجاوبته على النعمة . الواحد مائة ، والآخر ستين ، والآخر ثلاثين .

الأحد الثالث من هاتور

فى محبة يسوع وحمل الصليب

فصل من إنجيل لوقا ١٤ : ٢٥ — ٣٥

وكان يسير معه جموع كثيرون فالتفت وقال لهم . إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وبنيه وإخوته وأخواته ، بل نفسه أيضاً فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً . فانه من منكم يريد أن يبنى برجاً ولا يجلس أولا ويحسب النفقة هل عنده ما يكمله به . لئلا يضع الأساس ثم يعجز عن الإتمام فيبتدئ جميع الناظرين يسخرون منه . قائلين إن هذا الرجل قد شرع فى بناء ولم يستطع أن يتم . أم أى ملك يخرج ليحارب ملكا آخر ولا يجلس أولا ويشاور نفسه هل يستطيع أن يلاقى بعشرة آلاف من يأتى عليه بعشرين ألفاً . وإلا فيرسل سفارة وهو بعيد ويلتمس ما هو من أمر الصلح . فكذلك كل واحد منكم إن لم يرفض جميع أمواله فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً . الملح جيد ولكن إذا فسد الملح فبماذا يملح . إنه لا يصلح للأرض ولا للمزبلة بل يطرح خارجا . من له أذنان سامعتان فليسمع .

هذا الفصل من الإنجيل هو عبارة عن خطاب فريد للسيد المسيح موجه ، بنوع خاص ، إلينا نحن معشر المسيحيين تلاميذه .

وقد بدأه هكذا « إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباهُ وأمه ، وامرأته وبنيه ، وإخوته وأخواته ، بل نفسه أيضاً ، فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً » .

ويعنى يسوع هنا ببغض الأب والأم والمرأة والبنين والإخوة والأخوات ، وهم أعز المخلوقات لدى الإنسان ، عدم تفضيل أحد من الناس ، مهما كانت صلة المودة والقرابة والدم التى تربطنا به ، عليه تعالى .

وهو ما يبدو لنا جلياً من مقارنة هذه الآية بما جاء فى متى ١٠ : ٣٧ « ومن أحب أباه أو أمه أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابنه أو ابنته أكثر منى فلا يستحقنى »

وعليه فقد حُرم علينا أن نحب مخلوقاً ألبتة ، ولو كان أباً أو أماً أو ابناً ... لا بل حتى أنفسنا ، أكثر من ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح .

إن محبتنا ليسوع المسيح مخلصنا يجب أن تكون من السمو ، بحيث إن محبتنا للقريب ولأنفسنا ، لو جاز هذا التعبير ، يجب أن تكون كالبغض بإزاء الحب . ويجب أن نحب يسوع هذه المحبة السامية ، لا بوصفه إلهاً مساوياً لأبيه فى الجوهر فحسب ، بل وبوصفه الإنسان يسوع أيضاً « بكر كل خلق » (كو ١ : ١٥) الذى رضى الآب « أن يصالح به الجميع لنفسه ، مسالماً بدم صليبه ، ما على الأرض وما فى السماوات » (كو ١ : ٢٠)

وعلى ذلك فإن كل من لا يحب ربنا يسوع المسيح بهذه المحبة السامية ، التى تليق به ، كإله وإنسان على حد سواء ، فلا رجاء له مطلقاً فى الخلاص لأن يسوع نفسه لايعتبره من أتباعه وتلاميذه . فقد قال بصريح العبارة : « من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً »

غير أن محبتنا للسيد المسيح ، وإن تفضيلية وسامية ، فلا قيمة لها ، إن لم تكن عملية أيضاً . فينبغى إذن أن نكون على الدوام مستعدين لكل تضحية فى سبيل محبة يسوع إلهنا ، وأن نجاهد ، لو اقتضى الأمر ، ببذل أرواحنا ودمائنا .

بيد أن يسوع ، وإن لم يطلب مثل هذه التضحية الأخيرة ، إلا من بعض نفوس مختارة قليلة ، فمع ذلك يطلب من جميع تلاميذه دون استثناء ، أن يحمل كل واحد صليبه كل يوم ، ويتبعه إلى آخر نسمة من الحياة .

قال : « ومن لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً » وفى باب آخر قال : « من أراد أن يتبعنى فليكفر بنفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » (لو ٩ : ٢٣)

أما الصليب الذى ينبغى أن نحمله عن رضى وطيبة خاطر ، هكذا كما حمل المسيح صليبه ، فهو كناية عن الشدائد والبلايا التى تعترضنا ، عن الأمراض ومصائب الدهر وصروفه ، التى لا حصر لها . مما يُذكرنا بأننا لم نخلق للأرضيات وأن السعادة والراحة الحقيقيتين لا توجدان فى هذه الحياة الدنيا ، بل فى الآخرة وما من شك فى أن الصليب هو أعظم وسيلة للتكفير عن الخطايا ، وهو

علامة خلاص لا ريب فيها . قال صاحب كتاب « الإقتداء بالمسيح » :

« فى الصليب الخلاص . فى الصليب الحياة . فى الصليب الحماية من الأعداء . فى الصليب فيضان اللذة العلوية . فى الصليب قوة العقل . فى الصليب فرح الروح . فى الصليب تمام الفضيلة . فى الصليب كمال القداسة .

لا خلاص للنفس ، ولا رجاء فى الحياة الأبدية ، إلا بالصليب . فاحمل إذن صليبك واتبع يسوع ، تذهب إلى الحياة الأبدية . فانه تقدس اسمه ، قد سبقك وهو حامل صليبه ، ومات على الصليب من أجلك ، لكى تحمل أنت أيضاً صليبك وتشتهى أن تموت على الصليب . لأنك إن مت معه ستحيا أيضاً معه . وإن شاركته فى العذاب ستشاركه فى المجد »

فاقبل إذن صليبك من يد الله شاكراً . ولا تطلب منه تعالى أن يرفع عنك الصليب . كما لا يحسن بك أن تطلب منه أن يبادلك صليبك بصليب آخر ، ولاسيما إن الله ، وهو الحكمة والرحمة بالذات ، لا يحمل أحداً بما لا طاقة له به .

حكى عن أحد الأتقياء ، ولم يكن له ولد ، أنه طلب من الله أن يرفع عنه هذا الصليب ، لأن لا طاقة له به . أو على الأقل أن يبادله إياه بآخر .

طلب صاحبنا طلبته ، وها هو فى الليلة التالية يرى فى المنام ، أنه أمام غابة ملآنة بالصلبان . وسمع صوتاً يقول له : « إن الله لا يرضى عنك أن تكون من غير صليب ، ولكنه يطلق لك الحرية فى اختيار الصليب الذى يروقك . فادخل الغابة واختر الصليب الذى تراه يناسبك »

فدخل الغابة فرحاً ، وأخذ يجول بين الصلبان ، باحثاً عن صليب يوافقه . أخيراً وجد صليباً صغيراً ، كتب عليه : « تأكل خبزك يوماً بيوم » أعجبه كثيراً فحمله فرحاً ، ولكنه لم يخط به عدة خطوات ، حتى سقط به مغشياً عليه .

ولما أفاق ، وبعد جهد جاهد ، وجد صليباً آخر أصغر من الأول . كتب عليه : «صداع خفيف ينتابك يومياً عند المساء» فأخذه وحمله على عاتقيه ، ولكن سرعان ما خانته قواه كالمرة الأولى .

وكان فى طريقه عند باب الخروج ، فوجد ضالته فى صليب صغير جداً ،

فحمله بسرور بالغ وأسرع به إلى بيته . ولشدة فرحه به ، لم يقرأ الكتابة التى عليه فلما وصل إلى البيت ووضعه على الأرض يتأمله ، عرف أنه صليبه عينه ، الذى كان قد تركه عند مدخل الغابة . وإذ قرأ عليه الكلمات « لن يكون لك ولد » قام من نومه فزعاً ... إنقشع الفزع ، وقد فهم الرجل ، أن الله يرى أن من صالحه أن لا يكون له ولد ، وأن هذا الصليب هو الأنسب له . وأنه لو أعطى صليباً آخر لما تحمل .

الأحد الرابع من هاتور

الشاب الغنى

فصل من إنجيل مرقس ١٠ : ١٧ — ٣٥

وبينما هو خارج إلى الطريق أسرع إليه رجل وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحاً إنه لا صالح إلا الله وحده . قد عرفت الوصايا لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تخن أ كرم أباك وأمك . فأجاب وقال له يا معلم كل هذا قد حفظته منذ صباى . فنظر إليه يسوع وأحبه وقال له واحدة تنقصك اذهب وبع كل ما لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى ، فاكتأب من هذا الكلام ومضى حزيناً لأنه كان ذا مال كثير . فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه ما أعسر على ذوى الأموال أن يدخلوا ملكوت الله . فانذهل التلاميذ لكلماته . فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم يا بنى ما أعسر على المتكلين على الأموال أن يدخلوا ملكوت الله . إنه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب الإبرة من أن يدخل غنى ملكوت الله . فازدادوا دهشاً قائلين فيما بينهم من يستطيع إذن أن يخلص . فنظر إليهم يسوع وقال لهم أما عند الناس فلا يستطاع وأما عند الله فليس كذلك لأن كل شىء عند الله مستطاع . فجعل بطرس يقول له هوذا نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك . فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم إنه ما من أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو بنين أو حقولا لأجل اسمى ولأجل الإنجيل . إلا يأخذ مئة ضعف . أما فى هذا الزمان فبيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وبنين وحقولا مع اضطهادات وأما فى الدهر الآتى فالحياة الأبدية. وكثيرون من الأولين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون أولين .

إنه رجل من أعيان الشعب ، ورئيس من الرؤساء ، محب لدنياه ، ولكنه لا يغض الطرف عن آخرته : إن أمر الخلاص الأبدى يهمه أيما اهتمام ، دليل

ذلك عزمه الثابت على حفظ كل وصايا الله منذ نعومة أظفاره .

ولكن ما هذا التناقض العجيب ، تُرى أيستطيع المرء أن يعبد الله والمال ، أن يُرضى ضميره والعالم ؟ !

وعلى ذلك فهذا الشاب ، الذى وهبه الله نفساً تواقة إلى الكمال ، يشعر رغم حبه للمال وجاه الدنيا العريض ، بصغر وتفاهة هذه الأشياء الدنيوية ، وأنه لا يسلك الطريق السوى المؤدى إلى الحياة .

وهذا الشعور المقرون بشعور آخر ، هو شعور الخوف من سوء المصير والعاقبة ، يجعله فى حالة هى أشبه بالاضطراب والحيرة .

فإلى من يلجأ ؟ أإلى الكتبة والفريسيين ، أولئك القادة العميان ، الذين « يحزمون أحمالا ثقيلة ، شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ، ولا يريدون أن يحركوها بإحدى أصابعهم » (مت ٢٣ : ٤)

بل إلى يسوع ، المعلم الصالح ، الذى عرف فيه كل صلاح وعدم المحاباة للوجوه . بلى ، إنه المعلم الوحيد ، الذى يستطيع أن يرشد قدميه إلى سبل الاستقامة ، وينير أمامه الطريق إلى المثل العليا ، التى كانت تطمح إليها على الدوام نفسه ، والتى عبثاً كان ينشدها عند معلمى إسرائيل .

فتقدَّم إلى يسوع ، وفى أدب جم طلب منه أن يرشده إلى ضالته : إنه يريد أن يعرف ، على وجه التحقيق ، أقرب الطرق ، التى تؤدى به بكل تأكيد إلى الحياة الأبدية .

قال له : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ولماذا تسألنى عن الصلاح ؟ إن الصالح واحد ، وهو الله . ولكن إن كنت تريد أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

فكأنى بيسوع يقول له : لِمَ هذا السؤال ؟ ألا تعلم أن الخير الأعظم ، الصالح بالذات ، هو واحد ، وهو الله ، ونحو هذا الصالح يجب أن يوجه الإنسان كل أفكاره وأشواق قلبه . وأنه لا بد لدخول الحياة من عمل إرادته المقدسة ، التى تظهر لنا بجلاء فى الوصايا .

ولكن ترى عن أية وصايا يتكلم المعلم الإلهى ، عن وصايا الله أم عن وصايا الكتبة والفريسيين ، علماء بنى اسرائيل ، الذين أضافوا إلى وصايا الله أكثر من ستمائة وصية ، زعموا انها جميعها ضرورية للخلاص !!

من هنا سؤال الشاب ، وماهى ؟ قال له يسوع : قد عرفتها ، لاتقتل ، لاتزن ، لاتسرق ، لاتشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ، أحبب قريبك كنفسك .

إن كلمات يسوع هذه ، التى تعلن بوضوح انه يكفى حفظ وصايا الله لدخول الحياة الأبدية ، جعلت شابنا يطمئن ايما إطمئنان ، ولاسيما إنه كان عاكفاً على حفظ هذه الوصايا منذ صباهُ .

غير أنه كان مازال يشعر ، فى أعماق نفسه ، أن شيئاً ينقصه ، ولذا قال ليسوع كل هذا قد حفظته منذ صباى ، فماذا ينقصنى بعد ؟

فلما سمع يسوع ذلك ، نظر إليه بحنان وأحبه ، ووجّه إليه الدعوة للانضمام إلى مصاف تلاميذه . قال له : واحدة تنقصك ، إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل مالك ، وأعطه للمساكين ، فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى .

أى إنك لاتقنع بدخول الحياة الأبدية ، بل وتروم أن يكون لك هناك كنز عظيم من المجد ، فاترك المال الذى يقف دونك والكمال حجر عثرة ، وتعال اتبعنى ناهجاً نفس نظام الحياة ، الذى وضعته أنا لرسلى وكل تلاميذى المقربين ، ألا وهو طريق الفقر الاختيارى ، والعفاف الكامل ، والطاعة التامة .

دعا يسوع الشاب إلى إتباعه عن قرب ، ولكن من غير أن يضطرهُ إلى ذلك ، فقد قال له : « إن شئت أن تكون كاملا » . ذلك ان حياة العفاف والزهد التام بالعالم ، فى سبيل الكمال وكنز المجد السماوى ، هى من باب المشورة فقط ، لا من باب الوصية .

وعليه يعتنق راغب الكمال ، هذا النوع من الحياة ، وإن بعد دعوة إلهية ، طائعاً مختاراً ، بكامل حريته ومطلق إرادته .

على ان الشاب الذى دعاه يسوع إلى ترك ماله — وكان ذا مال كثير — لم يستطع أن يتغلب على حبه للمال ، ولذا فانهُ لما سمع يسوع يُشير إليه بمثل هذه المشورة اكتأب أيما إكتئاب ، ومضى حزيناً ، كاسف البال ، رافضاً دعوة القداسة هذه التى دعاهُ إليها يسوع !

فتأمل أنت ، أيها القارىء الحبيب ، كم هى مصيبة عظيمة ، وخسارة فادحة لاتقدَّر ، التعَّلق بالمال ، فإن هذا الشاب ، لولا حبه المفرط للمال ، لأصبح ولاشك ، أحد الحواريين الاطهار ، وفاز بنفس المجد ، والعظمة التى فازوا بها .

وحبُّ المال لا يقصينا عن طريق الكمال فحسب ، بل ويضع أنفسنا فى حالة خطر الهلاك الأبدى أيضاً .

وعلى ذلك قال يسوع : « ما أعسر على ذوى الأموال أن يدخلوا ملكوت الله » والسبب ، لا لأن المال شرير فى حد ذاته ، بل لأن الغنىَّ ، فى العادة ، يسىء استعمال المال ، ويعلق قلبه به . وقد يصل ببعضهم أن يجعلوا منه معبودهم المحبب ، وغاية كيانهم . وبذلك يُضحى أمر خلاصهم ضرب من المحال .

وعليه قال يسوع : « ما أعسر على المتكلين على الأموال أن يدخلوا ملكوت الله ، إنه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب الابرة ، من أن يدخل غنى ملكوت الله »

ولكن لكل قاعدة شاذة . فقد يتدارك الله برحمته الواسعة أحد هؤلاء الأغنياء ، فيخلص بنعمته تعالى . بل وان هذه القاعدة تبطل تماماً ، إذا رجع الغنى عن غيِّه ، واستعمل ماله إستعمالا حسناً ، ولاسيما فى وجوه البر .

فما هو عسير على ضعف البشر ، يصبح بنعمة الله تعالى سهلا مستطاعاً . لأن ماهو غير مستطاع عند الناس ، فهو مستطاع عند الله : « لأن كل شىء عند الله مستطاع » .

الأحد الأول من كيهك

عظمة يوحنا المعمدان

فصل من إنجيل لوقا ١ : ١ — ٢٥

إذ كان كثيرون قد أخذوا فى ترتيب قصص الأمور المتيقنة عندنا . كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة . رأيت أنا أيضاً بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز تاوفيلس . لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به .

كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هرون اسمها أليصابات . وكان كلاهما بارين أمام الله سائرين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بغير لوم . ولم يكن لهما ولد لأن اليصابات كانت عاقراً وكانا كلاهما قد تقدما فى أيامهما . وبينما كان يكهن فى نوبة فرقته أمام الله . أصابته القرعة على عادة الكهنوت أن يدخل هيكل الرب ويبخر . وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجا فى وقت التبخير. فتراءى له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فاضطرب زكريا حين رآه ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا فان طلبتك قد استجيبت وامرأتك أليصابات ستلد ابناً فتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده . لأنه يكون عظيما أمام الرب ولا يشرب خمراً ولا مسكراً . ويمتلىء من الروح القدس وهو فى بطن أمه . ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم . وهو يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى حكمة الأبرار ويعد للرب شعباً كاملا . فقال زكريا للملاك بم أعلم هذا فإنى أنا شيخ وامرأتى قد تقدمت فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف أمام الله وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها إنك تكون صامتاً فلا تستطيع أن تتكلم إلى يوم يكون هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى أوانه . وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من إبطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم فعلموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل . وكان يشير إليهم وبقى أبكم . ولما تمت أيام خدمته مضى إلى بيته . ومن بعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته . فاختبأت خمسة أشهر قائلة . هكذا صنع بى الرب فى الأيام التى نظر إلى فيها ليصرف عنى العار بين الناس .

إن عظمة يوحنا ، التى أنبأ بها الملاك جبرائيل بقوله عنه : « إنه سيكون عظيماً أمام الرب » ، يجب أن نبحث عنها لا فى رسالته فحسب ، التى تفوق بمراحل رسالة

كل أنبياء العهد القديم ، بل وفى قداسته ، وكل أطوار حياته الملائكية العجيبة .

إن هذه العظمة تظهر فى ميلاده : فتنجبه أم عاقر تقدّمت هى وبعلها فى الأيام وفى تبريره : قبل أن يشاهد النور ، وذلك بمناسبة زيارة السيدة العذراء لأمه ، وهى حبلى به .

وفى زهده : البـالغ أقصى حدود التصوّف : « وكان لباس يوحنا من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه الجراد وعسل البر» (مر ١ : ٦)

وما أبهى عظمة يوحنا فى تواضعه العميق ! فاعترف ولم ينكر ، واعترف أنى لستُ المسيح (يو ١ : ٢٠) . وكان يكرز قائلا : « إنه يأتى بعدى مَن هو أقوى منى ، وأنا لا أستحق أن أنحنى وأحل سير حذائه » (مر ١ : ٧)

بل وفى غيرته الفذة : على مجد الله وخلاص النفوس . فهو الشهم الذى لا يهاب عظيماً ولا متسلطاً . يقول لهيرودس الملك الفاسق ، لا يحلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك . وللفريسيين والصدوقيين ، الذين كانو يأتون إليه لقبول معموديته من غير أى استعداد باطنى ، وغير تائبين : يا أولاد الأفاعى ، مَن دلكم على الهرب من السخط الآتى .. ها إن الفأس قد وضعت على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلق فى النار » (مت ٣ : ٧ و ١٠)

وحتى فى استشهاده ، ترافق العظمة يوحنا ، فيُسلم رأسه للجلاد شهادة للحق ، وبرا منه لرسالته المجيدة والشاقة معاً .

أما هذه الرسالة ، كما وصفها ، الملاك ، فهى أن يرد بنى اسرائيل ، وقد ضلوا سواء السبيل ، إلى الرب الههم . وحيث إن الأمر ليس من السهولة بشىء ، فقد عُرف شعب بنى اسرائيل ، منذ نشأته ، بقساوة القلب وغلاظة الكبد ، فإن الله سيؤيد يوحنا بروح إيليا وقوته . وبذا يستطيع أن يرد قلوب الآباء إلى الأبناء.

إن الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب لم يكونوا راضين عن أبنائهم شعب إسرائيل ، الذين نكثوا العهود ، وتعدّوا وصايا الرب إلههم .

إن يوحنا بإصلاحه هؤلاء العاقين ، سيرد إليهم قلوب آبائهم الساخطة ، التى

كانت تأبى ، من قبل ، أن تعرفهم كأبناء لهم . وعليه فان مهمة يوحنا هى أن يرد هؤلاء العصاة إلى علم الأبرار . وبالاختصار تهيئة الشعب لقبول البشارة ، وتمهيد الطريق للمسيح المخلص .

☆ ☆ ☆

ومما هو جدير بالاعتبار وتأملنا الملى : صرامة هذا النبى القديس الذى ، وإن وُلد فى حال البرارة ، وعاش طوال حياته فى البرية ، فى عزلة تامة عن العالم وشهواته ، وعن الخطيئة وما يقود إليها من أسباب ومحرضات ، فمع ذلك لم يعف نفسه من الإماتات ، والتقشفات الأكثر خشونة !

لمــــاذا ؟ ليقينه بضرورة هذه الحياة الخشنة والإماتات الصارمة لنوال الخلاص . والسيد المسيح لم يعلمنا تعليمـــاً آخر ، فقد قال : « من وجد نفسه يهلكها ، ومَن أهلك نفسه من أجلى وجدها » (مت ١٠ : ٣٩)

فإذا كان البار ، لا بل والذى وُلد باراً ، لا بدَّ له من إماتة نفسه ، لحفظها فى حال البرارة ، فكم بالحرى لا يحتاج الخاطىء إلى إماتة نفسه ، ذلك الخاطىء الذى ولد فى حال الخطيئة ، وارتكب من المعاصى ما لا يحصى !

وما أبلغ قول هامة الرسل فى هذا الصدد : « إن كان البار بالجهد يخلص ، فالمنافق والخاطىء أين يظهران » (١ بط ٤ : ١٨)

☆ ☆ ☆

والآن كلمة أخيرة عن أبوى يوحنا ، اللذين وصفهما الإنجيلى بقوله :« وكانا كلاهما بارين أمام الله ، سالكين فى جميع وصايا الرب وفرائضه بغير لوم »
إن قداسة السيرة هذه ، التى اتصف بها زكريا واليصابات ، هى ولا شك التى استحقت لهما أن يكونا والدى يوحنا المعمدان ، خاتم الأنبياء وسابق الرب .

فيا أيها الآباء والأمهات ، ويا أيها الذين تريدون أن يهبكم الله نسلا مقدساً ، كونوا أنتم قديسين . إنكم تمنون النفس بأن يكون لكم أولاد فيهم روح الله ومخافته ، فاقتدوا إذن بفضائل البارين زكريا واليصابات ، واسلكوا على مثالهما فى جميع وصايا الله وفرائضه المقدسة بغير لوم .

ولنتعلمن جميعاً من هذين الصديقين كيف يجب أن نصلى كل حين ، دون أن نمل ، على أتم ما يكون من الثقة ، لأن الله — إن عاجلا أو آجلا — لابد من أن يستجيب صلاتنا .

هذا إذا كان المطلوب مما يمجد الله ، وموافقاً لأمر خلاصنا . أما إذا كان الأمر بخلاف ذلك ، ولم تستجب الصلاة ، فانه تعالى يحفظ لنا أجر التجائنا إليه ، وثقتنا به تعالى .

الأحد الثانى من كيهك

بشارة الملاك لمريم

فصل من إنجيل لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨

وفى الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة فى الجليل تسمى ناصرة . إلى عذراء ، مخطوبة لرجل اسمه يوسف ، من بيت داود واسم العذراء مريم . فلما دخل إليها الملاك قال السلام عليك ياممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى أن يكون هذا السلام . فقال لها الملاك لاتخافى يامريم فإنك قد نلت نعمة عند الله . وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . وهذا سيكون عظيما وابن العلى يدعى . وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ويملك على آل يعقوب إلى الأبد . ولا يكون لملكه انقضاء . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلا . فأجاب الملاك وقال لها إن الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله . وها إن اليصابات نسيبتك قد حبلت هى أيضاً بابن فى شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس أمر غير ممكن لدى الله . فقالت مريم ها أنا أمة الرب فليكن لى بحسب قولك . وانصرف الملاك من عندها .

بعد ستة أشهر من البشرى بيوحنا ، أُرسل جبرائيل الملاك ، من قِبَل الرب ، إلى عذراء اسمها مريم ، مخطوبة لرجل اسمه يوسف ، كلاهما من بيت داود ، من أصل ودم ملكى .

دخل الملاك بيت يوسف ، ذلك البيت المتواضع ، حيث كانت تقيم مريم

سيدة العالمين – هكذا أيضاً تأويل اسم مريم – فحياها أحسن تحية قائلا : « السلام عليك ، يا ممتلئةً نعمةً ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء »

تحية هذه ، ولا شك ، فريدة فى بابها ومغزاها . هى فى الوقت نفسه ، مديح بليغ ، لا مثيل له ، فى كل الكتاب المقدس . مديح صادق ، نطق به ملاك مرسل من قبل الله ، يكشف لنا عن عظمة النعمة التى فازت بها مريم .

وذلك لا بالنظر إلى هذه النعمة فى حدّ ذاتها ، ونسبتها إلى الخليقة جمعاء ، بل وبالنسبة إلى الله ، الذى ستصبح مريم أماً له ، فى شخص ابنه الوحيد الكلمة المتجسد .

ومؤدى هذه التحية والسلام الملائكى البليغ ، هو : إن الله وهب مريم نعمة سامية ، أكثر مما وهب الملائكة والقديسين كافة ، نعمةً مناسبة لمقام أمّ الله الذى لا يُسامى . وبالتالى فإن الرب معها بصفة خاصة ممتازة ، وغير عادية . وذلك حتى قبل تجسد الكلمة فى أحشائها الطاهرة .

وإنه تعالى يباركها ببركة خاصة ، دون سائر نساء العالمين . عربون هذه البركة الفريدة ، أنه يريد أن يشرفها بشرف الأمومة الإلهية ، وهى مازالت عذراء .

☆ ☆ ☆

« فلما رأته اضطربت من كلامه » إذن فإن اضطراب مريم لم يكن سببه الخوف أو الحياء ، بل كلام الملاك بالذات ، الذى تضمن على أعظم مديح وُجّه إلى خليقة . وقد استعظمت مريم مثل هذه التحية ، والسلام الغريب ، لتواضعها العميق .

رأى الملاك اضطراب مريم ، فأخذ يطمئنها ، موضحاً لها كيف أن الله اختارها لتكون أماً للمسيح المخلص . قال لها : « لا تخافى يا مريم ، فإنك نلت حظوة عند الله ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع »

ثم أخذ يصف لها عظمة هذا الابن ، الذى ستلده ، وكيف أنه حقيقةً ابن الله ، والوارث الشرعى لداود الملك ، أبيه بحسب الجسد ، وأنه يملك على آل يعقوب الروحى ، أى الكنيسة إلى الأبد .

وأن ملكه ، الذى سيبدأ فى الزمان ، وسوف يمتد إلى كل شعوب الأرض، لا يزال قائماً حتى تمام اكتماله فى الأبدية . فهو ملكوت روحانى ، وبالتالى لا إنقضاء له .

قال لها : « وهذا — أى المولود منك — سيكون عظيماً ، وابن العلى يُدعى ، وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ، ويملك على آل يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه انقضاء » .

« فقالت مريم : كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً » أى كيف أحبل وألد ، وفى نيتى أن لا أعرف رجلاً معرفة زوجية ؟

ولا يستدل من ذلك أن مريم تشك فى صدق كلام الملاك ، كما شك من قبل زكريا . إنما هى تطلب منه أن يُوضح لها نقطة هامة ألا وهى كيف يمكن التوفيق بين أمرين هما ، إذا نظرنا إلى النظام الطبيعى ، متنافران : البتولية من ناحية ، والحمل والولادة من ناحية أخرى . فقد نذرت هى بتوليتها منذ نعومة أظفارها ، رغبة فى الكمال ، لكى تكون بجملتها ، نفساً وجسداً ، لله تعالى وحده دون سواه .

وهى على يقين من أنه تعالى لا يريد أن تفقد كنز بتوليتها غير المثمن . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لايمكنها أن تشك فى صدق كلامه (أى كلام الملاك) .

إذن ليتفضل جبرائيل ، وليبين لها كيف سيتم هذا السر العجيب ، أن بتولا تحبل ، ثم تلد ، وهى لا تزال عذراء !

ذلك السر الذى ، وإن عرفت وجوده ، فهو إحدى نبوات أشعيا الشهيرة، التى تلقنتها مريم منذ صباها فى الهيكل ، فلم تكن تلم بعد بكل أطرافه ، ولا سيما بكيفية تحقيقه .

وها إن الملاك ، الذى كان يهمه نجاح رسالته ، المتوقف على رضاء مريم وقبولها أن تكون أماً للمخلص ، لا يتردد فى إجابة طلبها ، مبيناً لها أن حملها وولادتها سيتمان بأعجوبة خارقة . إذن بقوة الله ، وهو القدير ، الذى لا يعسر عليه شىء .

ولا يكتفى بذلك ، يؤيد كلامه بحادث المعجزة التى صنعها الله مع نسيبتها أليصابات ، التى حبلت بابن ، وهى العاقر المعروفة ، فى سن الشيخوخة .

قال لها : « إن الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، ولذلك فالقدوس المولود منك يُدعى ابن الله . وها إن اليصابات نسيبتك قد حبلت هى أيضاً بابن فى شيخوختها ، وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس أمر غير ممكن لدى الله »

فقالت مريم : « ها أنا أمة الرب ، فليكن لى بحسب قولك » وبذلك أعطت كامل رضاها ، معلنة أنها تقبل بخضوع تام ، وعن طيب خاطر ، بل وباشتياق عظيم ، رسالتها هذه المجيدة والشاقة معاً بأن تكون أماً لمخلص العالم .

وفى تلك اللحظة السعيدة ، التى وافقت فيها مريم على قرار خلاصنا ، حلَّ « الكلمة » فى أحشائها الطاهرة ، وصار إنساناً ، متخذاً جسده ودمه الطاهرين من جسد ودم مريم ، حواء الجديدة ، التى بتواضعها وخضوعها التام للإرادة الربانية انتشلتنا من وهدة الهلاك . وردت لنا يسوع ثمرة بطنها المباركة ، ما كنا فقدناه بمعصية وكبرياء حواء أمنا الجسدية .

الأحد الثالث من كيهك

زيارة مريم لنسيبتها أليصابات

فصل من إنجيل لوقا ١ : ٣٩ — ٥٦

فى تلك الأيام قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبل إلى مدينة يهوذا . ودخلت إلى بيت زكريا وسلمت على أليصابات . فعندما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس فصاحت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت فى النساء ومباركة ثمرة بطنك . من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى . فانه عندما بلغ صوت سلامك إلى أذنى ارتكض الجنين من الابتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت لإنه سيتم ماقيل لها من قبل الرب . فقالت مريم تعظم نفسى الرب . وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته . فها منذ الآن تطوبنى جميع الأجيال . لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس . ورحمته إلى أجيال وأجيال للذين يتقونه . صنع عزاً بساعده وشتت المتكبرين بأفكار قلوبهم . حط المقتدرين عن الكراسى ورفع المتواضعين . أشبع الجياع خيراً والأغنياء أرسلهم فارغين عضد اسرائيل فتاه فذكر رحمته . كما كلم آباءنا ابراهيم ونسله إلى الأبد ومكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثم عادت إلى بيتها .

« فى تلك الأيام » أى بعد البشارة بأيام قلائل استغرقتها العذراء فى شكر الله على النعمة السامية ، التى حباها بها دون سائر بنات شعبها ، باختيارها أماً للمسيح المخلص « قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبل إلى مدينة يهوذا » حيث كانت تقطن اليصابات مع زوجها الكاهن البارّ زكريا .

« إلى الجبل إلى مدينة يهوذا » إننا لا نعلم شيئاً عن هذه المدينة التى لم يذكر الإنجيل اسمها ، سوى أنها كانت مشيدة على الجبل ، وفى سبط يهوذا . فهى « حبرون » المدينة الكهنوتية ، حسب بعض المفسرين ، و « عين كارم » ، إستناداً إلى تقليد قديم يرجع إلى الجيل الخامس ، فى رأى البعض الآخرين .

على أن زيارة مريم لأليصابات ، لم تكن لتتحقق بذاتها مدى صدق كلام الملاك ، كما ظن بعض الهراطقة . ولا لتخبر نسيبتها الشيخة بالنعمة السامية التى كانت موضعاً لها ، بل لتهنىء أمّ السابق بالامتياز الذى فازت به . وتقدّم لها خدمتها ، فقد علمت من الملاك أن ذلك الشهر هو السادس لحبل تلك المدعوة عاقراً .

وعلى ذلك مكثت عندها ثلاثة أشهر كاملة ، تخدمها بكل بساطة ، وإخلاص ومحبة ، إلى حين ميعاد ولادتها .

فما أعظم تواضع مريم وتفانيها فى محبة القريب ! إنها تُعلمنا بمثلها هذا أنه بقدر مايزداد الإنسان عظمة يجب أن يزداد تواضعاً . لا أمام الله فحسب ، بل وفى عينى نفسه ، وأمام القريب أيضاً . وأن محبة القريب الحقيقية هى أن نخدمه ونقدم له كل معونة مستطاعة ، من غير ماتأفف وأنفة كاذبة ، بإخلاص ولوجه الله الكريم .

* * *

وهنا يجدر بنا أن نتأمل فيض النعم والمواهب الجليلة ، التى منحها الله ليوحنا المعمدان ، وأمه القديسة اليصابات عن طريق مريم العذراء .

من هذه النعم تقديس يوحنا وتبريره من وصمة الخطيئة الأصلية . وبذلك تحققت فيه نبوة الملاك عنه ، إنه سيمتلىء من الروح القدس ، وهو مازال فى بطن أمه .

وقد شاء الكلمة المتجسد أن يمنح هذه النعمة الفريدة ، وماتبعها من نعم ومواهب لسابقه يوحنا المعمدان « بواسطة مريم » ليعلمنا ، وهوبعد فى مستودع أمه البتول الكلية الطهر والقداسة ، أن كل نعمة ننالها من لدن الله ، باستحقاقات سيدنا يسوع المسيح ، تعطى لنا بواسطة مريم وعن طريقها !

ومن المواهب الفريدة ، التى أعطيت ليوحنا بمناسبة زيارة السيدة العذراء : النطق والتمييز . بحيث إنه عرف تماماً أنه فى حضرة مخلصه الإلهى ، وأمه الطاهرة القديسة مريم . والدليل على ذلك ابتهاجه وتهليله وفرحه العظيم : وهذه كلها من الأفعال التى تدل دلالة واضحة على وجود المعرفة والعقل فى صاحبها .

أما اليصابات فبمجرد سماعها سلام مريم امتلأت من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم مُرددة بروح النبوة سلام الملاك لمريم : « مباركة أنت فى النساء » . وهاهى وقد أدركت فى تلك اللحظة أن ما تحمله مريم فى أحشائها هو

المسيح ، مخلص العالم المنتظر ، تضيف إلى قول الملاك قولها: «ومباركة ثمرة بطنك»
إن يسوع المسيح هو المبارك على وجه الإطلاق ، دون قيد أو شرط ، الذى فيه ستبارك كل شعوب الأرض ، حسب الموعد لإبراهيم أبى الآباء (تك ٢٢:١٨)
غير أنها أمام هذا الخاطر ، والسلام والتهنئة الصادقة ، التى تعبر عن حقيقة واقعية ، يعتريها الذهول والعجب ، فتقول بتواضع : « من أين لى — هذا الحظ والشرف العظيم — أن تأتى إلىَّ أمّ ربى . فانه عندما بلغ صوت سلامك إلى أذنى ارتكض (وفى النص اليونانى تهلل) الجنين من الابتهاج فى بطنى »

ثم تطوب مريم ، لأن الرب الاله سيتمم لها كل ما وعدها به ، من مواعيد صادقة ، آمنت بها (أى مريم) من غير أن تشكّ أو ترتاب ، كما فعل زكريا . قالت لها : « فطوبى للتى آمنت لأنه سيتم ما قيل لها من قبل الرب »

وكان جواب مريم على مديح اليصابات لها : تسبحة شكر عظيمة للخالق المنان ، على ما جادت به يداهُ عليها ، وعلى شعبه المختار ، والبشرية جمعاء ، من نعم وآلاء سابغة ، بتجسد الكلمة فى أحشائها الطاهرة .

إن هذه التسبحة التى يدعوها القدماء بكل صواب : إنجيل مريم . هى أبدع ما جادت به قريحة بشرية . فيها تردُّ مريم المديح والفضل إلى الله عز وجل ، كالى مرجعه الأوّل والأخير ، مصدر وينبوع كل نعمة وقداسة ، المستحق كل مجد وكرامة . قالت : « تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر إلى تواضع أمته . . . »

الأحد الرابع من كيهك

تسبحة زكريا

فصل من إنجيل لوقا ١ : ٥٧ — ٨٠

أما اليصابات فلما تم زمان وضعها ولدت ابناً فسمع جيرانها وأقاربها أن الرب قد عظم رحمته لها ففرحوا معها . وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى ودعوه باسم أبيه زكريا . فأجابت أمه قائلة كلا لكنه يدعى يوحنا . فقالوا لها ليس أحد فى عشيرتك يدعى بهذا الاسم . ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمى . فطلب لوحا وكتب فيه قائلا اسمه يوحنا . فتعجبوا كلهم . وفى الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركا لله . فحل خوف على جميع جيرانهم وتحدث بهذه الأمور كلها فى جميع جبال اليهودية . وكان كل من يسمع بذلك يحفظه فى قلبه ويقول ما عسى أن يكون هذا الصبى . وكانت يد الرب معه . وامتلأ أبوه زكريا من الروح القدس وتنبأ قائلا . مبارك الرب إله اسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه . وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه . كما تكلم على أفواه أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . بأن يخلصنا من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا . ليصنع رحمة إلى آبائنا ويذكر عهده المقدس . القسم الذى حلف لابراهيم أبينا أن ينعم علينا . بأن ننجو من أيدى أعدائنا فنعبده بلا خوف بالقداسة والبر جميع أيام حياتنا . وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى لأنك تسبق أمام وجه الرب لتعد طرقه . وتعطى شعبه علم الخلاص لمغفرة خطاياهم . بأحشاء رحمة إلهنا الذى افتقدنا بها المشرق من العلاء . ليضىء للجالسين فى الظلمة وظلال الموت ويرشد أقدامنا إلى سبيل السلامة . وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح . وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل .

إن تسبحة زكريا ، ذلك الكاهن البارّ الذى اختاره الله أباً ليوحنا خاتم الأنبياء وسابق الرب ، هى ، دون جدال ، من أروع وأجمل التسابيح التى ذكرها الوحى .

يبدأ زكريا تسبحته هذه ، بشكر الله تعالى على النعمة السابغة الفريدة ، التى أفاضها على شعبه المختار ، بل وعلى شعوب الأرض قاطبة ، بإرساله المخلص الموعود ، محط آمال كل الأمم وجميع الأجيال .

ثم يأخذ بعد ذلك فى وصف تلك الخيرات العميمة ، التى جاء بها المسيح منذراً وبشيراً . أخيراً يصف لنا رسالة الصبى العجيب يوحنا ، الذى دعاه الله من البطن ليمهد الطريق أمام المسيح المخلص .

عرف زكريا ، بإيحاء الروح القدس ، أن المسيح المخلص المنتظر قد جاء إلى العالم ، والفداء العظيم الذى شرع فى إتمامه منذ دخوله العالم، فانحلت عقدة لسانه ، وإذا به ، كبلبل طروب شاد ، يصدح بتسابيح الخالق المنان ، الذى افتقد أخيراً شعبه وهيأ له هذا الفداء العظيم .

قال : « مبارك الرب إله إسرائيل ، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه » . إن الله يفتقد الإنسان إما بداعى العدل فيعاقبه على معصيته ، وإما بداعى الرحمة فيمد له يد المعونة ، لينتشله من وهدة الهلاك والعطب .

غير أن افتقاد الله لشعبه هذه المرة ، كان افتقاد رحمة ومحبة ، وأية رحمة وأية محبة ! فها هو سبحانه يتنازل فيهبنا ، لا نبياً ولا ملاكا ، بل ابنه الوحيد بالذات ، وذلك ليبذل فداءً عنا !

وقد أرسل الله ابنه ، ليخلصنا نحن معشر شعبه ، اسرائيل الروحى ، الذين ولدنا من الماء والروح ، لا من عبودية المصريين أو من نير بابل ، بل من عبودية إبليس اللعين ، ومن نير الخطيئة المشين .

« وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » . إن القرن يرمز إلى القوة والجبروت . ولذا فان معنى هذه الآية الكريمة ، هو إن الله أقام لنا فى بيت داود الملك والنبى ، مخلصاً قوياً يستطيع بقوة استحقاقاته غير المتناهية ، أن يهب جميع تابعيه خلاصاً أبدياً ، وأن يرد لهم كل ما فقدوه من نعم ومواهب جليلة بسبب المعصية .

« كما تكلم على أفواه أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر » . إن الله كان قد وعد ، بواسطة أنبيائه القديسين ، أن المسيح يخرج من بيت داود صفيه وفتاه . وهاهو الآن يفى بوعده الذى صرحت به الكتب مئات المرات . وذلك بتجسد الكلمة فى أحشاء مريم البتول ، وهى عذراء من بيت داود .

« بأن يخلصنا من أعدائنا ومن أيدى جميع مضطهدينا » الروحيين والجسديين ، الذين بكل حيلة وخدعة يكيدون لنا المكايد ، وينصبون لنا الشراك والفخاخ ،

لعلهم يعرقلون ما نبذل من مساع وجهود لعمل الخير وخلاص نفوسنا .

ومن الواضح أن الله يخلصنا من جميع أعدائنا ومضطهدينا على يد مسيحه الذى أرسله فداء للعالمين . ولذا فإن المسيح سيكون الكفيل بنصر شعبه (أى الكنيسة) النصر النهائى الأخير . بل والضامن لنصر كل فرد من تلاميذه الأمناء ، وهم الذين أعطوه كامل ثقتهم ، وقد ألقوا فى يديه زمام خلاصهم .

فكما غلب هو أعداءَهُ ، نستطيع نحن كذلك بقوة نعمته ، أن نغلب جميع أعدائنا ومضطهدينا ، ولو كان العدو المضطهد العالم بأسره ، أو إبليس وكل جنده وقد كسر يسوع شوكة هذا وذاك ، وقلم أظافرهما .

« ليصنع رحمة إلى آبائنا » إن الله بإرساله المسيح المخاص لم يرحم الأحياء فحسب ، بل والمتنيحين فى الرب أيضاً ، ولاسيما الذين رقدوا على الرجاء بالمسيح ، كالآباء البطارقة ، وأبرار العهد القديم جميعاً .

وذلك بتخليصهم من « الليمبس » . وهو ذلك المكان من الجحيم الذى كانت نفوس هؤلاء الأبرار تنتظر فيه الخلاص ، حتى تمام الفداء بصعود الرب ، ونقلهم معه إلى السعادة الأبدية .

« ويذكر عهده المقدَّس : القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا ، أن ينعم علينا بأن ننجو من أيدى أعدائنا ، فنعبده بلا خوف » . إن مجيء المسيح وفداءهُ للعالم كما وأن تأسيسهُ ملكوتاً يدوم إلى الأبد . كل هذا جاء تحقيقاً لعهد مقدس ، هو وعد الله الصريح لآدم وحواء ، ومن بعدهما لسيدنا إبراهيم أبى كل المؤمنين ، ببعثه مخلصاً من ذريتهما سوف يرد الأمور إلى نصابها .

وذلك بتحريرنا من عبودية الخطيئة وأسر إبليس ، ومن جهل عبادة الله العبادة الحقيقية ، حتى نعبده تعالى « بلا خوف » عبادة بنى الله لأبيهم السماوى المحبوب منهم للغاية . وذلك « بالقداسة والبر جميع أيام حياتنا »

* * *

وهنا يخاطب زكريا بروح النبوة ابنه يوحنا ، معلناً على رؤوس الملأ رسالته

المجيدة . قال له : « وأنت أيها الصبي ، نبي العلي تدعى ، لأنك تسبق أمام وجه الرب لتعدّ طرقه . وتعطى شعبه علم الخلاص لمغفرة خطاياهم » أى إنك بإنذارك أمام الرب ستعلم شعبه علم الخلاص . ذلك العلم الذى لا يحصل عليه الإنسان إلا بالإيمان بالمسيح ومحبته ، والذى من غيره لا يمكن نوال المغفرة بتاتاً .

« بأحشاء رحمة إلهنا ، الذى افتقدنا بها ، المشرق من العلاء » أى إن مغفرة الخطايا هذه ، وكذا باقى النعم والمواهب التى افتقدنا بها الله بمجيء المخلص ، تصدر جميعها من سويداء قلبه تعالى .

ولا عجب ، أن يهبنا الله كل ذلك ، وهو الذى أحبنا فوهب لنا ابنه الوحيد ليبذل فداءً عن شعبه . ذلك الابن الذى أشرق علينا من العلاء ، كشمس وضاءة بددت كل ظلام . وفى قوله « المشرق من العلاء » إشارة واضحة إلى أصل المسيح السماوى ، وإن كان من ذرية داود حسب الجسد .

« ليضيء للجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، ويرشد أقدامنا إلى سبل السلامة » أى ليضيء بنور تعاليمه السماوية الوضاحة للناس الذين إلى مجيئه كانوا يتسكعون فى دياجير جهل العبادة الحقة ، وظلال موت الخطيئة .

وليس هذا فحسب ، بل لنمشى على نوره وهداهُ فى طريق البر والاستقامة ، ذلك الطريق الذى يؤدى بنا بكل تأكيد إلى سلام دائم ، لايشوبه كدر ، مع الله والناس فى هذه الدنيا والآخرة .

الأحد الأول من طوبه

الهرب إلى مصر

فصل من إنجيل متى ٢ : ١٣ ـ ٢٣

ولما انصرفوا (أى الماجوس) إذا بملاك الرب تراءى ليوسف فى الحلم قائلا قم فخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك فان هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر . وكان هناك إلى وفاة هيرودس ليتم المقول من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى . حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس قد سخروا به غضب جداً وأرسل فقتل كل صبيان بيت لحم وجميع تخومها من ابن سنتين فما دون على حسب الزمان الذى تحققه من المجوس . حينئذ تم المقول بإرميا النبى القائل . صوت سمع بالرامة بكاء وعويل كثير . راحيل تبكى على بنيها وقد أبت أن تتعزى لأنهم ليسوا فى الوجود . فلما مات هيرودس إذا بملاك الرب تراءى ليوسف فى الحلم بمصر . قائلا قم فخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل . فقدمات طالبو نفس الصبى .فقام وأخذ الصبى وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل. ولما سمع أن أركيلاوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك . وأوحى إليه فى الحلم فذهب إلى نواحى الجليل . وأتى وسكن فى مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالأنبياء إنه يدعى ناصريا .

هذا الهارب طريد بيت لحم ، الذى بسببه تجرى الدماء فى مدينة داود أنهاراً انه ليس بأحد الأشقياء الخطرين ، ولا هو برئيس عصابة يُريد الملك اغتصاباً .

أجل ، إن ميخا النبى يدعوه بالمدبر الذى يرعى شعب اسرائيل (مى ٥ : ٢) وأشعيا : بالابن الذى صارت على كتفه الرئاسة ، ودعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً جباراً أبا الأبد رئيس السلام (أش ٩ : ٦)

ولكن ماذنب الطفل الإلهى ، إن تنبأت عنه الكتب ، أنه سيكون ملكاً ، ولن يكون لملكه انقضاء ، حتى يضطهد ، ويحَكم عليه الطاغية بالموت والفناء ؟ !

غير أن هيرودس الملك السفاك ، الذى قتل من قبل امرأته ، وأحد إخوته وثلاثة من أولاده لظنه أنهم يلعبون بالنـــار ، ويريدون خلعه من الملك ، ليس بحسود فحسب ، تأكله روح غيرة جنونية ، بل هو إنسان أعماهُ الجهل ، فلم يفطن أن المولود العجيب ، وإن وُلد ليملك ، فهو ملك من غير نوع وطراز الملوك الأرضية .

فقد جاء إلى العالم لا ليدين العـالم ، بل ليخلص العالم . كما سبق وتنبأ عنه الأنبياء ، فهو المسيح مخلص العالم المنتظر .

أجل ، إن يسوع هو المخلص المنتظر ، وهو هو الإله الجبار ، الذى قتل مرة أبكار المصريين ، لأنهم عصوا أمره ، ولم يطلقوا شعبه المختار .

يلجأ الآن إلى مصر لا خوفاً من الطاغية ، بل لقصد معين ، ألا وهو مصالحة المصريين ، وانتشالهم من وهدة الهلاك ، التى ألفوا فيها نفوسهم ، بسبب عبادة الأصنام الرجسة .

كما وقد اختار المخلص الالتجاء إلى مصر ، لا إلى بلد آخر من البلدان المجاورة كسوريا مثلا أو بلاد العرب ، ليتم المقول من الرب بالنبى هوشع بالمعنى الروحى « من مصر دعوت ابنى » (هو ١١ : ١) فان معنى هذا القول الحرفى يشير إلى نجاة بنى اسرائيل من عبودية المصريين على يد موسى كليم الله .

أما هيرودس الطاغية المضطهد، الذى ظن بمذبحة بيت لحم المروعة ، أنه تخلص إلى الأبد من الطفل الإلهى ، فقد مات أشنع ميتة ، إذ نخر الدود سوءته وكل عظامه . وذلك بعد أشهر قليلة من وصول يسوع أرض الكنانة .

مات هيرودس الملك الطاغية ، وإذا بملاك الرب يخطر يوسف ، الحارس الأمين على الصبى وأمه ، فى الحلم بمصر ، بزوال الخطر . وأن طالبى نفس الصبى قد بادوا جميعاً .

وها إن يوسف رجل الله المطواع ، الذى لا يبحث أوامر السماء أبداً ، ينهض لساعته ، فيأخذ الصبى وأمه عائداً إلى بلاد فلسطين . وذلك كما نهض من قبـــل ليهجر ليلا إلى مصر ، أى إلى بلد غريب يجهل لغته وعاداته فى طريق صحراوى ، تحف به المخاطر والأهوال .

بيد أنه مهما قلنا فلا يمكننا أن نتصور ، كم قاست العائلة المقدسة من مشقات ، أثناء هذا السفر المضنى ، الذى كانت وما زالت تكل منه الجيوش المزودة بأحسن الزاد والذخيرة . وذلك سواء أكان من مصر إلى فلسطين ، أم من فلسطين إلى مصر

ليتصورن القارئ البتول العذراء ، هذه الفتاة الغضة ، وهى تحمل بين ذراعيها الطفل يسوع ، بينما يحمل يوسف ، خطيبها البار ، مؤونتهما المتواضعة من الماء والخبز ، زاد عشرة أيام (وهى المسافة التى بين بئر سبع على الحدود الفلسطينية وبلوز أول مدينة مصرية) يمشيان على الأقدام نهاراً ، تحت أشعة شمس الصحراء المحرقة ، ويستريحان الليل ، تحت طلّ السماء العارية .

* * *

ولم تطل إقامة العائلة المقدسة بمصر . فهى مدة نسبية وجيزة تتراوح بين تسعة أشهر ، أو سنة على أكثر تقدير . فقد ولد يسوع فى أواخر سنة ٧٤٨ لتأسيس روما ، وقد مضت على ولادته ، ولا شك ، بعض الأشهر ، قبل مذبحة بيت لحم والهرب إلى مصر .

وعليه يمكنا أن نقول إن هرب العائلة المقدسة ، على وجه التقريب ، كان فى ربيع أو صيف سنة ٧٤٩ لروما . والحال إن هيرودس مات فى أوائل ربيع سنة ٧٥٠. إذن فالمدة التى مكثتها العائلة المقدسة بمصر ، لايمكن أن تتجاوز السنة بحال .

وعلى الرغم من قصر هذه المدة ، فان هجرة العائلة المقدسة كانت ميمونة حقاً على مصر والمصريين ، الذين تفتحت عيون قلوبهم ليروا النور العظيم الذى أضاء عليهم نور المسيح الذى شاهدوه، هذه المرة ، طفلا فقيراً يغزو بلادهم لا لمعاقبتهم بل ليمد لهم يد المصافحة ، وينقذهم من عبودية إبليس والخطيئة .

وما من شك ، إنه من ثمرة دخول العائلة المقدسة أرض مصر ، ظهور ذلك العدد العديد من الرهبان والنساك ، الذين ضاقت بهم البرية ، وعطر أريج قداستهم المسكونة .

الأحد الثانى من طوبه

عظمة أم المخلص

فصل من إنجيل لوقا ١١ : ٢٧ — ٣٦

وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت له طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما . فقال بل طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها . ولما ازدحمت الجموع طفق يقول إن هذا الجيل جيل شرير يطلب آية فلا يعطى آية إلا آية يونان النبى . لأنه مثلما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن البشر أيضاً لهذا الجيل . ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع رجال هذا الجيل وتحكم عليهم لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهنا أعظم من سليمان . رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بكرز يونان وهنا أعظم من يونان . ليس أحد يوقد سراجا ويضعه فى خفية ولا تحت المكيال لكن على المنارة لينظر الداخلون نوره . سراج الجسد العين فإذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإذا كانت شريرة فجسدك أيضاً يكون مظلماً . فاحذر إذن أن يكون النور الذى فيك ظلاماً . فإن كان جسدك كله نيراً ليس فيه جزء مظلم فكل شىء يكون نيراً كما إذا أضاء لك السراج بلمعانه .

« وفيما هو يتكلم بهذا ، رفعت امرأة من الجمع صوتها ، وقالت له : طوبى للبطن الذى حملك ، وللثديين اللذين رضعتهما » (لو ١١ : ٢٧)

حادث طريف ! .. لاغرو ، أن هذه المرأة ، التى أخذت حكمة يسوع بمجامع نفسها ، هى أم بنين ، تودُّ لو أن أحد أبنائها كانت له مثل هذه الحكمة !

ثم هذه العجائب والآيات الخارقة .. لقد أثارت حماسها المتدفق ، فلم تجد مندوحة ، بصفتها امرأة وأم بنين ، من أن تطوِّب تلك الأم المباركة ، التى أسعدها الحظ ، فتنجب مثل هــذا النبى العظيم ، الذى يعلم بسلطان ، ويصنع العجائب بسلطان أعظم .

وقد طوَّبت أمّه لا أباهُ ، لا لأنها — كما سبق القول — امرأة فتحب بطبيعة الحال جنسها ، بل ولأن الروح القدس حماها على ذلك ، إشارةً إلى ولادة يسوع العجيبة من أم عذراء ، دون زرع بشرى .

كما وجاء تطويب هذه المرأة ، وهو الأول من نوعه . دون أن يكون الأخير مصداقاً لنبوة مريم فى لوقا ١ : ٤٨ ، حيث قالت : « ها منذ الآن تطوبنى جميع الأجيال »

ولكن ما معنى قول يسوع هذا للمرأة : « بل طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها » ؟ إن معناهُ البسيط ، كما يبدو واضحاً من الألفاظ نفسها ، هو : أن كل من يعمل بكلمة الله التى آمن بها ، فهو أعظم غبطة وسعادة من مريم العذراء نفسها باعتبار دعوتها لتكون أُماً لمخلص العالم !

وهو تعليم ، ولاشك ، معز للغـــاية ، يحبذ على حفظ كلمة الله بكل أمانة وغيرة ونشاط .

غير أن تطويب يسوع هذا ، لايجب أن يفهم على وجه الإطلاق ، بل فى هذا المعنى فقط : أى باعتبار الأمومة الإلهية التى أعطيت لمريم ، موهبة مجانية محض ، فى حين أن حفظ الوصايا ، وإن موهبة مجانية كذلك ، إلا إنها لا تعطى لنا ، إلا متى عملنا مع النعمة جنباً إلى جنب .

والحال إن من نال عطية ما ، بعد مجهود بذله ، له من هذا الوجه أن يفتخر على من نال عطية أخرى ، وإن فى حدّ ذاتها أعظم ، من غير أن يبذل أى مجهود لنوالها . وفى هذا المعنى يقال إنهُ أكثر غبطة وطوبى .

بيد أنهُ لا فخر لخليقة البتة على مريم ، فخر البشرية كلها جمعاء ، ولا من هذا الوجه أيضاً . (وهو وجه ، على كل حال ، لايمس فى شىء شرف الأمومة الإلهية ، تلك الأمومة التى هى ، دون جدال ، أعظم النعم المجانية على الإطلاق ، التى أعطيت لخليقة ما)

وبكل صواب وحق ، إذ لا يوجد بين خلق الله من نال مرضاته تعالى وحفظ كلمته مثل مريم ، وهى الحمامة النقية البريئة من كل دنس ، التى يدعوها الكتاب بلقب « الممتلئة نعمة »

وخلاصة القول ، إن عظمة مريم ، أمّ يسوع مخلص العالم ، لا يمكن أن

تضاهيها عظمة ، أو أن تدانى بحال . ولا عجب ، فان نفس هالة المجد والعظمة التى تظلل يسوع المسيح ، تظلل بطبيعة الحال ، أمه أيضاً .

إذن يحق لنا أن نهتف نحو يسوع بكل عدل ، قائلين : « طوبى للبطن الذى حملك ، وللثديين اللذين رضعتهما »

آية يونان النبى

ولما ازدحمت الجموع طفق يسوع يقول ، رداً على اليهود الذين كانوا قد سألوه آية من السماء : « إن هذا الجيل جيل شرير يطلب آية ، فلا يُعطى آية ، إلا آية يونان النبى »

إن يسوع لم يستجب طلب هؤلاء الأشرار ، لأنهم كانوا يصرّون على عدم الإيمان به ، ولاسيما إنه كان قد صنع من المعجزات والآيات أمامهم ، ما فيه الكفاية ومزيد لطالب الحق باستقامة .

زد على ذلك ، إنهم لم يطلبوا مثل هذه الآية للوثوق من صحة عجائبه لأنهم لم يقتنعوا ، بل ليجربوه ويعرفوا مدى قوته على عمل العجائب . وفاتهم أن يسوع لا يمكن بحال ، أن يقع فيما ينصب له من فخاخ ، وهو الذى لا تخفى عليه سرائر القلوب . وكيف يصنع آية لإرضاء قوم زاغوا عن الطريق القويم ، وقد أحبوا الظلمة على النور ؟!

ومع ذلك فان رحمة يسوع غير المتناهية ، لا تأنف أن تقدم لهم آية ، هى فى الواقع أعظم مما طلبوا ، لعلهم يعودون إلى الصواب فيتوبون .

ولكنه لن يجترح هذه الآية التى تشبه ، من عدة وجوه ، آية يونان النبى ،قبل الأوان الذى سبق فحدّده الآب .

فكما أن يونان النبى خرج من أعماق الهاوية حياً معافى ، وذلك بعد ثلاثة أيام ، قضاها فى بطن الحوت ، وقد أضحى بذلك آية لأهل نينوى ، كذلك يسوع ، وبأولى حجة ، سيضحى لليهود والأمم آية وأى آية : فإنه بعد موت

حقيق ، ودفنه مدة ثلاثة أيام ، سيقوم منتصراً على الموت وشوكته !

وما من شك فى أن قيامة الرب يسوع ، هى الآية والمعجزة الفاصلة ، التى لا يجوز لعاقل أن يشك بعدها ، فى كون يسوع الناصرى هو حقيقة ابن الله ، وبالتالى أن رسالته وتعاليمه إلهية .

غير أن اليهود ، معاصرى يسوع ، لم يؤمنوا به ولا برسالته حتى ولا بعد اجتراحه آيته هذه العظيمة .

ومن ثم فلا عجب ، أن تكون عاقبتهم الدينونة والهلاك الأبدى ، وأن الذين سيصدرون عليهم هذا الحكم الرهيب هم الأمم أنفسهم ، الذين وإن كانوا وثنيين ، فقد أظهر بعضهم إيماناً أكثر منهم ، أمثال ملكة التيمن وأهل نينوى : وقد تحملت الأولى مشقة سفر طويل لتسمع حكمة سليمان ، وهو على كل حال إنسان . وكذا أهل نينوى آمنوا بكرز يونان الأجنبى ، الذى لم يصنع أمامهم أية معجزة تأيداً لرسالته !

فى حين أن اليهود يرفضون أن يؤمنوا بيسوع وتعاليمه السماوية ، وقد أظهر لهم بمعجزاته العديدة الخارقة أنه أعظم من سليمان ويونان وكل أنبياء وحكماء بنى إسرائيل قاطبة ، بل وسوف يظهر لهم كيف أنه المخلص الموعود وابن الله حقيقة باجتراحه أعجوبة العجائب : قيامته المجيدة من بين الأموات .

وقال لهم هذا المثل : ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه فى خفية ، ولا تحت المكيال ، لكن على المنارة ، لينظر الداخلون نوره . وذلك ليبين لهم أن العقاب الذى سيحل بهم بسبب كفرهم هو عقاب عادل لا مفر منه .

فقد أضاء الله سراجه المنير ، ألا وأعنى بذلك سراج الدين الذى جاء به ابنه ووحيده يسوع المسيح نوراً وهدًى للعالمين . ووضعه على منارة ، هى منارة المعجزات البينات التى اجترحها يسوع تأييداً لهذا الدين القويم ، دين الله الحق . حتى ينظره كل مَن يريد دخول الملكوت .

لكن كما أن فاقد النظر ، لا يمكن أن يضىء له النور ، كذلك فاقد

اللب والبصيرة ، فإن نور الإنجيل لا يمكن أن يضىء له بحال .

وإليك مثل يسوع فى هذا الصدد : سراج الجسد العين ، فإذا كانت عينك بسيطة ، أى صالحة للنظر ، فجسدك كله يكون نيراً ، أى غير معرّض للعطب . وإذا كانت شريرة أى غير صالحة للنظر ، فجسدك أيضاً يكون مظلماً ، أى معرضاً للعثرات والعطب .

ويقصد بذلك أنه متى كان العقل ، وهو عين النفس الروحية ، بسيطاً لم تظلمه الأوهام والشهوات الرديئة ، فكل كيان الإنسان يكون نيراً بنور التعاليم الإلهية التى تضىء له .

بعكس ذلك إذا كان العقل فى ظلام للأسباب السالفة ، فإن كل كيان الإنسان يتخبط فى ظلام دامس ، ومن المحال إذّاك أن يرى شيئاً من ضياء الإنجيل الباهر الجمال .

فاحذر إذن أن يكون النور الذى فيك ، أى عقلك المخلوق لمعرفة الحق ، ظلاماً . فإن كان جسدك أى كيانك نيراً بالأنوار الإلهية ، وليس فيك أى جزء مظلم بسبب الخطيئة والشهوات غير المكبوحة ، فكل شىء يكون نيراً وممتلئاً بالنور

وعلى ذلك فانه بقدر ما تكون نقاوة القلب ، واستعداد النفس أعظم لقبول تعاليم يسوع المسيح الإلهية ، بقدر ذلك يكون أيضاً بهاء النفس وإشراقها أعظم .

الأحد الثالث من طوبه

فضل معمودية المسيح على معمودية يوحنا

فصل من انجيل يوحنا ٣ : ٢٢ — ٣٦

وبعد ذلك أقبل يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية وكان يتردد هناك معهم ويعمد . وكان يوحنا يعمد فى عين نون بقرب ساليم لكثرة الماء هناك وكانوا يقبلون ويعتمدون . لأنه لم يكن يوحنا بعد قد ألقى فى السجن . وكانت مناظرة بين تلاميذ يوحنا واليهود فى شأن التطهير . فأقبلوا إلى يوحنا وقالوا له يامعلم ذاك الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت شهدت له ها إنه يعمد والجميع يقبلون إليه . فأجاب يوحنا وقال لايستطيع الإنسان أن يأخذ شيئاً مالم يعط له من السماء . أنتم تشهدون لى بأنى قلت لكم إنى لست المسيح بل أنا مرسل أمامه . من له العروسة فهو العروس وأما صديق العروس الواقف يسمعه فهو يفرح فرحاً لصوت العروس ففرحى هذا قد تم . وله ينبغى أن ينمو ولى أن أنقص لأن الذى جاء من العلاء هو أعلى من الكل والذى من الأرض هو أرضى وبالأرضيات ينطق والذى أتى من السماء هو فوق الكل . وبما عاين وسمع يشهد ولكن ليس أحد يقبل شهادته . والذى قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق . لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله لأن الله لايعطى الروح بمقدار . الآب يحب الابن وقد جعل فى يده كل شىء . من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية ومن لايؤمن بالابن فلا يعاين الحياة ولكن غضب الله مستقر عليه .

بعدما علم يسوع بضرورة معموديته للخلاص الأبدى ، كواسطة لابدَّ منها . وذلك فى مباحثته المشهورة مع نيقوديمس بأورشليم ، فقد قال له : « إن لم يُولد أحد من الماء والروح ، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ، بَرِحَ المدينة المقدسة ، وأخذ يتردد مع تلاميذه إلى الضواحى والقرى المجاورة ، مُعمداً كل مَن آمن به .

غير أن يسوع بعدما عمَّد تلاميذه ، أو على الأصح بعض هؤلاء التلاميذ ، ترك هذه المهمة لهم وحدهم ، بحيث إنه لم يكن يعمد أحداً بنفسه ، بل الجميع بواسطتهم ، وهو مايتضح لنا من الآية التالية : « إن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه » (يو ٤ : ٢)

وقد خصَّ يسوع هذا العمل المقدس بالتلاميذ ، ليعلمنا أن نعمة الأسرار سوف تمنح ، على مرّ الأجيال ، للمؤمنين بواسطة خدام الكلمة . وأن قوة الأسرار المسيحية على منح النعمة لا تتوقف ، بحال من الأحوال ، على صلاح خادم السرّ . بل تمنحها بقوتها الذاتية ، أو على حدّ تعبير اللاهوتيين بقوة الفعل المفعول ، بغض النظر عن صلاح وإيمان الخادم .

ذلك أن النعمة ، التى تخوّلنا إياها الأسرار تعطى لنا ، كما لا يخفى باستحقاقات المسيح مؤسس الأسرار ، لا باستحقاقات خادمه ، الذى ما هو إلا أداة فى يده ، والقائم مقامه والنائب عنه فى تلك الخدمة .

أما كيف أن الأسرار تمنحنا النعمة على الدوام ، ولو كان الخادم فى حال الخطيئه ، وخالياً من الإيمان ، فهو ما يظهر لنا جلياً ، إذا تأملنا أن بين التلاميذ الذين أعطاهم المسيح سلطة العماد ، والذين كانوا يعمدون باسمه ، يجب أن نحصى أيضاً يهوذا الخائن ، الذى وصفه الإنجيلى بأنه لص وسارق .

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا المقام ، إن التلاميذ حينما أُعطوا سلطان منح المعمودية ، لم يكن قد اختارهم المسيح إذاك رسلا ، إذ إن اختيارهم لهذا الشرف السامى ، كان بعد اعتقال يوحنا المعمدان ، كما جاء موضحاً فى متى ومرقس ولوقا ، بينما الكلام هنا قبل سجن يوحنا . ينتج عن ذلك أن الرسل قد شرعوا يعمدون ولم يكونوا كهنة بعد .

وفى ذلك دليل كاف على أنه يجوز فى حالة الضرورة ، متى تعذّر وجود الكاهن أو الشماس ، أن يمنح المعمودية أى إنسان معمد ، بل وغير المعمد أيضاً ، بحسب تعليم الكنيسة الثابت ، بشرط أن يستعمل المعمّد الماء الطبيعى ، والكلمات الجوهرية لطقس المعمودية ، وهى : « أنا أُعمدك ، يا فلان ، باسم الآب والابن والروح القدس »

⁂

وحدث فى إحدى الاجتماعات ، أن احتدم الجدال بين اليهود المناصرين

ليسوع من جهة ، وتلاميذ يوحنا المعمدان من جهة أخرى . وكان ذلك بصدد التطهير الذى تمنحه معمودية المخلص ومعمودية المعمدان .

وقد شاء تلاميذ يوحنا ، الذين رأوا الجموع تتحول عنه إلى المسيح أفواجاً ، أن يلفتوا نظر معلمهم إلى هذه الظاهرة الغريبة — فى نظرهم — لعله يؤيد وجهة نظرهم القائلة بأفضلية معموديته عل معمودية يسوع ، ويردع تلك الجموع عن الذهاب إليه ، والانخراط تحت لوائه .

قالوا له ، وقلوبهم تتميز غيظاً : « يا معلم ، ذاك الذى كان معك فى عبر الأردن ، الذى أنت شهدت له ، ها إنه يعمد ، والجميع يقبلون إليه »

فانتهز يوحنا هذه الفرصة السانحة ليعلن لهم بكلام واضح ، أنه لا شك مطلقاً فى فضل معمودية يسوع على معموديته . وذلك من عدة وجوه . أولها وأوضحها هو : أن يسوع هو المسيح المخلص ، أما يوحنا فما هو إلا رسول مرسل أمامه ليهيىء له الطريق . قال لهم : « أنتم تشهدون لى بأنى قلت لكم إننى لست المسيح ، بل أنا مرسل أمامه »

وما بال الغيرة قد ملأت قلوبهم : إن نجاح يسوع الباهر هذا ، يجب أن يعزى إلى تأييد السماء له ، إذ لا يستطيع الإنسان أن يأخذ شيئاً ، مالم يعط له من العلاء .

ثم إن يسوع هو العريس ، وقد جاء يوحنا ليهيىء له العروس ، وهى النفوس التى مهرها المخلص بثمن دمه الكريم . وحيث إن العروس هى عروسه ، فلا عجب أن ينصرف إليه الجميع طالبين معموديته .

أما يوحنا فما هو إلا بمثابة الصديق ، الذى بعد ما يكون قد هيأ كل شىء للعرس ، يقف مصغياً إلى أوامر العريس . فإذا حضر هذا لاستلام عروسه يتهلل (الصديق) فرحاً . ففرح يوحنا هـذا ، بعد ظهور المسيح لاستلام عروسه الكنيسة ، قد تم .

قال لهم : « من له العروس فهو العريس . أما صديق العريس الواقف يسمعه ، فهو يفرح فرحاً لصوت العريس ، ففرحى هذا قد تم . وله ينبغى أن ينمو ولى أن أنقص »

وكيف يمكن الشك فى كون معمودية المسيح تفوق بمراحل معمودية سابقه، وهى التى تغفر بذاتها الخطيئة وتهب الإنسان التبرير كاملا، فى حين إن معمودية يوحنا لم يكن لها من مفعول، سوى تحريك قلب الخاطىء الى التوبة ؟!

ولا عجب، فان مؤسس الأولى أرضى، أما مؤسس الثانية فهو سماوى، وهو أعلى من الكل وفوق الجميع. إذن فان معموديته تطهر الإنسان، فوق كل معمودية أخرى، تطهيراً شاملا كلياً.

قال لهم: « لأن الذى جاء من العلاء (يسوع) هو أعلى من الكل، والذى من الأرض (يوحنا) هو أرضى، وبالأرضيات ينطق، والذى أتى من السماء هو فوق الكلّ »

ولم يكتف يوحنا بأن يبين لتلاميذه هذا الفرق، والبون العظيم الذى بين معموديته الاستعدادية، ومعمودية المخلص التى تجعل من النفس عروساً نقية لهذا الختن الإلهى.

بل وشهد له، بكل صراحة، أنه ابن الله الحبيب، الواجبة طاعته، ولاسيما لأن الله جعل فى يده مطلق الحكم والسلطان. بحيث إن من يؤمن به تعطى له الحياة الأبدية، ومن يرفض الإيمان والطاعة له، فلا يمكن أن يعاين وجه الله، بل وغضب الله حالّ عليه.

قال لهم: « الآب يحبّ الابن، وقد جعل فى يده كل شىء. من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن، فلا يعاين الحياة، ولكن غضب الله مستقر عليه »

الأحد الرابع من طوبه

شفاء المولود أعمى

فصل من إنجيل يوحنا ٩ : ١ — ٣٨

وفيما يسوع مجتاز رأى رجلا أعمى منذ مولده . فسأله تلاميذه قائلين يارب من أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى . أجاب يسوع لاهذا أخطأ ولا أبواه لـكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغى أن أعمل أعمال من أرسلنى مادام النهار فسيأتى الليل الذى لايستطيع أحد فيه عملا . مادمت فى العالم فأنا نور العالم . قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له اذهب واغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره المرسل فمضى واغتسل وعاد بصيراً . فالجيران والذين كانوا يرونه من قبل يستعطى قالوا أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطى . فقال بعضهم إنه هو . وآخرون لا لـكنه يشبهه وأما هو فـكان يقول أنا هو . فقالوا له كيف انفتحت عيناك . أجاب وقال هذا الرجل الذى يقال له يسوع صنع طيناً وطلى به عينى وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل فمضيت واغتسلت فابصرت . فقالوا له أين ذاك . قال لا أعلم . فأتوا بالذى كان قبلا أعمى إلى الفريسيين . وكان حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه يوم سبت . فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر . فقال لهم جعل على عينى طيناً ثم اغتسلت فأبصرت . فقال قوم من الفريسيين إن هذا الرجل ليس من الله لأنه لايحفظ السبت . وقال آخرون كيف يقدر رجل خاطىء أن يعمل هذه الآيات فوقع بينهم شقاق. فقالوا أيضاً للاعمى ماذا تقول أنت عن الذى فتح عينيك فقال لهم =

كان لشفاء هذا الأعمى ، الذى فتح يسوع عينيه بطريقة غريبة ، بالطين الذى من شأنه أن يعمى العيون ، ضجة كبيرة فى كل أورشليم : فأخذ بعضهم يقول : إنه هو ، وآخرون لا ، لـكنه يشبهه ، أما هو فكان يقول : إنى أنا هو .

وقد أنكر عليه بعضهم شخصيته ، لأن فتح عينيه قد غير من معالم وجهه ، فالتبست عليهم معرفته ، فلم يشاءوا تصديقه من غير بحث وتحرى .

وكان بعد مناقشة حادة بينهم وبينه ، أن قادوه إلى الفريسيين ، ليقول هؤلاء كلمتهم الفاصلة فى صحة هذا الحادث .

وكان ذلك ، ولا شك ، بتدبير العناية الالهية ، لتزداد الأعجوبة شهرة ، ويتأكد الجميع من حقيقة وقوعها .

= إنه نبى . ولم يصدق اليهود أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوى الذى أبصر . وسألوهما قائلين أهذا هو ابنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى فكيف أبصر الآن . أجاب أبواه وقالا نحن نعلم أن هذا ولدنا وأنه ولد أعمى . وأما كيف أبصر الآن فلا نعلم أو من فتح عينيه فلا نعرف . اسألوه إنه كامل السن فهو يتكلم عن نفسه . قال أبواه هذا لخوفهما من اليهود إذ كان اليهود قد تعاهدوا على أن من يعترف بأنه المسيح يخرج من المجمع . فلذلك قال أبواه إنه كامل السن فاسألوه . فدعوا الرجل الذى كان أعمى ثانية وقالوا له أعط مجداً لله فاننا نعلم أن هذا الرجل خاطئ. فأجاب وقال إن كان خاطئاً فلا أعلم إنما أعلم شيئاً واحداً إنى كنت أعمى والآن أبصر . فقالوا له ماذا صنع بك وكيف فتح عينيك. أجابهم قد أخبرتكم فلم تسمعوا فماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ. فشتموه وقالوا كن أنت تلميذه فأما نحن فانا تلاميذ موسى . ونحن نعلم أن الله كلم موسى فأما هذا فلا نعلم من أين هو. أجاب الرجل وقال لهم إن فى هذا عجباً أنكم لا تعرفون من أين هو وقد فتح عينى . ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطأة ولكن إذا أحد اتقى الله وعمل مشيئته فانه يستجيب له . ولم يسمع منذ الدهر أن أحداً فتح عينى من ولد أعمى . فلولا أن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً . أجابوا وقالوا له إنك بجملتك قد ولدت فى الخطايا وأنت تعلمنا . فطردوه خارجاً . وسمع يسوع أنهم طردوه خارجاً فلقيه وقال له أتؤمن أنت بابن الله فأجاب وقال ومن هو ياسيد لأؤمن به . فقال له يسوع قد رأيته وهو الذى يكلمك . فقال له قد آمنت يارب وسجد له .

وقد أبدى الفريسيون إهتماماً كبيراً بحادث هذه الأعجوبة ، وأخذوا يبحثونها بحثاً دقيقاً ، لعلهم يجدون ما يتعلقون به لإنكارها ، لأن يسوع كان قد صنع أعجوبته هذه فى يوم سبت .

وكانت نتيجة هذا التحقيق ، أن ذاع خبر الأعجوبة فى كل مكان ، وثبتت صحتها رسمياً ، رغم أنف الفريسيين وقضاة الظلم المغرضين !

وإليك بعض ما جرى فى هذا التحقيق : انهم بعد ما تأكدوا تماماً من شخصية الأعمى ، انقسموا إلى حزبين ، فقال بعضهم إن هذا الرجل (يسوع) ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت (تعليل هذا سخيف ، إن دل على شىء فهو يدل على عقلية بدائية لا تفهم من كلمة الله إلا الحرف الذى يقتل . لإن شفاء الأعمى وهو عمل من أعمال الرحمة الفائقة ، لا ينقض فى شىء حرمة السبت ، بل ويقدسه) .

وقال الآخرون وبصواب : كيف يقدر رجل خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات ؟

ومع ذلك فقد رجعوا جميعهم عند شكوكهم وأوهامهم السابقة ، ولم يصدقوا أن الرجل كان أعمى فابصر !

وعليه استدعوا أبوى الرجل ، وسألوهما قائلين : أهذا هو ابنكما ، الذى تقولان إنه وُلد أعمى . فكيف أبصر الآن ؟ فأجاب أبواه معلنين أن الأعمى هو ابنهما ، وأنه ولد أعمى ، أما كيف أبصر ، أو من الذى فتح عينيه فلا يعرفان .

وقالا هذا خوفاً من هؤلاء الفريسيين ، الذين كانوا قد تعاهدوا على أن كل من يعترف أن يسوع هو المسيح ، يطرد من المجمع كمن ضلّ طريق الحق والصراط المستقيم . فلذلك قال أبواهُ : إنه كامل السن ، فاسألوهُ فهو يتكلم عن نفسه .

فدعا الفريسيون الذى كان أعمى مرة ثانية ، وقالوا له بلهجة من يطلب الحلف من آخر ، أعط مجداً لله ، فإننا نعلم أن هذا الرجل (يسوع) خاطىء ، وذلك ليوهموه ، ويوقعوا فى روعه الهلع والاضطراب ، لعله يناقض نفسه والحق !

ولكنه أجابهم بثبات ورباطة جأش ، وقال : إن كان خاطئاً فلا أعلم ، إنما أعلم شيئاً واحداً ، أنى كنت أعمى والآن أبصر .

فكانى به يقول لهم : إنى لا أريد محاجتكم فى هذا الصدد ، إنما أضعكم فقط أمام الأمر الواقع ، وهو إنى كنت أعمى والآن أبصر ، فإن كنتم صادقين فاعترفوا معى أن يسوع رجل صديق .

ولكنهم تجاهلوا قوة حجته هذه ، وقالوا له : ماذا صنع بك ، وكيف فتح عينيك ؟ فأجابهم ، وقد بلغ منه الصبر حدّه ، قد أخبرتكم فلم تسمعوا ، فماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً ، ألعلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟

وهنا نفض قضاة الظلم وقارهم ، وانهالوا على المسكين شتماً ، وقالوا له باحتقار بالغ : كن أنت تلميذ ذاك ، فأما نحن فإننا تلاميذ موسى ، ونحن نعلم أن الله كلم موسى ، فأما هذا فلا نعلم من أين هو .

بيد أن رعونتهم هذه لم تزعزع شجاعته . وقال متحدياً ، إن فى هذا عجباً ، إنكم لاتعرفون من أين هو ، وقد فتح عينى . ونحن نعلم أن الله لايسمع للخطاة . أى أنه عز وجل لايستجيب للخاطىء فيشفى بواسطته آخر ، ولاسيما باجتراح أعجوبة لم يسمع قط أن أحداً من الآباء أو الأنبياء القديسين صنع مثلها .

وكان من جرَّاء دفاعه المجيد عن قداسة مخلصه ومحسنه الكبير ، أن ازدادوا فى حنقهم عليه ، فطردوه خارجاً ، مشيعين إياه بأقذع أنواع السباب والشتيمة .قالوا له ما مؤداه : ومن أنت أيها الحقير ، الذى لم تتعلم منذ ولادتك ، غير الانهماك نفساً وجسداً ، فى المنكر والرذيلة ، حتى تريد أن تعلمنا !

وقد سمع يسوع بطرده ، فلقيه وكافأه على شجاعته الفذة ، بأن وهبه نور الإيمان الفائق الطبيعة ، بعدما وهبه نور البصر الطبيعى ، قال له : أتؤمن أنت بابن الله ؟ فأجاب قائلا : ومن هو ياسيد ، لأومن به ؟ فقال له يسوع : قد رأيته ، وهو الذى يكلمك . فقال له : قد آمنت يارب . وسجد له ، دالا هكذا عن صدق إيمانه بالعمل .

الأحد الأول من أمشير

الطعام الباقى للحياة الأبدية

فصل من إنجيل يوحنا ٦ : ٢٢ — ٢٧

وفى الغد رأى الجمع الواقف عند عبر البحر أن لم يكن هناك إلا سفينة واحدة وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم وجاءت سفن أخر من طبرية إلى قرب الموضع الذى أكلوا فيه الخبز حيث شكر الرب . فلما رأت الجماعة أن يسوع ليس هناك هو ولا تلاميذه ركبوا تلك السفن وأتوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع . فلما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يامعلم متى صرت إلى ههنا . أجابهم يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم إنكم لم تطلبونى لأنكم عاينتم الآيات بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم . إعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكموه ابن البشر لأن هذا قد ختمه الآب الله .

فى عبر بحيرة طبرية شرقاً ، حيث يمتد القفر، صنع يسوع أعجوبة تكثير الخبز الأولى ، التى تعد بصواب من أعظم عجائبه الباهرة . فقد أطعم بخمسة أرغفة وسمكتين خمسة آلاف رجل ، ما عدا النساء والأطفال ، أى ما يقرب من العشرة آلاف نفس !

إن تأثير هذه الأعجوبة فى شعب اليهود ، ذلك الشعب المادى ، لم يكن لها من مفعول آخر ، سوى تحريك شهوتهم وطمعهم فى الماديات ، ولذا فقد قرروا لساعتهم أن يقيموه ملكاً عليهم .

لأنهم فكروا فى قلوبهم أن رجلا هذه صفاته ، لو أُقيم ملكاً ، فلن يحدث ، ولا ريب ، فى أيامه لا غلاء ولا مجاعات ولا أوبئة . وانه متى شاء ، استطاع أن يخلصهم من نير الرومانيين البغيض ، ويرد لهم ملك إسرائيل ، وسيادة العالم ، التى كانوا يطمحون إليها .

وتنفيذاً لهذا القرار المستعجل ، وقف بعض المتحمسين تحت الجبل فى انتظار يسوع ، حتى نزوله ليخطفوه عنوة ويذهبوا به إلى أورشليم ، منادين به ملكاً عليهم !

غير أن يسوع ، الذى لم يأت ليؤسس ملكاً زمنياً تكون سيادته لليهود ،

بل ملكوتاً روحياً يدوم إلى الأبد، كل البشر فيه متساوون، ترك هؤلاء المهوسين تحت الجبل، وانتقل بقدرته الإلهية إلى وسط البحيرة ماشياً على المياه، لينقذ تلاميذه، لأن الريح كانت تكد السفينة بهم، وقد أشرفوا على الغرق.

ركب يسوع السفينة فهدأت الريح، وإذا بالتلاميذ، فى أقل من لمح البصر، يجدون أنفسهم بالسفينة تجاه كفرناحوم، حيث كانوا متوجهين!

أما الرجال، الذين كانوا فى انتظار يسوع عند سفح الجبل، لما تحققوا أن يسوع أفلت من أيديهم، رجعوا إلى كفرناحوم. وشد ما كانت دهشتهم! حينما رأوا يسوع قد سبقهم إلى هناك، وخاصة انهم لم يروه يركب أية سفينة، لا مع تلاميذه، ولا مع الجموع. ولذا سألوه متعجبين: يامعلم، متى صرت إلى ههنا؟

غير أن يسوع لم يجبهم على سؤالهم الفضولى هذا، بل أخذ يوبخهم على سوء نياتهم، واهتمامهم بالأرضيات. قال لهم: «الحق الحق أقول لكم، انكم لم تطلبونى لأنكم عاينتم الآيات، بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم. اعملوا لا للطعام الفانى، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية، الذى يعطيكموه ابن البشر»

على مثال هؤلاء اليهود الماديين، كثير من المسيحيين يجدّون فى طلب يسوع، ولكن لا لرغبة منهم صادقة فى الروحيات، بل لرغبتهم فى الماديات: فيلجأون إلى يسوع إذا عضهم الدهر بأنيابه، أو لغرض ما فى نفس يعقوب؛ ولكنهم لايلجأون إليه مثلا ليقيهم مغبة السقوط فى الخطيئة وتجارب إبليس عدوهم اللدود. أو ليهبهم نعمة الثبات والآخرة الصالحة!

إنهم يطلبون بإلحاح ولجاجة شفاء الجسد، ولكنهم لا يطلبون شفاء النفس من مرض الخطيئة العضال. وباختصار إنهم كثيرو الاهتمام بالأرضيات، أما الروحيات فليست فى نظرهم بأمر ذى بال!

لهؤلاء المسيحيين الذين لايلجأون إلى يسوع، إلا متى كانوا فى حاجة إلى الأرضيات يقول يسوع لهم ما قاله لليهود: «اعملوا لا للطعام الفانى، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية»

ومن الفضول القول ، إن الطعام الفانى لايحفظنا إلا لأجل محدود ، أما الطعام الباقى فيحفظنا لحياة تدوم إلى الأبد . فما بالنا إذن نطلب ماهو فان ، ونترك جانباً ماهو ليس بفان ؟

أما الطعام الباقى الذى يهبنا إياهُ يسوع ابن البشر ، فهو كما يعلنهُ لنا الإنجيل بوضوح ، جسد يسوع عينه ودمه الطاهر الكريم ، لأن جسد يسوع هو مأكل حقيقى ، ودمه هو مشرب حقيقى (يو ٦ : ٥٦) . « من يأكل جسدى — قال يسوع — ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليـــوم الأخير » (يو ٦ : ٥٥)

إننا كلنا همة ونشاط لتحصيل قوت الجسد الذى يحفظنا فى هذه الحياة الشقية ، أفلا نكون أكثر همة ونشاطاً لتحصيل الخبز السماوى ، الذى يؤهلنا لحياة سعيدة تدوم إلى الابد ؟ !

وما الهمة والنشاط المطلوبان منا لتحصيل الخبز السماوى ، سوى السعى للابتعاد عن الخطيئة ، وهى العائق الوحيد الذى يمنعنا عن الاشتراك فى جسد الرب ودمه الطاهر باستحقاق : « لأن من يأكل ويشرب وهو على خلاف الاستحقاق ، كما ينذرنا الرسول ، إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، إذ لم يميز جسد الرب » (١ كور ١١ : ٢٩)

ثم إننا نعمل للطعام الباقى ، الواهب الحياة لكل من يتناول منه باستحقاق ، بحفظنا كل وصايا الله ، ووصايا كنيسته المقدسة ، بالقيام بكل واجبات حالتنا ، وواجباتنا نحو الله والقريب والمجتمع .

ولا يمكننا أن نتناول باستحقاق من خبز الملائكة ، الخبز الواهب الحياة للعالم ، ما لم نمارس كل الفضائل المسيحية بقدر طاقتنا ، ولاسيما الإيمان والرجاء والمحبة ، وعلى الخصوص المحبة ، التى يجب أن تكون الدافع والمحرك الأول لكل أعمالنا الصالحة .

والفضائل الأدبية ، وأهمها الأربع الأولية ، وهى : العدل ، ويجب أن يظهر

فى كل معاملاتنا مع القريب ، والفطنة ، التى يجب أن تدبر كل أعمالنا وتصرفاتنا ؛ ثم القناعة ، التى يجب أن تقينا شر الشره ، وطلب خيرات هذا العالم وملذاته فى غير حدود المعقول ؛ والقوة أو الشجاعة ، وهى الفضيلة ، التى نتغلب بها على كل ما يعوقنا عن ممارسة باقى الفضائل وتأدية واجبنا كاملا .

لنجاهدن إذن الجهاد الحسن ، من غير خوف أو تردد ، لأن جهادنا ، وإن كان مريراً ، فى كثير من الأحيان ، إلا أن له ما يبرره ، فهو من أجل غاية نبيلة . وأية غاية أنبل من أن يجاهد المسيحى ليستأهل أن يحيا بحياة ربه ؟ لأن من يأكل جسد الرب يسوع يحيا بحياته الإلهية ، قال : « كما أنا أحيا بالآب فالذى يأكلنى يحيا هو أيضاً بى » (يو ٦ : ٥٨)

وتبدأ هذه الحيـــاة الروحانية فى الدنيا كبذرة صغيرة ، لتنال كمال نموها وازدهارها فى الآخرة ، حيث يشاهد الله وجها لوجه .

لنعملن إذن بوصية المعلم الإلهى القائل : « اعملوا لا للطعام الفانى ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكموه ابن البشر » : فنحظى بسعادة الاتحاد بيسوع المسيح فى سرّ محبته العجيب ، سرّ الأوخارستية العظيم ، ذلك السرّ الذى هو عربون حياة أبدية لكل من يشترك فيه باستحقاق .

الأحد الثانى من أمشير

أعجوبة تكثير الخبز والسمك

فصل من إنجيل يوحنا ٦ : ٤ — ١٤

وكان الفصح عيد اليهود قد قرب. فرفع يسوع عينيه فرأى جمعاً كثيراً مقبلا إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل كل هؤلاء . وإنما قال هذا ليجربه لعلمه بما سيصنع . فأجابه فيلبس إنه لا يكفيهم خبز بمئتى دينار حتى ينال كل واحد منهم شيئاً يسيراً . فقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس . إن ههنا غلاماً معه خمسة أرغفة من الشعير وسمكتان ولكن ما هذه لهذا العدد من الناس . فقال يسوع مروا الناس بأن يتكئوا وكان فى الموضع عشب كثير فاتكأ الرجال وكان عددهم نحو خمسة آلاف . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر وقسم على المتكئين وكذلك السمكتين على قدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شىء منها . فجمعوا فملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير . فلما عاين الناس الآية التى عملها يسوع قالوا فى الحقيقة هذا هو النبى الآتى إلى العالم .

صنع يسوع من هذا القبيل أعجوبتين: الأولى وقد ذكرها الإنجيليون الأربعة، بها أطعم بخمسة أرغفة وسمكتين ، خمسة آلاف رجل ، ما عدا النساء والأطفال ، أى ما يقرب من العشرة آلاف نفس .

أما الأعجوبة الثانية ، وبها أطعم بسبعة أرغفة وقليل من السمك نحو أربعة آلاف نفس ، لم يذكرها إلا متى فى ١٥ : ٣٢ — ٣٩ ومرقس فى ٨ : ١ — ٩ .

٭٭٭

إن الأعجوبة الأولى ، وهى التى ذكرها هنا الإنجيلى يوحنا ، صنعها يسوع على ربوة منعزلة ، بجوار بيت صيدا ، تطل غرباً على بحيرة طبرية .

وقد عبر يسوع البحيرة إلى تلك الناحية الموحشة ليستريح قليلا مع تلاميذه . وكان ذلك بعد رجوعهم من تطواف رسولى فى الجليل الأعلى دام عدة أيام .

انتقل يسوع إلى تلك الناحية ، وسرعان ما انتشر الخبر فى بيت صيدا وضواحيها ، وإذا بالجموع تفد إلى ذلك المكان من كل حدب وصوب . لقد جاء

البعض لمشاهدة العجائب ، والبعض لنيل الشفاء ، والبعض الآخر لسماع الكلمة ، فلم يخيب يسوع أحداً فى مبتغاه ، بل شملهم جميعاً بعطفه وحنانه المعهودين ، وقد أخذ لساعته يعلمهم ويكلمهم عن ملكوت الله . أما المحتاجون إلى الشفاء فأبرأهم جميعاً .

فرغ يسوع من تعليم الشعب وشفاء المرضى ، وإذا بالشمس تأذن بالغروب . فدنا الاثنا عشر من يسوع وسألوه أن يصرف الجموع إلى الحقول والقرى المجاورة ، ليجدوا ما يأكلونه ، لان المكان مقفر ، ومن المحال التفكير فى إطعام مثل هذا العدد العديد من الشعب .

فقال فيلبس ، الذى كان قد سأله يسوع من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء ، إنهُ لايكفيهم خبز بمئتى دينار ، حتى ينال كل واحد منهم شيئاً يسيراً . وقال اندراوس ، وهو أخو سمعان بطرس ، إن ههنا غلاماً معه خمسة أرغفة من الشعير وسمكتان ، ولكن ماهذه لهذا العدد من الناس .

وقد فاتهم جميعاً أن يسوع ، الذى شفى منذ لحظات بقدرته الإلهية عشرات المرضى ، له بهذه القدرة عينها ، أن يطعم الآلاف المؤلفة من الناس بقليل من الخبز . ولكى يوقظ إيمانهم ويعدّهم للأعجوبة ، التى كان مزمعاً اجتراحها ، قال لهم : « لاحاجة إلى ذهابهم ، أعطوهم أنتم ليأكلوا »

وكان هناك عشب كثير ، فأمر بجلوس الجموع حلقات ، خمسين خمسين ، ثم أخذ الخمسة الأرغفة والسمكتين ، ونظر إلى السماء وباركها وكسر ، وأعطى تلاميذه . وناول التلاميذ الجموع ، فأكلوا جميعهم وشبعوا وأمر يسوع بجمع الكسر ، فإذا بها اثنتا عشرة قفة مملوءة ، بعدد الرسل تماماً .

* * *

إن يسوع باجتراحه هذه الأعجوبة الباهرة أراد أن يهيئ الشعب لأعجوبة أعظم ، ألا وأعنى بذلك أعجوبة وجوده وجوداً حقيقياً وجوهرياً تحت شكلى الخبز والخمر فى القربان المقدس سرّ الاستحالة الجوهرية .

وعلى ذلك فإن أعجوبة تكثير الخبز هذه ، كانت ترمز إلى هذا السرّ العجيب ، الذى سوف يُكثر وجود يسوع إلى مالا نهاية . وذلك فى كل مكان يحتفل فيه بهذه الأسرار الرهيبة المقدسة .

فكما أن الخبز الذى باركه يسوع ، وزع بواسطة الرسل ، كذلك خبز الأوخارستية ، القربان الاقدس ، الخبز السماوى ، سوف يوزع إلى منتهى الأجيال فى الكنيسة بواسطة الرسل وخلفائهم الأساقفة والكهنة .

ويمكنا أن نفهم جيداً كيف أن هذه الأعجوبة كانت رمزاً للقربان المقدس بمقارنتنا بين ماصنع يسوع هنا ، وعندما رسم الأوخارستية المقدسة فى العشاء الأخير . فهنا رفع يسوع عينيه إلى السماء وشكر أباه السماوى ، ثم بارك الخبز وكسره وأعطاه لتلاميذه . كذلك فى العشاء الأخير ، أخذ يسوع الخبز ، ورفع عينيه إلى السماء ، وشكر وكسر وقدّم للتلاميذ قائلا : « خذوا ، كلوا ، هذا هو جسدى »

تأملوا أيضاً كيف أن الرغيف الواحد ، من الأرغفة التى باركها يسوع ، كان يقسم بين اثنين وثلاثة وأربعة وعشرة ومائة وألف من المتكئين ، دون أن يفقد شيئاً من كميته وقوته الغذائية !

كذلك القربانة الواحدة التى قدّست تقسم إلى جزئين وثلاثة وأربعة وعشرة أجزاء ، وجميع المتناولين يشتركون فى جسد الرب ودمه ، الجميع يقبلون الرب يسوع كاملاً ، بنفسه وجسده ، بكل ناسوته وكامل لاهوته !

☆ ☆ ☆

على أن السبب القريب الذى دفع سيدنا يسوع المسيح على صنع هذه الأعجوبة هو ، ولاشك ، تحننه على هذه الجموع ، فقد قال فى مناسبة مماثلة : « إنى أتحنن على هذا الشعب . ولا أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا فى الطريق »

(مت ١٥ : ٣٢)

وعلى ذلك فهاهو بعدما كسر لهم خبز كلمته ، الخبز الروحى ، الذى كانت تحتاج إليه أرواحهم ، يتنازل فيقدم لهم أيضاً الخبز الذى كانت تحتاج إليه أجسادهم ، وذلك ليعلمنا بمثله الرحمة بالقريب ، ومدّ يد المعونة له محتاجاً ، فنكسر له الخبز الروحى ، أو الخبز الجسدى حسب احتياجه .

إننا نكسر الخبز الروحى لقريبنا ، متى علمناه حقائق الإيمان التى يجهلها ؛ ومتى أرشدناه إلى طريق الاستقامة الذى حاد عنه ؛ ومتى عزيناه حزيناً ، وقدّمنا له المشورة الصالحة مرتاباً ... ونكسر الخبز الجسدى بالصدقة إلى الفقراء ، ثم بإطعام الجياع ، وكساء العراة ، وعيادة المرضى .

وقد شاء يسوع بأمره الرسل جمع الكسر التى فاضت عن الجموع ، أن يلقى علينا درساً عملياً فى مساعدة الفقراء ، مساعدة لا تكلفنا إلا النذر اليسير . فأمره بجمع الكسر يعلمنا عدم التبديد والتبذير فيما يفيض عنا . لأن هذا الفائض هو من حق الفقراء ، فلا يصح أن يطرح للكلاب ، وهؤلاء الفقراء بنو الله يبيتون جائعين .

وعليه فكل الملابس ، التى لسبب من الأسباب لا تصلح لنا ، وكذا قل عن الأثاث القديم ، وكل أنواع المآكل التى تفيض عن موائدنا والتى تصلح لإطعام فقير أو أكثر . وبالعموم كل ما يزيد عنا أو نحن فى غناء عنه : كل هذه الأشياء يجب أن تجمع وتوزع على الفقراء ، وإلا كنا مسرفين ، لو عبثنا بها ، أو أتلفناها بأى طريق آخر .

وليس معنى ذلك أننا بهذه الطريقة نقوم بكل حق الفقراء علينا . أو إنه يجوز لنا أن نؤجل أمر إسعافهم إلى هذه وتلك المناسبة . بل كل ما فى الأمر ، هو أن المسيح هنا يلفت نظرنا إلى واجب بعينه ، كثيراً ما نقصر فيه على الرغم من سهولة ممارسته .

وعلى كل فيجب أن نعلم أنه بقدر ما نكون أسخياء مع القريب ، بقدر ذلك

يكون الله سخياً معنا . وليس هذا التعليم بغريب ، إنما هو تعليم سيدنا يسوع المسيح بالذات ، القائل : « أعطوا تُعطوا كيلاً صالحاً ملبداً مهزوزاً ، فائضاً . لأنه بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم » (لو ٦ : ٣٨)

على أنه لم يسمع قط أن غنياً افتقر بسبب بذله وعطائه للمساكين . ولا عجب ، فإن الله ، وهو الذى لا يمكن أن يغلب فى الجود والكرم ، يعوض أولا بأول ، كل إحسان وعطاء أضعافاً مضاعفة .

وهو ما يبدو لنا جلياً من قول المسيح : « ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ — أى باعتبار هذا الصغير تلميذاً للمسيح — فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ — ٤٢)

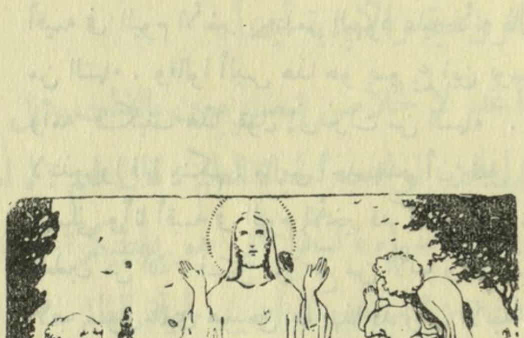

الأحد الثالث من أمشير

الخبز الواهب الحياة للعالم

فصل من انجيل يوحنا ٦ : ٣٠ — ٤٦

قالوا له أية آية تصنع لنراها ونؤمن بك ماذا تصنع . آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب إنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا . قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء لكن أبي هو يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء والواهب الحياة للعالم . فقالوا له يارب أعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا خبز الحياة من يقبل إلى فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً . لكن قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون . كل مايعطينيه الآب فهو يقبل إلى ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأني نزلت من السماء لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني . وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن لا أتلف من كل ما أعطاني شيئاً لكني أقيمه في اليوم الأخير . وهذه هي مشيئة أبي الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . فتذمر اليهود عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء . وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن نعرف أباه وأمه فكيف هذا يقول إني نزلت من السماء . فأجاب يسوع وقال لهم لاتتذمروا فيما بينكم . ما من أحد يقدر أن يقبل إلى ما لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير قد كتب في الأنبياء إنهم يكونون بأجمعهم متعلمين من الله . فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلى . لا أن أحداً رأى الآب سوى الذي هو من الله فهذا قد رأى الآب .

« أية آية تصنع لنراها ونؤمن بك ؟ ماذا تصنع ؟ آباؤنا أكلوا المنّ في البرية كما هو مكتوب إنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا »

إن يسوع كان قد أعلن في مناسبات شتى ، تارة صريحاً وتارة تلميحاً وبالاشارة ، أنه المسيح المخلص . وتأييداً لصحة دعواه ، صنع من العجائب والمعجزات مالا يحصى ولا يُعد . آخر هذه العجائب، أعجوبة تكثير الخبز الباهرة .

ومع ذلك فها إن بعض اليهود ممن عاينوا هذه العجائب والخوارق ، التي اجترحها يسوع ، يجرؤون فيقولون له : إن هذه العجائب جميعها ، بل وأعجوبتك الأخيرة أيضاً ، لا تكفي لنؤمن بك . بحجة أن موسى صنع أعظم منها ، فقد أطعم

فى البرية بالمنّ آباءنا ، الذين كان يربو عددهم على الستمائة ألف نسمة ، مدة أربعين سنة .

ولكنهم ضلوا بتعليلهم هذا السقيم، إذ حتى فى افتراض أن أعجوبة إنزال المن ، هى أعظم من أعجوبة تكثير الخبز ، فكان من واجبهم أن يؤمنوا أن يسوع هو المخلص على حدّ سواء ، لأنه صنع ما صنع من عجائب وآيات إثباتاً لهذه الحقيقة عينها .

هذا بخلاف موسى الذى جاءت عجائبه تأييداً لرسالته كنبى مرسل فقط ، بحيث لم يقل قط،كما قال يسوع عنه نفسه ، إنه المسيح ابن الله ، مخلص العالم المنتظر . بيد أن يسوع ، وإن رفض أن يصنع آية ترضى اليهود ، فيؤمنوا به ، فقد وعد أنه يعطيهم خبزاً أعظم من المنّ : خبزاً حقيقياً من السماء ، ينحدر من عرش العلىّ ، بل ومن حضن الآب الأزلى بالذات . خبزاً يمنح لا الحياة الجسدية كالمن فحسب ، بل والحياة الروحية والأبدية أيضاً .

وهذا الخبز قد أُعدَّ لا لخلاص شعب معين بالذات ، بل لخلاص كل شعوب الأرض قاطبة : فهو الخبز الواهب الحياة للعالم . قال لهم : « الحقّ أقول لكم إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء ، لكن أبى هو يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء والواهب الحياة للعالم »

ويسمى يسوع ذلك الخبز الذى سيعطيه لخلاص العالم « خبز الله » لأنه من أعاجيب صنع محبة الله ، فقد حوى حقيقة على ابن الله المتجسد ، الذى تحت شكلى الخبز والخمر يهبنا كل ذاته القدوسة . ودعاهُ « النازل من السماء » فى صيغة الحاضر ، كما فى النص الأصلى اليونانى ، للدلالة على دوام نزول المسيح المخلص على مذابحنا فى ذبيحة القداس ، حتى منتهى الأجيال .

لكن اليهود ، على ما يظهر ، لم يفهموا قصد المسيح تماماً . فقد ظنوا فى بادئ الأمر، أنه يلبى رغبتهم فيعطيهم خبزاً ، إى نعم،أعظم من المنّ ، ولكنه على كل حال مادى كالمن . ولذا قالوا له : « ياربُّ أعطنا فى كل حين من هذا الخبز » . وإلا

ما فهمنا معنى تذمرهم بعد ذلك ، حينما أدركوا أن يسوع يتكلم عن خبز من نوع آخر ، ذى طبيعة وخواص غير مادية ، وأن هـــذا الخبز السماوى هو يسوع نفسه بالذات .

وقد كشف يسوع لهم عن هذه الحقيقة الأخيرة ، بكلام واضح لايحتمل الشك ، ولالبس فيه . قال لهم بصريح العبارة : « أنا هو خبز الحياة ، من يقبل إلى فلن يجوع ، ومن يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد »

فكأنى به يقول لهم : أنا هو الخبز الواهب الحياة للعالم الذى كلمتكم عنه . فإن شئتم أن تنالوا من هذا الخبز ، فليس عليكم إلا أن تؤمنوا بى ، لأن من يؤمن بى فمن المحال أن يهلك ، فأنا أحفظه لابنعمتى فحسب ، بل وباعطائه كل ذاتى غذاءً روحياً يهبه حياةً تدوم إلى الأبد .

* * *

وهنا أخذ يؤنبهم على عدم إيمانهم ، رغم مارأوا من نبوات تحققت فيه ، وعجائب أظهرت لهم أنه حقيقة المسيح المخلص . على أنه يجب أن يعلموا أن قسوة قلوبهم لن تضرّ أحداً سواهم . لأنّ كل من يصغى إلى صوت الضمير والنعمة ، ويقبل إلى يسوع ، لن يخرجه يسوع من ملكوته . أما الذى يزدرى بهذا الصوت وهذه النعمة ، وبالتالى لايريد أن يؤمن بيسوع ، فيسوع يطردهُ حتما عن ملكوته .

ولا يأتى يسوع فى كل ذلك بعمل غريب ، إنما هو يعمل إرادة أبيه السماوى ، الذى يريد منه أن يهتمّ على الخصوص ، بخلاص الذين تحت تأثير النعمة يقبلون إليه ، ويؤمنون به عن إخلاص وطواعية .

وعلى ذلك فإن مشيئة الآب هى : إن كل من عرف الابن بنور النعمة ، أن يؤمن به فيحظى بالحياة ، وقيامة مجيدة فى اليوم الأخير . أما الذين على مثال اليهود لايلبون دعوة النعمة ويرفضون الإيمان بالابن فإن عاقبتهم الدينونة ومصيرهم العذاب ، وبئس العاقبة وبئس المصير .

غير أنه على الرغم من هذه التهديدات الصريحة ، فقد أصرّ اليهود على كفرهم

وعدم الإيمان بالمخلص ، لا بل — كما سبق القول — أخذوا يتذمرون عليه حين صارحهم بقوله : إنه هو ، وليس هناك سواهُ ، الخبز الحقيقى النازل من السماء .

ولم يعر يسوع تذمرهم إهتماماً ، بل توعدهم مصرحاً من جديد ، أنهم ما داموا مصرين على قسوة قلوبهم فمن المحال أن يقبلوا إليه ، ومن ثم فان مصيرهم الهلاك الأبدى .

إذ لاخبز بتاتاً ، ولا المنّ الذى أكله آباؤهم ، يمكنه أن يهبهم الحياة والسعادة الأبدية ، سوى الخبز الحى النازل من السماء : يسوع المسيح ، الذى فى سر القربان الأقدس يهبنا ، تحت أعراض الخبز والخمر ، كل ذاته ، جسده ودمه ، ناسوته ولاهوته ، غذاءً روحياً لنوال الحياة والسعادة الأبدية .

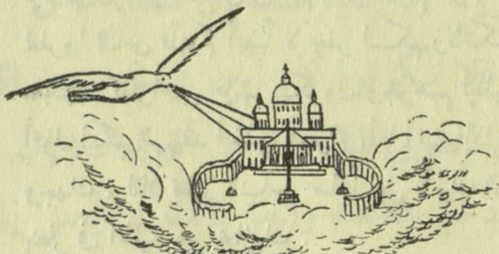

فى الصدقة والصلاة والصوم

فصل من إنجيل متى ٦ : ١ — ١٨

إحترزوا ألا تصنعوا بركم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات . فإذا صنعت صدقة فلا تهتف قدامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجامع والأزقة لكى يمجدهم الناس . الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم . أما أنت فإذا صنعت صدقة فلا تعلم شمالك ماتصنع يمينك . لتكون صدقتك فى خفية وأبوك الذى يرى فى الخفية هو يجازيك . وإذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين فإنهم يحبون القيام فى المجامع وفى زوايا الشوارع يصلون ليظهروا للناس . الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم . أما أنت فإذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك فى الخفية وأبوك الذى يرى فى الخفية هو يجازيك . وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم لأن أباكم عالم بما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه . وأنتم فصلوا هكذا . أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن أساء إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير آمين . فإنكم إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوى زلاتكم . وإن لم تغفروا للناس فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم . وإذا صمتم فلا تكونوا معبسين كالمرائين فإنهم ينكرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم . أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك . لئلا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفية وأبوك الذى ينظر فى الخفية هو يجازيك .

هذا الفصل من الإنجيل يعلمنا كيف نمارس الصدقة والصلاة والصوم على الوجه الأكمل ، الذى به نرضى الله ونستحق الأجر السماوى .

☆ ☆ ☆

١ — فى الصدقة :

متى كانت علانيةً ، يعلمنا يسوع أن لا نطلب بها مديح الناس ، وإلا فقدنا أجر هذا العمل الصالح أمام أبينا السماوى .

أما بصدد الصدقة التي بذلت في الخفية ، فيعلمنا أن لانفتخر بها أمام الناس ، لأن مَن يطلب المجد من الناس ، يفقد كل أجر عند الله .

إذن فلنصنع مانصنع من صدقات ، سواء أكان جهراً أم سراً ، دون طنطنة ولوجه الله الكريم ، منتظرين ثواب عملنا الصالح من جوده تعالى ، وهو الذى لا يمكن أن يغلب في الجود .

قال : إذا صنعت صدقةً ، فلا تهتف قدامك بالبوق ، كما يصنع المرآءون في المجامع والأسواق ، لكى يمجدهم الناس . الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم . أما أنت فإذا صنعت صدقةً فلا تدع شمالك تعرف ماصنعت يمينك ، لتكون صدقتك في الخفية ، وأبوك الذى يرى في الخفية هو يجازيك .

٢ — في الصلاة :

عن الصلاة يعلمنا يسوع أن نمارسها ، على قدر الإمكان في الخلوة ، بعيداً عن كل لغط وجلبة ، حتى نستطيع أن نصلى بخشوع وأكثر عبادة . بيد أنه لا ينهانا أن نصلى أمام الناس ، إلا إذا طلبنا بذلك أن يمجدنا الناس .

قال : وإذا صليتم فلا تكونوا كالمرآءين فإنهم يحبون القيام في المجامع وفي زوايا الشوارع يصلون ليظهروا للناس . الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم . أما أنت فإذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك ، وصلِّ إلى أبيك في الخفية ، وأبوك الذى يرى في الخفية هو يجازيك .

ويمكننا أن نصلى كل حين ، وفي كل مكان ، إذا تعلمنا أن نختلى في مخادع قلوبنا ، فهناك في خفية عن أنظار الناس نستطيع أن نناجى الله أبانا السماوى بكل دالة وحرية .

فالصلاة ، كما لا يخفى ، شفوية أو عقلية بحت . ولا شىء في الدنيا يمنعنا عن ممارسة هذه الصلاة الأخيرة ، ولاسيما إذا كانت من نوع النوافذ والابتهالات القصيرة .

وتحبذ الكنيسة المقدسة هذا النوع من الصلوات القصيرة ، التى هى كأسهم

حبية متقدة تنفذ إلى عرش العلى فتستجاب . ولذا فقد علقت عليها الشيء الكثير من الغفرانات .

وإليك بعض هذه النوافذ التى يربح مَن يتلوها غفران ثلثمائة يوم كل مرة : يايسوع ارحمنى ؛ ياقلب يسوع الأقدس إنى واثق بك ؛ ياقلب يسوع الأقدس إنى أؤمن بمحبتك لى ؛ يايسوع الوديع والمتواضع القلب اجعل قلبى مثل قلبك ؛ ليكن مسبحاً وممجداً فى كل زمان سرّ القربان الإلهى الأقدس . أمام القربان : يا يسوع إلهى إنى أسجد لك هنا حاضراً فى سرّ محبتك . ابتهال لأم المخلص : يا قلب مريم الحلو كن خلاصى . لراحة النفوس المطهرية : الراحة الأبدية أعطهم يارب ، والنور الأبدى فليضىء لهم ، ليستريحوا بسلام ، أمين .

ويحذرنا السيد المسيح بشأن الصلاة من الوقوع فى الشطط الذى وقع فيه الوثنيون . فقد ظنوا أنه بكثرة كلامهم وتذويقه وتنميقه ، هكذا كما يفعل الخطباء ، يستجاب لهم .

فى حين أن الصلاة المقبولة عند الله ليست هى فى إكثار الكلام وزخرفته ، بل أساسها الثقة بالله ، وهو العالم بما نحتاج إليه قبل أن نسأله . قال : وإذا صليتم فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين ، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم ، فلا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم عالم بما تحتاجون إليه قبل أن تسالوه .

الصلاة الربية :

وقد أعطانا يسوع بالصلاة الربية « أبانا الذى » مثالا كاملا للصلاة الكاملة . منها نتعلم أن الصلاة هى فوق كل اعتبار تسبيح . ثم هى طلب ودعاء واستغفار واستغاثة .

وانه يجب أن نقدم صالحه تعالى على صالحنا الشخصى ، فنطلب ما يرجع إلى مجده تعالى ، ثم ما يرجع إلى فائدتنا ، لا فرق فى ذلك سواء أكان المطلوب نعما روحية أم جسدية .

وعليه فإذا أمعنا النظر فى هذه الصلاة نجد أن يسوع يعلمنا فى الجزء الأول منها أن نطلب ما يخص الله . ثم فى الجزء الثانى ما يخص أنفسنا ، وإن عاد هذا وذاك فى النهاية لمجده تعالى .

وإليك الآن بإيجاز شرح هذه الصلاة ، التى دعيت بالربية نسبة للرب يسوع رب المجد ، الذى علمنا إياها .

« أبانا » ندعو الله جل جلاله بلقب « أب » وأب لنا ، لأننا دعينا بيسوع المسيح لنكون أبناء الله ، لا بالاسم فحسب بل وبالفعل أيضاً : « أنظروا أية محبة منحنا الآب حتى ندعى ونكون أبناء الله » (١يو ٣ : ١)

« الذى فى السماوات » الله موجود فى كل مكان ، بيد أننا فى السماوات مقر الطوباويين ، سنراه لا كما فى مرآة وعلى سبيل اللغز ، كما نراه على هذه الأرض ، بل وجهاً لوجه .

« ليتقدس اسمك » أى ليعرف اسمك أكثر فأكثر فى كل المسكونة ، ولتعبدك وتمجدك كل خليقة .

« ليأت ملكوتك » أى لتملك أنت وحدك سيداً مطلقاً على القلوب البشرية كافة ، وليستأصل من العالم سلطان إبليس والخطيئة .

«لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض» أى ليتمم البشر على الأرض إرادتك القدوسة ، كما يتممها الملائكة فى السماء بنفس الكمال والسرعة ومطلق الخضوع والإذعان .

« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » وفى النص القبطى « خبزنا الذى للغد » أى الخبز الذى يحفظنا فى هذه الحياة . ولاسيما الخبز الذى يحفظنا لغد الأبدية : القربان الأقدس، الذى قال عنه المسيح « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٥) إذن فان يسوع بهذه الطلبة يعلمنا أن نسأل لا قوت الجسد فحسب ، بل وقوت النفس أيضاً وهى الجزء الأشرف فينا .

« ولا تدخلنا فى تجربة » نطلب من الله النجاة من التجربة ، لا لانها خطيئة ، بل لانها تعرضنا لخطر الوقوع فى الخطيئة .

« لكن نجنا من الشرير » الشرير هنا هو الشيطان ، وبالعموم كل ما يقودنا إلى الخطيئة كالشهوة الرديئة والعالم الشرير بقدوته السيئة .

٣ — فى الصوم :

أما فيما يختص بالصيام يعلمنا يسوع أن نمارسه بفرح وعن طيبة خاطر ، من غير كثير مباهاة ، وإلا فقدنا أجر هذا العمل الصالح ، كما يفقد أجر كل عمل صالح لا يطلب به مجد الله .

وإليك نص وصية الرب فى هذا الصدد : وإذا صمتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يعبسون وجوههم ، فانهم ينكرونها ليظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم انهم قد أخذوا أجرهم : أما أنت فاذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك ، لكى لا تظهر للناس صائماً ، بل لأبيك الذى فى الخفية ، وأبوك الذى ينظر فى الخفية هو يجازيك .

٭ ٭ ٭

قال الملاك روفائيل لطوبيا البار : « صالحة الصلاة مع الصوم ، والصدقة خير من إدخار كنوز الذهب » (طو ١٢ : ٨)

لننتهزن إذن فرصة الصوم المقدس ، ولنرفعن إلى العزة الإلهية أحرّ التضرعات شاكرين مراحم إلهنا . ولا ننسَ الإحسان ومؤاساة القريب : « لان الصدقة تنجى من الموت ، وتمحو الخطايا ، وتؤهل الإنسان لنوال الرحمة والحياة الأبدية » (طو ١٢ : ٩)

الأحد الأول من الصوم

الاهتمام المفرط بتحصيل الرزق

فصل من إنجيل متى ٦ : ١٩ — ٣٤

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون . لكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . سراج الجسد العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً . وإذا كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كيف يكون . لا يستطيع أحد أن يعبد ربين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويرذل الآخر لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال . فلهذا أقول لكم لا تهتموا لأنفسكم بما نأكلون ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست النفس أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس . أنظروا إلى طيور السماء فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الأهراء وأبوكم السماوى يقوتها. أفلستم أنتم أفضل منها. ومن منكم إذا هم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة . ولماذا تهتمون باللباس . اعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو إنها لا تتعب ولا تغزل . وأنا أقول لكم إن سليمان فى كل مجده لم يلبس كواحدة منها . فإذا كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم وفى غد يطرح فى التنور يلبسه الله هكذا أفلا يلبسكم بالأحرى أنتم يا قليلى الايمان . فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس . لأن هذا كله تطلبه الأمم وأبوكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذا كله . فاطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم . فلا تهتموا بشأن الغد فالغد يهتم بشأنه . يكفى كل يوم شره .

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ، حيث يفسد السوس والآكلة ، وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ، حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ، ولا ينقب السارقون ولا يسرقون »

وصية هذه جديرة بتأملنا الملى ، بها يحذرنا يسوع عن الطمع والبخل ، وهو آفة الآفات التى تقصينا عن خدمة الله ومحبته . ومن ثم عن طريق الخلاص والحياة الأبدية ، بحجة تحصيل الرزق والمعاش .

ولكن ما بال الإنسان يهتم الاهتمام المفرط باقتناء ماهو عرضة للفساد سريع

الزوال ، ويعرض عن تحصيل ما هو باق ، ولا يمكن أن تغتاله بحال أيدى اللصوص ، ولا أن يفسده سوس ولا آكلة ؟!

غير أن السعى المفرط وراء الأرضيات ، ليس عبثاً فحسب ، بل انه مضرّ أيضاً . لأن من جعل اهتمامه بالأرضيات ، فمن المحال أن يهتم بالسماويات . ومَن أحب المال فلا يمكنه أن يحب الله . فالقلب يوجد حيث موضوع حبه . قال يسوع : « لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك »

وحين يصير القلب قريباً من المال ، بعيداً عن الله النور السرمدى ، يتخبط على غير هدى ، فى ظلمات دامسة يعقبها العطب والهلاك الأبديان . وهو ما يستفاد من مثل يسوع هذا : « سراج الجسد العين ، فإن كانت عينك بسيطة (أى صالحة للنظر) فجسدك يكون كله نيراً (غير معرض للعطب) . وإن كانت عينك شريرة (أى غير سليمة) فجسدك كله يكون مظلماً » . إنما الأعضاء تستمد نورها من العين المنيرة .

كذلك متى عمى القلب بسبب إفراطه فى الحرص على الدنيويات وتعلقه بالمال ، فإن النفس تصبح فى حالة عجز عن إتمام أى عمل صالح ، لا بل وتكون عرضة لارتكاب الموبقات جميعها . الأمر الذى يجعل حصولها على الخلاص ضرباً من المحال

وعليه فمن رغب فى كنوز الدنيا فمن المحال أن يكنز لآخرته ، والعكس بالعكس . إذ لا يستطيع الانسان أن يكرس حياته للسعى وراء الأرضيات والسماويات ، وهما شيئان متنافران ، لأنه كما يقول يسوع : «لايستطيع أحد أن يعبد ربين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر »

ذلك أن طبيعة حال العبد عينها تأبى عليه ، وهو بجملته ملك سيد واحد ، أن يخدم سيداً آخر غير الذى تطوع لخدمته منذ البدء . وعلى ذلك ختم يسوع وصيته السابقة الذكر بقوله : « لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال »

ويبدو أن الاهتمام المفرط بتحصيل الرزق ، والجدّ المتجاوز الحدّ فى طلب المعاش ، أساسه عدم الثقة بعناية الله ، ما فى ذلك شك . ولذا شاء يسوع أن يبين لنا بأجلى بيان ، وبأدلة قاطعة ، أنه لا يسوغ لنا فى حال من الأحوال أن نشك

بتلك العناية الربانية ، عناية الله أبينا السماوى ، وهو الذى وهبنا النفس والجسد ، وهما أفضل بكثير من الطعام واللباس . فالذى وهبنا الكثير يهبنا بأولى حجة القليل .

وكيف يجوز لنا أن لانعتمد فى تحصيل قوتنا الضرورى على مَن يقوت بعنايته الطيور ، وهى كلا شئ بالنسبة لنا ، نحن الذين خلقنا على صورته ومثاله تعالى ؟! قال : « انظروا إلى طيور السماء فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الأهراء ، وأبوكم يقوتها . أفلستم أنتم أفضل منها »

زد على ذلك أن اهتمامنا المفرط باقتناء الأرضيات لا يمكنه أن يغنينا فتيلا ، ولاسيما إن التوفيق كله من عند الله ، وفى يده تعالى وحده . وقد أثبت يسوع ذلك بقوله : « ومن منكم إذا همَّ يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة . فإن كنتم لا تقدرون ولا على الأصغر فلم تهتمون بالبواقى » . قال ذراعاً واحدة ، وكان فى طاقته أن يقول شعرة واحدة ، فإن هذه الزيادة اليسيرة أيضاً هى مستحيلة دون إذن الله .

فلم إذن تجشيم الروح بما لا يدخل فى طاقتها . فى جمع مال مآله الزوال ، والمسيح يريد منا أن لا نهتم كثيراً ولا حتى بضروريات الحياة كالقوت واللباس ومن أقواله فى هذا الصدد : « اعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو . إنها لا تتعب ولا تغزل ، وأنا أقول لكم إن سليمان فى كل مجده لم يلبس كواحدة منها . فإذا كان عشب الحقل (أى الزنابق التى ذكرها آنفاً) الذى يوجد اليوم وفى غد يطرح فى التنور يلبسه الله هكذا . أفلا يلبسكم بالأحرى أنتم ياقليلى الإيمان »

لنترك إذن جانباً ، نحن معشر بنى الله ، هذا الاهتمام المفرط الوبيل بتحصيل الرزق ، ولا نكونن كالوثنيين الذين يعتمدون على ذراعهم لأنهم لا يستطيعون أن يعتمدوا على آلهتهم المائتة . بل لنطلبن بالحرى ، كما يوصينا يسوع ، أولا ملكوت الله وبره ، ولنكونن على يقين انه لن ينقصنا شىء بتاتاً من هذا كله .

وما بالنا نهتم مضطربين بالغد؟ لندع الغد يهتم بشأنه . ولا نزد على همّ اليوم هموماً . إذ يكفى كل يوم شره .

الأحد الثانى من الصوم

تجارب السيد المسيح

فصل من إنجيل متى ٤ : ١ — ١١

حينئذ أخرج يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة وأخيراً جاع . فدنا إليه المجرب قائلا إن كنت ابن الله فمر أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب قائلا ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . حينئذ أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأقامه على جناح الهيكل . وقال له إن كنت ابن الله فألق بنفسك إلى أسفل لأنه مكتوب إنه يوصى ملائكته بك فتحملك على أيديها لئلا تصدم بحجر رجلك فقال له يسوع مكتوب أيضاً لاتجرب الرب إلهك . فأخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه كلها إن خررت ساجداً لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان فإنه قد كتب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . حينئذ تركه إبليس وإذا ملائكة جاءت فصارت تخدمه .

بعدما اعتمد يسوع فى نهر الأردن ، على يد يوحنا المعمدان ، ذهب منقاداً من الروح القدس إلى برية أريحا، وهناك صام أربعين يوماً وأربعين ليلة ، من غير أن يذوق طعاماً أو شراباً ألبتة .

ذهب يسوع إلى البرية ليستعد ، فى الصلاة والصوم ، للكرازة بإنجيل الملكوت . غير أن يسوع لم يكن كموسى محتاجاً لمثل هذا الاستعداد ، ولاسيما إن الثلاثين سنة من حياته المخبوءة لم تكن إلا استعداداً لثلاث سنى الكرازة .

لكنه فعل ذلك ، ليعلمنا بمثله ألا نبدأ عملا ما ، ذا أهمية ، دون أن نستعد له بالاختلاء والصلاة . وقد قرن تبارك صلاته بالصوم ليعلمنا ما لقوة الصلاة المشفوعة بالصوم من فعل فى قهر الشيطان . فقد جرب يسوع مدة الأربعين يوماً كلها ، كما جاء فى إنجيلى القديسين مرقس ولوقا .

إختلى يسوع للصلاة والصوم فانبرى له الشيطان ليجربه . ولا شك أن يسوع سمح له بذلك . فقد ذهب خصيصاً إلى البرية « ليجرب من إبليس » ، وذلك ليعلمنا أنه لابد لنا من التجربة ، وأنه لا ينجو منها أحد ، مهما كان باراً قديساً !

فالشيطان عدو البشر المبين ، يجرب الذين ينقادون من تلقاء ذاتهم إلى الخطيئة ليزدادوا رسوخاً فى الشر ، وتصبح الخطيئة مع تكرارها طبيعة ثانية لهم وبذا يجعل أمر خلاصهم مستعصياً إن لم يكن مستحيلا .

ويجرب المسيحيين المجاهدين ، أملا منه أن يوقعهم، ولو من وقت لآخر، فى الخطيئة ، وبالتالى فى الهلاك الأبدى ، لو ماتوا على هذه الحال من غير توبة .

ويجرب الأبرار ، حتى الثابتين فى المحبة ، وغايته إن لم يكن إسقاطهم فى أسر الخطيئة ، فعلى الأقل عرقلتهم فى اكتساب الفضائل ، وما يزيد أجرهم وكنز مجدهم السماوى .

لأنه علاوة على أنه يريد هلاك جميع البشر ، وأن يكون هلاكهم وخيماً ، وأن يقترفوا من الخطايا والآثام على قدر المستطاع لإهانة الخالق ، فهو أيضاً حسود للغاية ، يغار من سعادة القديسين ويكره أشد كراهية كل ما يؤول إلى مجد الله . هذه بالإيجاز غايات الشيطان إذ يجرب الناس.

أما الله سبحانه وتعالى فلا يجرب أحداً ، ولا يريد التجربة لأحد أصلا . فهو الإله القدوس الصالح للغاية « الذى يريد أن جميع الناس يخلصون ويبلغون إلى معرفة الحق » (١ تى ٢ : ٤)

وهو الذى يهبنا ، وقت التجربة ، القوة الضرورية للانتصار على عدونا اللدود كما أنه عزّ وجلّ لا يسمح له أن يجربنا فوق طاقتنا . قال الرسول : « لكن الله أمين لا يدعكم تجربون فوق طاقتكم ، بل يجعل مع التجربة مخرجاً ، لتستطيعوا أن تحتملوا » (١ كور ١٠ : ١٣)

فائدة التجارب :

وليست التجارب من غير فائدة لنا . فهى مدرسة الفضائل المسيحية كافة . ولاسيما التواضع ، وانسحاق القلب ، والالتجاء إلى الله ، والإماتة والصبر. وهى التى تنبأنا عن حالتنا الروحية . إن كنا ثابتين فى محبة الله ، غير مترددين فى إيماننا .

والتجربة مدرسة التواضع ، لأنها تشعرنا بضعفنا ووهننا الطبيعيين ، وأننا

من أنفسنا لا نستطيع شيئاً ! ومن ذا الذى يعلم بضعفه ولا يلتجىء إلى الله القوى الرحيم . إذن فبالتجربة نتعلم أيضاً هذه الفضيلة ، فضيلة الالتجاء إلى الله ، وذلك فى جميع شدائدنا ، وهو أعظم معين لنا . ثم إن التجربة إذ تهيأ لنا الفرصة لكبح جماح شهواتنا وأميالنا الرديئة فهى بحق مدرسة لفضيلتى الصبر والإماتة معاً .

وبيَّن كيف أن التجربة تنبأنا عن صدق محبتنا أو بطلانها ، عن قوة إيماننا أو ضعفه : فالذى يثبت أمام العدو ، ولايسمع لغواياته فهوالراسخ الإيمان ومحبته حقيقية . أما الذى يتردد غير عالم أيعمل بمشورة المجرب أم بوصية خالقه ، فهذا محبته غير صادقة وإيمانه ضعيف .

فسبحان الله الحكيم الذى له أن يخرج الخير من الشر ، وأن يجعل التجربة نفسها تثمر على الدوام لمصلحتنا ! لنذكر دوماً هذه الحكمة والعناية الربانية ، ولاننسَ أبداً مراحمه تعالى .

أما إذا ضعف إيماننا وسقطنا فى هوة الخطيئة ، فمشيئة الله تحتم علينا أن ننهض لساعتنا ، وأن ننهض تائبين توبة حقيقية كاملة ، أن نكون أكثر إتضاعا بعد توبتنا مستمدين العون والعضد من العلاء ، ويلزم أن نكون أكثر إحتياطاً لئلا نقع من جديد فى الفخ الذى ينصبه لنا العدو .

أما إذا خرجنا من التجربة ظافرين فعلينا أن نشكر جود الله على ما أولانا من نصر جديد ، فنزداد حباً للفضيلة ، ونندفع فى طريق الكمال المسيحى بدون خوف باطل لا محل له ، ، قائلين مع المرتل : « عوننا من عند الرب »

وعليه ليست التجارب عاراً ، أو دليل التجرد من الفضيلة فقد جرب من قبل أبو الآباء سيدنا إبراهيم ، كما جرب أيوب الصديق وطوبيا البار . وقد لاق بالسيد المسيح أن يجرب هو أيضاً ، لا بمحنة الروح وآلامات الجسد فقط ، بل وبتجارب من جهة إبليس أيضاً ، ليكون لنا مثالا كاملا نقتدى به على الدوام فى كل ظروف الحياة .

بيد أن تجارب المخلص لم تكن من الداخل ، بل من الخارج فقط . لأنه ،

وإن لبس ضعفنا ، كان معصوماً من الشهوة والأميال الفاسدة .

أما نحن فنجرب من الخارج ومن الداخل : من الخارج بواسطة غواية الروح الشرير . ومن الداخل ، من حيث إننا نحمل فى ذواتنا مايقودنا إلى الخطيئة : الشهوة والأميال المنحرفة ، بشهادة الرسول يعقوب القائل : « وكل إنسان تكون تجربته باجتذاب شهوته وتملقها » (يع ١ : ١٤)

ولا ينكر أحد ما للأمثال الرديئة ، وعوامل الشر التى تحيط بنا من أثر سيىء فى طبيعتنا الضعيفة . فالشيطان إذن يجربنا لا بغواياته المضلة فحسب ، بل وبتحريك الشهوة وإثارة الأميال الفاسدة فينا ، إما عن طريق مباشر ، فيما لو سمح له الله بذلك ، وإما عن طريق غير مباشر بما يحوط بنا من فساد وقدوة سيئة .

من هنا يفهم القارىء أن أعداءنا الروحيين ثلاثة ، وهم : الشيطان والعالم ، والشهوة الرديئة . وأن ألد هؤلاء الأعداء هو الشيطان . ويرشدنا يسوع بمحاربته وانتصاره على ألدّ أعدائنا الشيطان إلى طريق النصر على باقى الأعداء .

* * *

إن يسوع معلمنا الإلهى جرب فى بحر الأربعين يوماً بتجارب شتى ، ذكر منها الإنجيلى بالتفصيل ثلاثاً :

التجربة الأولى

عدم الثقة وشهوة البطن

فى التجربة الأولى جرب إبليس يسوع بعدم الثقة بالعناية الإلهية . وكانت هذه التجربة عن طريق شهوة الطعام البريئة فى حد ذاتها . ولكن يسوع انتصر على هذه التجربة بقوله : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » أى أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده ، بل وبدون الخبز أيضاً ، متى كانت هذه إرادة الله .

والحال إن يسوع صام ليتم إرادة أبيه ، فقد ذهب إلى البرية منقاداً من

الروح القدس ، إذن لا حاجة له أن يصنع أعجوبة لإشباع جوعه ، وله فى العناية الإلهية كفيل ليس بعده كفيل .

* * *

وكثيراً ما نجرب نحن على هذا المنوال . إذ يهمس الشيطان فى أذن شخص ما قائلا : يا هذا إن لك مالا وعقاراً الشيء الكثير فما الذى يمنعك عن التمتع بما تشتهيه نفسك ، وللآخر وأنت لك سطوة وسلطاناً فما أسهل أن تسخر لخدمتك هذا وذاك . ويوسوس لثالث وأنت لك هذه المواهب فلِمَ لا تستخدمها فى الحصول على غايتك والوصول إلى بغيتك ؛ وهو يصور فى كل حال الشر فى صورة الخير والمنفعة !

عل مثال المخلص إننا ننتصر على عدونا بقولنا له : بكلمة الله نحيا ، أى بصنع إرادته تعالى ، لا بالتعدى على وصاياه . إنما السعادة الحقيقية لا توجد فيما يشير به علينا ملاك الظلمة ، بل فى شهادة الضمير الصالح واستقرار النفس فى السلام الذى من الله لا من الخليقة .

التجربة الثانية

الثقة المتطرفة والمجد الباطل

أما التجربة الثانية التى جرب بها يسوع فهى المجد الباطل . وكثيرا مانجرب نحن بمثل هذه التجربة الخطرة . قلت خطرة، من حيث إن أركان العبادة نفسها كالصلاة والصوم والمواظبة على الأسرار ، البر بالقريب ، الصدقة وأعمال الرحمة : كل هذه تفقد ثمرتها متى خالطها المجد الباطل أى متى قصد بها الظهور ومديح الناس .

وهاكم الآن تفصيل تجربة يسوع : هزم إبليس فحمل يسوع على منكبيه وطار به فى الهواء ، هكذا كما حمل الملاك حبقوق النبى إلى بئر بابل ، وجاء به وأقامه على جناح الهيكل ، وهو أعلى مكان فى عمارة الهيكل ، يطل على دار الكهنة ، حيث تتجه أنظار المصلين . وقال له : إن كنت ابن الله فالق بنفسك إلى أسفل .

وحتى لا يستدل على خدعته شفع مشورته هذه المضلة بآية من الكتاب ،

جاء بها الكذوب مقتضبة ، إذ قال : « لأنه يوصى ملائكته بك ليحفظوك » متغاضياً عن بقية الآية وهى « فى جميع طرقك » وبين أن طرق البار تعنى عدم الحياد عن التعقل والحكمة (مز ٩ : ١١)

ولكن يسوع خيب كل آمال المجرب ، كما كشف عن خداعه : لأنه وإن سمح بأن يحمل على ظهر إبليس . لم يسمح لأحد بمشاهدته على هذه الحال . ولما وصلا إلى جناح الهيكل وأشار إليه المضل بإلقاء نفسه ، أجابه : « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك » . فبين أن من يطلب منه تعالى أعجوبة بدون داع فهو يجرب الله .

من هنا تفهمون خبث الشيطان المحتال : فى التجربة الأولى جرب يسوع بعدم الثقة بالعناية الإلهية ، فلما لم يفلح ، رأى أن يجربه بتجربة هى نقيض الأولى حسب الظاهر . ذلك أن الثقة بالله متى خرجت عن الحكمة والتعقل فهى باطلة لأنها أصبحت تجربة لله .

٭ ٭ ٭

بتجربة الثقة الباطلة المتطرفة كثيراً ما نجرب نحن أيضاً ، خاصة متى وجدنا فى مخاطر الخطيئة . ويوجد الإنسان فى مثل هذا الخطر ، إما بذنبه وإما بدون ذنبه . فمتى كان بذنبه ، أى عارفاً بالتهلكة التى ألقى فيها بذاته ، فمثل هذا لا يلبث طويلا حتى يسقط فى الشرك الذى نصبه لنفسه . إذ كما يقول الروح القدس : « من أحب الخطر سقط فيه »

أما متى وجد الإنسان فى خطر لم يسع هو إليه ، ففى الحال يشعر بحرب فى داخله . صوت يقول له : ياصاح أخرج من هذا المأزق الحرج ، وإلا خسرت النعمة . وصوت آخر يجتهد فى إقناعه بالطمأنينة والاستكنان : يقول الملاك الحارس ويقول الضمير : اسرع إلى النجاة ، الفرار الفرار ، حذار من هذا المجلس ، من التردد إلى ذلك المكان ، من هذه العشرة .

ويوسوس إبليس قائلا : لا تهرب ، فان الهرب عار ، ولكن ثق فإن الله

يوصى ملائكته بك فيحفظونك . وعلى كل فإنك أعظم من أن يؤثر فيك هذا المنظر ، وتلك المحادثة ، أو أن يجتذبك مثل ردىء !

التجربة الثالثة

فخر الحياة وشهوة السلطان

وهى التجربة الأخيرة التى جرب بها يسوع كانت آخر سهم فى جعبة الشيطان وهى أعظم التجارب فتكاً بالبشر . إذ بينما نرى نفوساً مختارة تتغلب . دون كبير جهاد ، على شهوة معينة ، ومن يتبع الحكمة والحذر فى جميع طرقه ، فلا يلقى بذاته فى خطر وتهلكة ، فقد ندر من يعرف أن يكبح جماح النفس الأمارة بالسوء ، حينما يوعد بالمجد والسلطان ، بالغنى والمنزلة الرفيعة .

ولكن يسوع ليس بإنسان عادى ، فإن انتصاراته المتوالية جعلته يكبر فى عين الشيطان . وعليه فإن إبليس يعده ُ بإعطائه كل ممالك العالم وسلطانها جملة ً ، فيما لو خرَّ أمامه ساجداً ! وحتى تكون نتيجة هذه التجربة أكثر نجاحاً ، أخذ اللعين ُ يسوعَ إلى جبل عال ، وفى لمحة من الزمان ، أراه ُ جميع ممالك المسكونة وكل أمجادها ، وقال له : « أعطيك كل هذه إن خررت لى ساجداً ، لأنها قد دفعت إلىَّ وأنا أعطيها لمن أشاء »

غير أن يسوع ردَّه هذه المرة أيضاً خائباً مخذولا . فذهب وهو يجر وراءه ُ أذيال الخزى والفشل ، اللذين أعدّا له مذ أغوى الأبوين الأولين فى الفردوس الأرضى . فقد قال له يسوع بازدراء : « اذهب عنى ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه ُ وحده ُ تعبد »

* * *

مما تقدم تفهمون كيف أن الشيطان عدوّ عنيد ، لا يرتدُّ لأول هزيمة . وأنه حين يبدأ هجوماً جديداً يأتى بسلاح جديد ، وبعنف يُصوّب ضرباته إلى نقطة الضعف لعله يقضى على كل مقاومة . وإذ يرى أن كل خدعة وحيلة ذهبت أدراج الرياح ، يلجأ إلى سلاحه المعهود ، ألا وهو الكذب والبهتان ، حتى إنه ليدَّعى

ملك هذا العالم . وأن له مطلق التصرف فى كل ما يحويه هذا العالم : فله أن يرفع ويحط ، ويُغنى ويُسعد من يشاء !

فيقول للإنسان أُعطيك كل ما تطمح إليه نفسك ، على أن تكون لى نصيراً وحليفاً ، اجعلنى إلهك وأنا أعدك مجداً وسلطاناً . وللآخر كن فى طاعتى وأنا أُحلل لك كل شىء : الكذب والرياء ، الفتنة والخبث والدسائس كافة ، وتأكد أنك لناعم بكل ماتصبو إليه نفسك من مال وجاه .

كثير من المسيحيين لا يقولون للشيطان قولاً صريحاً إنهم له ، ولكنهم فى الواقع يطيعونه وينفذون أوامره ، إذ أنهم لكى يحصلوا على حطام الدنيا لا يتورعون عن أن يدوسوا أقدس وصايا الله ، فيسقطون فى أسر الشرير وعبوديته وهم غافلون .

أحبائى خيرلنا أن نكون فى فقر مدقع ، وأن نلقى مع شظف المعيشة كل ذلّ وهوان ، من أن نقع فى أسر إبليس : عدو الله والبشر .

إن هذا الروح الشرير المقاوم لله ، لا يستطيع من الله شيئاً ، فكيف يتشفى من حقده وعداوته للخير ؟ بالتنكيل بعباد الله والعمل على هلاكهم . فكأنى به يريد أن ينافس الله ، بأسره أكبر عدد من الناس ، ليكونوا له عبيداً وإماء ، جاعلا نفسه ندّاً لله عزَّ وجلَّ .

ولكنه كثيراً ما يخيب ويفشل فى مشاوراته ، فيترك العنف والتهديد ويستعمل اللين ، متخفياً بلباس ملاك النور ، مجزلا فى المواعيد والعطايا .

أحبائى إن كنا مسيحيين حقاً . فعلينا أن نرفض لساعتنا ، وبدون أدنى تردد تلك المواعيد والعطايا الكاذبة . وليقل كل منا للمجرب بأنفة واحتقار : « اذهب عنى يا شيطان » فانى لا أعرفك . ولتكن أنت وعطاياك للهلاك . إنى لا أعرف ولا أعبد إلا الله وحده ، نصيبى وميراثى فى الدنيا والآخرة .

* * *

ومهما يكن من أمر ، فعلينا أن لا نرهب العدو ، أو نفشل أمام كراته المتعددة

لأن قوة الله التى يجب الاعتماد عليها لا تغلب . بل من الواجب احتقار هذا العدو، الذى لا حول ولا قوة له للإيقاع بنا ، مالم نطاوعه بمحض إرادتنا . فحسناً شبه القديس اغوسطينوس الشيطان بكلب مربوط كثير النباح والعواء ، لكنه لايستطيع أن ينهش إلا من يقترب منه .

والآن لنقدم آيات الشكر والمحبة المتقدة لفادينا الحبيب يسوع المسيح ، الذى سبق وعلمنا كيف نحارب بانتصار أعداءنا الروحيين ، وكيف أن التجربة لا تنقص ولا تقلل من شرفنا وكرامتنا ، بل تزيدنا براً وقداسة بتوطيدنا فى الإيمان والفضيلة .

هذا إذا عرفنا على مثاله له المجد ، أن نحارب محاربة الأبطال بجدّ واجتهاد ، لأنه يصعب أن تكون هناك غلبة وانتصار من غير ما ربح وغنيمة .

ولإلهنا القوى ، واهب النصر والعمل الصالح ، العز والتمجيد من الآن وإلى الأبد .

الأحد الثالث من الصوم

مثل الابن الشاطر

فصل من إنجيل لوقا ١٥ : ١١ — ٢٤

وقال رجل له ابنان . فقال أصغرهما لأبيه يا أبت أعطني النصيب الذي يخصني من المال فقسم لكل منهما معيشته . وبعد أيام غير كثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء له وسافر إلى بلد بعيد وبذر ماله هناك عائشاً في الخلاعة . فلما أنفق كل شيء له حدثت في ذلك البلد مجاعة شديدة فأخذ في العوز . فذهب وانضوى إلى واحد من أهل ذلك البلد فأرسله إلى حقله يرعى الخنازير. وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله ولم يعطه أحد . فرجع إلى نفسه وقال كم لأبي من أجراء يفضل عنهم الخبز وأنا ههنا أهلك جوعاً . أقوم وأمضي إلى أبي وأقول له يا أبت قد خطئت إلى السماء وأمامك . ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً فاجعلني كأحد أجرائك . فقام وجاء إلى أبيه وفيما هو بعيد رآه أبوه فتحنن عليه وأسرع وألقى بنفسه على عنقه وقبله . فقال له الابن يا أبت قد خطئت إلى السماء وأمامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً . فقال الأب لعبيده هاتوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا في يده خاتماً وفي رجليه حذاء . وأتوا بالعجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح . لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد . فطفقوا يفرحون . وكان ابنه الأكبر في الحقل فلما أتى وقرب من البيت سمع أصوات الغناء والرقص . فدعا أحد الغلمان وسأله ما هذا . فقال له قد قدم أخوك فذبح أبوك العجل المسمن لأنه لقيه سالماً . فغضب ولم يرد أن يدخل . فخرج أبوه وطفق يتوسل إليه . فأجاب وقال لأبيه كم لي من السنين أخدمك ولم أتعد وصيتك قط وأنت لم تعطني قط جدياً لأتنعم مع أصدقائي . ولما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن فقال له يا بني أنت معي في كل حين وكل ما هو لي فهو لك . ولكن كان ينبغي أن نتنعم ونفرح لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد .

مثل الابن الشاطر هو ، دون جدال ، أجمل الأمثال الإنجيلية ، وفيه من الجاذبية ما يسبي العقل والقلب . فجدير بك ، أيها القارىء الحبيب ، أن تقرأ وتقرأ هذا المثل الخلاصي العظيم، وقد سطر فيه يسوع سابقاً قصة حياة الأغلبية الساحقة من الذين يدعون قديسين .

قال : « رجل كان له ابنان فقال أصغرهما لأبيه يا أبت أعطني النصيب الذي

يخصنى من المال ، فقسم لهما المعيشة » . فهذا الرجل أبو الولدين هو الله ، وقد شاء بدعوتنا إلى المسيحية أن يكون لنا أباً حقيقياً . والابنان هما : الأكبر ، المسيحى البار . والأصغر ، المسيحى الخاطىء .

أما المال الذى قسمه بينهما ، فهو كناية عن كل المواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة ، التى منحنا إياها الله بالوجود والخلق ، ورفعنا إلى حياة النعمة. وقد منحنا الله جميعاً هذه المواهب ، مع سابق علمه بإساءة البعض استخدام هذه المواهب ، لأنه عادل ، ولا محاباة عنده للوجوه ، ولأنه ، وهو الذى خلقنا أحراراً ، يريد أن نقبل إليه ونخدمه بكامل حريتنا ، لا عن اضطرار كالعبيد ، بل كما يخدم الابن أباهُ.

« وبعد أيام جمع الابن الأصغر كل شىء له ، وسافر إلى بلد بعيد وبذّر ماله هناك عائشاً فى الخلاعة . فلما أنفق كل شىء له حدثت فى ذلك البلد مجاعة شديدة فأخذ فى العوَز، فذهب وانضوى إلى واحد من أهل ذلك البلد، فأرسله إلى حقله يرعى الخنازير » !

هكذا الخاطىء بعد ابتعاده بالمعصية عن أبيه السماوى ، لا يلبث طويلاً حتى يفقد كل ماله وثروته التى لا تقدَّر بمال : فيفقد صحته ونضرة شبابه ، ولاسيما إذا انغمس فى حمأة الرذائل الدنسة : يفقد سمعته ويلوث اسمه وشرفه ، ويفقد ما هو أعظم من كل ذلك النعمة المبرِّرة والبنوة الإلهية والحق على السعادة الأبدية .

لقد ظن أنه بهربه من الشريعة ينفض عن عاتقه حملاً ثقيلاً ، ولم يفطن إلى أن إتباع الأهواء هو حمل أثقل . وعليه فلا عجب ، إذا ما شعر ، عاجلاً أو آجلاً، بالخذلان وخيبة الأمل .

فالخاطىء إذ يرفض حمل نير البنوة اللين ، يعاقب بحمل نير العبودية الثقيل : عبودية الخطيئة وعبودية إبليس عدونا اللدود ، الذى يشير إليه فى المثل ، ذلك السيد القاسى الذى أرسل الابن الشاطر ليرعى الخنازير .

* * *

« وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ولم يعطه

أحد ! إن الخرنوب الذى يرمز هنا إلى اللذات الدنسة — والخنازير إلى الذين يتمرغون فى تلك اللذات — يهيج الشهية ولكنه لا يشبع . كذلك الشهوات غير المرتبة يظن الخاطىء أنه بإشباعها يجد الشبع لقلبه ، ولكنه لا يجد إلا الفراغ العظيم .. وأن جوعه وعطشه ما زالا على حدَّتهما ، لا بل وأعظم من ذى قبل !

فيحدث أن الخاطىء الذى تعدَّى على إحدى الوصايا ، وشعر بفقره الروحى بدلا من أن يتوب إلى ربه ، يرمى بنفسه فى أحضان الرذيلة ، لعله يجد فيها ما يخفف من كربه ، ولكنه سرعان ما يشعر أن الدواء هو أفدح من الداء نفسه !

« فرجع إلى نفسه وقال كم لأبى من أجراء يفضل عنهم الخبز ، وأنا ههنا أهلك جوعاً » . إن حالة الضيق والضنك ، ولاسيما نخس الضمير المرير ، الذى يعقب الخطيئة عادةً : كل هذه ليست دون تدبير إلهى . فهى الوسائط التى يتخذها الله ليحثَّ الخاطىء ويحركه إلى التوبة .

فالخاطىء ، ككل إنسان ، لا يدرك عظمة النعمة ولا يقدرها ، إلا بعد فقدانها . إذّاك أيضاً ، بعد كل تجاربه القاسية السابقة ، يدرك تماماً أنه بتعديه على الوصايا وإتباعه الأهواء ، قد خرج عن دائرة التعقل ، ليخبط خبط عشواء فى بيداء الضلال وأباطيل الشهوات .

« أقوم وأمضى إلى أبى وأقول له يا أبت قد خطئت إلى السماء وأمامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً ، فاجعلنى كأحد أجرائك ، فقام وجاء إلى أبيه » . هكذا الخاطىء ، الذى تحت تأثير النعمة ، أدرك حالة نفسه التى يرثى لها ، يجب عليه أن ينهض لساعته ، ويعزم عزماً ثابتاً على الرجوع إلى البيت الأبوى ، إلى حضن الكنيسة ، حيث يجد أباهُ الروحى الكاهن ، ممثل الله ونائبه على الأرض ، فيشكو له حاله ، سائلا بتواضع ، على مثال الابن الشاطر ، الصفح والمغفرة عن جميع مآثمه ومعاصيه .

* * *

« وفيما هو بعيد رآه أبوهُ فتحنن عليه ، وأسرع وألقى بنفسه على عنقه وقبله

وقال لعبيده : هاتوا الحلة الأولى وألبسوهُ ، واجعلوا فى يده خاتماً ، وفى رجليه حذاء ، وأتوا بالعجل المسمن واذبحوهُ ، فنأكل ونفرح لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد ، فطفقوا يفرحون »

أرأيت ، أيها القارىء الحبيب ، كم هى عظيمة مراحم أبينا السماوى ؟ إنك تستطيع أن تنهل من ينبوع الخلاص هذا خلاصك ماشئت ومتى شئت . فمهما بلغت إهانتك من الجسامة ، ومهما بلغ تماديك فى سبل الإثم ، ومهما كانت الظروف السابقة واللاحقة لارتكابك المعصية ، ومهما كان إصرارك على الخطيئة شديداً ، فإن الله مستعدّ ، فى كل حين ، لقبول توبتك ، كما يقبل الأب الكلى الحنان والرحمة ابنه ، لابل كأنى به تعالى ينتظر هذه اللحظة السعيدة ، التى تفرح الملائكة بفروغ الصبر .

وهو مستعدّ لا لأن يسامحك فحسب ، بل وأن يردّ لك كل امتيازاتك السابقة : مواهب النعمة والكنوز السماوية التى فقدتها بالمعصية ، والتى لاتثمن بثمن . حلة النعمة المبررة ، وخاتم الصداقة معه تعالى ومواهب الروح القدس ، وحذاء البنوة الإلهية (يرمز الحذاء للبنوة ، لأن العبيد كانوا يمشون حفاةً) .

وبهذه المناسبة السعيدة ، مناسبة توبتك لايتردد فى ذبح العجل المسمن يسوع المسيح ابنه بالطبيعة ، ليشركك فى جسده ودمه الطاهرين ، الواهبين الحياة الأبدية لكل من يتناول منهما باستحقاق .

الأحد الرابع من الصوم

السامرية

فصل من إنجيل يوحنا ٤ : ١ — ٤٢

ولما علم الرب أن الفريسيين قد سمعوا أن يسوع يتخذ تلاميذ ويعمد أكثر من يوحنا. مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه. ترك اليهودية ومضى أيضاً إلى الجليل. وكان لابد له أن يمر فى السامرة. فأتى إلى مدينة من السامرة تسمى سوكار بقرب الضيعة التى أعطاها يعقوب ليوسف ابنه. وكانت هناك عين يعقوب وكان يسوع قد تعب من المسير فجلس على العين. وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء فقال لها يسوع أعطينى لأشرب. وكان تلاميذه قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا لهم طعاماً. فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب أن تشرب منى وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية واليهود لا يخالطون السامريين. أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعرفين عطية الله ومن الذى قال لك أعطينى لأشرب لكنت أنت تسألينه فيعطيك ماء حياً. قالت له المرأة يارب إنه ليس معك ماتستقى به والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحى. ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر ومنها شرب هو وبنوه وماشيته. فأجاب يسوع وقال لها كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً وأما من يشرب من الماء الذى أنا أعطيه له فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية. فقالت له المرأة يارب أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجىء أستقى من ههنا. فقال لها يسوع اذهبى وادعى رجلك وهلمى إلى ههنا. أجابت المرأة وقالت إنه لا رجل لى. فقال لها يسوع قد أحسنت حيث قلت إنه لا رجل لى. لأنه كان لك خمسة رجال والذى معك الآن ليس رجلك فبالحق تكلمت فى هذا =

كان يسوع منحدراً من اليهودية إلى الجليل، وكان لابد له أن يمرَّ فى السامرة، التى كانت بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الطرق الكبرى بين اليهودية والجليل. فلما وصل يسوع إلى سوكار، وهى إحدى مدائن هذا الإقليم، كانت الساعة السادسة، بحسب توقيت الشرق القديم، أى عند الظهر تقريباً.

وكانت هناك بئر بجوار سوكار، تعرف ببئر يعقوب، جلس يسوع على حافتها ليستريح قليلا من مشقة السفر، لأن التعب أخذ منه كل مأخذ. فلا شك، إنه قام مبكراً جداً ليقطع كل تلك المسافة مترجلا.

= فقالت له المرأة يارب أرى أنك نبي . إن آباءنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن المكان الذى ينبغى أن يسجد فيه هو فى أورشليم . فقال لها يسوع آمنى بى أيتها المرأة إنها تأتى ساعة تسجدون فيها للآب لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم . أنتم تسجدون لما لاتعلمون ونحن نسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتى ساعة وهى الآن حاضرة إذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين له. لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له المرأة قد علمت أن ماشيح الذى هو المسيح آت فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شىء . فقال لها يسوع أنا المتكلم معك هو. وعند ذلك جاء تلاميذه فتعجبوا أنه يتكلم مع امرأة لكن لم يقل أحد ماذا تريد ولماذا تكلمها . فتركت المرأة جرتها وانطلقت إلى المدينة وقالت للناس . هلموا انظروا رجلا قال لى كل ماصنعت أليس هو المسيح .فخرجوا من المدينة وأقبلوا نحوه . وفى أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يامعلم ، كل . فقال لهم إن لى طعاماً آكله لستم تعرفونه أنتم . فقال تلاميذه فيما بينهم ألعل أحداً جاءه بما يأكل . فقال لهم يسوع إن طعامى أن أعمل مشيئة من أرسلنى وأتمم عمله . ألستم تقولون إنه يكون أربعة أشهر ثم يأتى الحصاد وها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا إلى المزارع إنها قد ابيضت للحصاد. والذى يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثماراً للحياة الأبدية لكى يفرح الزارع والحاصد معاً . وفى هذا يصدق ماقيل إن واحداً يزرع وآخر يحصد . إنى أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه فإن آخرين قد تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم. فآمن به فى تلك المدينة سامريون كثيرون من أجل كلام المرأة التى كانت تشهد أن قد قال لى كل ماصنعت . ولما سار إليه السامريون طلبوا إليه أن يقيم عندهم فمكث هناك يومين. فآمن أناس أكثر من أولئك جداً من أجل كلامه . وكانوا يقولون للمرأة لسنا من أجل كلامك نؤمن الآن لأنا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو فى الحقيقة مخلص العالم .

جلس يسوع ، وذهب التلاميذ إلى المدينة ليبتاعوا بعض الطعام ، وماهى إلا لحظة ، وإذا بامرأة سامرية جاءت لتستقى ماء من البئر . فطلب يسوع منها أن أن تعطيه ليشرب لأنه كان عطشان .

عجباً ، يتعب يسوع فيخلد إلى الراحة ، ويعطش فيطلب أن يشرب ، ويشعر بشدة القيظ فيتوقف عن المسير . . !

أوَ ليست كل هذه وأمثالها ، مما جاء مفصلا فى الإنجيل ، من الحجج القواطع والبينات النواصع ، التى تثبت لنا بكل وضوح ، أن يسوع علاوة على كونه إلهاً

حقاً مساوياً لأبيه فى الجوهر، هو أيضاً إنسان حق مثلنا، معرّض للآلام والموت مثلنا، لأن له نفساً بشرية وجسداً بشرياً مثلنا. كيف لا؟ وهو الذى — على حدّ تعبير الرسول — يشبهنا فى كل شىء ما خلا الخطيئة (عب ٤ : ١٥)

طلب يسوع من السامرية أن تعطيه ليشرب، فأدهشها طلبه، لأنه كيف يطلب يهودى معروفَ امرأة سامرية، واليهود فى العادة يحتقرون السامريين ولا يخالطونهم.

ونحن لا نعجب لدهشة المرأة، بقدر ما نعجب لتنازل يسوع ومكالمته هذه المرأة بالذات، التى كانت تعيش فى زنى.

ولكننا نفهم مدلول هذا التنازل العجيب، إذا تأملنا كلمة يسوع هذه: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، لكن ذوو الاسقام، فإنى لم آت لأدعو صديقين بل خطأة» (مر ٢ : ١٧)

من ذلك يبدو جلياً أن سؤال يسوع السامرية أن تعطيه ليشرب، لم يكن لعجزه عن إطفاء ظمأه بأية طريقة كانت، بل لإجتذاب أطراف الحديث مع هذه الخاطئة، ليردها عن طريق الغواية والضلال إلى طريق البر والاستقامة. إذن فإن عطشه كان روحياً أكثر منه مادياً.

* * *

لنتأمل الآن الطريقة الطريفة، التى وصل بها يسوع إلى اكتساب تلك النفس وانتشالها من لجة الآثام والمعاصى، من غير ما عنف أو اغتصاب، بل بكل لطف، دعة وأناة!

ثم انظر كيف انه من الماء المادى تخطى إلى الكلام عن الماء الروحى، وهو ما يدعوهُ بالماء الحىّ. وقد دعاهُ كذلك، لأن النعمة التى يفيضها الله فى نفوسنا بواسطة روحه القدوس، والتى تهبنا الحياة الفائقة الطبيعة، هى أشبه ما يكون بالماء الحىّ. تغسل نفوسنا من أدران الخطيئة، وتنعش أرواحنا بملء الحياة الروحية.

شبه يسوع نعمته بالماء الحى، فلم تفهم المرأة كلامه. فماذا يفعل، أيتركها

وشأنها فى بحر جهالاتها وآثامها ؟ ولكن ليست هذه معاملة المعلم الإلهى للنفوس التى ، وإن كانت خاطئة ، تتواضع أمامه فتصغى إلى كلمته . فانه لاسمه السجود بقدر مايذل كبرياء المتكبرين ، بقدر ذلك يحب المتواضعين ، ويسرع إلى إغاثتهم .

فلا غرو إذن أن يعيد يسوع تعليمه على المرأة ويشرح لها ما غمض عليها . فهذا الماء الحى ، الذى من يشرب منه لا يعطش إلى الأبد : هو النعمة ، تلك الموهبة التى من يشترك فيها يصبح له حق وثيق فى إرث الملكوت ، والسعادة الأبدية ، تلك السعادة التى لايستطيع الإنسان أن يشتهى عليها مزيداً ، فهى مجموعة كل الخيرات الدائمة .

وقال أيضاً فى وصف هذا الماء العجيب ، إن من ينال منه « يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية » ومعنى هذه الآية كالسابقة ، هو أن كل من يشترك فى موهبة النعمة فهو بلا شك — هذا إذا لم يضع من جانبه العوائق — حاصل على الحياة والسعادة الأبدية .

فكما أن مياه الأرض تصعد، من تلقاء نفسها ، إلى حد أقصى، هو علو ينبوعها الأصلى ، كذلك النعمة ، تلك الموهبة السماوية تصعد بالإنسان ، من تلقاء نفسها ، حتى ينبوع الحياة الأبدية : الله . لأنها سماوية ، ومصدرها الله .

هذه بلامراء ، بعض أوصاف النعمة ، التى تعطى لنا بالإيمان بيسوع المسيح : أوصاف كان لها أحسن الأثر فى نفس تلك السامرية الخاطئة ، التى بمجردما فهمت أن يسوع يتكلم عن ماء غير الماء الطبيعى ، سألته بكل بساطة أن يعطها منه .

غير أن يسوع قبل أن يستجيب طلبها ، ويشركها فى ينبوع النعمة ، طلب منها مالابد منه للاشتراك فى هذا الينبوع الذى لاينفد أبداً : الإيمان والتوبة ، وهما شرطان ضروريان للخلاص .

وإذ كانت شديدة الرغبة فى الحصول على ذلك الماء العجائبى ، اعترفت بجميع خطاياها ، من غير أن تنكر منها شيئاً . كما وانها بمجرد ماكشف لها يسوع عن ستار حياتها الحاضرة والماضية اعترفت بأنهُ نبىّ .

وما أحسن استنتاجها! إذ لا يستطيع أن يكشف خفايا القلوب، إلا الله وحده، ومن شاء الله أن يكشف له ذلك.

بيد أن يسوع هو أعظم من نبيّ، ولذا فلا يكفى الإيمان به كنبى، بل لابدّ من الإيمان به كابن الله المتجسد، الذى جاء ليخلص العالم. وعليه فهاهو يكشف لها أيضاً عن هذا السرّ العويص، الذى يفوق إدراك العقول، فتؤمن به!

وبذلك وصل يسوع إلى غايته، وقصده النبيل من مخاطبة السامرية: إنقاذ هذه النفس من وهدة الهلاك والعطب: «لأن ابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك» (لو ١٩ : ١٠)

* * *

إن نفس هذه الطريقة المملوءة لطفاً وحناناً، ما زال يسوع يستخدمها مع جميع الخطاة المساكين حتى يومنا هذا، فاتحاً صدره وذراعيه لضم جميع الأبناء الذين يعودون إليه منسحقى القلوب تائبين.

وما أكثر الطرق والوسائل التى يستخدمها هذا الفادى الكريم لاجتذاب هؤلاء الخطاة إليه: فهو يدعوهم مرة بواسطة كهنته خدّام الكلمة، ومرة أخرى بإلهامات روحه القدوس مباشرة، أو بواسطة درر تعاليمه الإلهية المنثورة على كل صفحات الإنجيل وتارة بواسطة ما نرى من أمثال وقدوة صالحة فى قريبنا، وتارة أخرى بتبكيت الضمير، وهو صوت الله .. إنما يصنع يسوع الراعى الصالح، من جهته المعجزات، لإنقاذ عبيده من عبودية إبليس والجحيم!

فإلى متى ننام، وحتى متى لا ننهض من غفلتنا، فنصغى إلى صوت هذا الفادى الحبيب، الذى يقف على أبواب قلوبنا يقرعها بالحاح ولجاجة لنفتحها له، لأنه يريد أن يلجها بنعمته؟!

تأملوا كيف أن السامرية، إذ وجدت ينبوع النعمة والحياة، نسيت حاجتها، والغاية التى كانت قد جاءت من أجلها إلى البئر، فتركت هناك جرتها، وذهبت مسرعة إلى المدينة تبشر بقدوم المسيح مخلص العالم!

إنها أرادت أن تشرك مواطنيها فى كنز النعمة العظيم الذى اكتشفته . ونحن نريد أن ندفن هذا الكنز غير المثمن فى تراب الأرض ، فلا نفيد أنفسنا ولا بنى جنسنا ؟ !

وكيف نفضل مياه ملذات هذا العالم القذرة ، على مياه ملذات النعمة الصافية ، وهى التى تهبنا الحياة والسعادة الأبدية ؟ !

الأحد الخامس من الصوم

شفاء مخلع بركة بيت حسدا

فصل من إنجيل يوحنا ٥ : ١ — ١٨

وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم . وإن فى أورشليم عند باب الغنم بركة تسمى بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة . وكان مضطجعاً هناك جمهور كثير من المرضى من عميان وعرج ويابسى الأعضاء ينتظرون تحريك الماء . وكان ملاك الرب ينزل أحياناً فى البركة ويحرك الماء فالذى كان ينزل أولا من بعد تمويج الماء كان يبرأ من كل مرض مسه . وكان هناك رجل سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة . فلما نظر يسوع هذا ملقى وعلم أن له زماناً كثيراً قال له أتحب أن تبرأ . فأجاب السقيم يارب ليس لى إنسان إذا تموج الماء يلقينى فى البركة بل بينما أكون متقدماً ينزل قبلى آخر . فقال له يسوع قم أحمل سريرك وامش . فللوقت برىء الرجل وحمل سريره ومشى وكان ذلك اليوم سبتاً . فقال اليهود للذى شفى إنه سبت فلا يحل لك أن تحمل سريرك . فأجابهم إن الذى أبرأنى هو قال لى إحمل سريرك وامش فسألوه من الرجل الذى قال لك إحمل سريرك وامش . وكان الذى شفى لايعلم من هو لأن يسوع كان قد اعتزل عن الجمع الذى فى ذلك المكان . وبعد هذا وجده يسوع فى الهيكل فقال له ها إنك قد عوفيت فلا تخطأ بعد لئلا يصيبك أعظم . فذهب ذلك الرجل وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه . ولهذا كان اليهود يضطهدون يسوع لأنه صنع هذا فى السبت . فأجابهم يسوع إن أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضاً أعمل . فازداد اليهود لأجل هذا طلباً لقتله ليس لأنه كان ينقض السبت فقط بل أيضاً لأنه كان يقول إن الله أبوه مساوياً نفسه بالله .

كان فى أورشليم بركة ، تعرف ببركة بيت حسدا أى مكان الرحمة ، لها خمسة أروقة غاصة بالمرضى من عميان وعرج ويابسى الأعضاء . . .

ذلك إن ملاك الرب كان ينزل إلى البركة من وقت لآخر وعلى حين فجأة يحرك ماءها. فمن نزلها أولا بعد تمويج مائها كان يبرأ بإذن الله من كل مرض أصابه مهما كان عضالا.

فكانت هذه البركة، بظاهرتها هذه العجيبة، رمزاً حياً يستحثُّ اليهود على دخول الملكوت، وألا يكونوا متباطئين فى اغتنام مواهب الله الجليلة، التى جاء بها المسيح ملك السلام مبشراً ونذيراً!

أما موقع هذه البركة فكان على مقربة من باب الضأن من جهته الخارجية، وهو أحد الأبواب المقدسة، المؤدى تواً إلى الهيكل. دُعى كذلك لأنهم كانوا يدخلون منه الغنم المقدمة للذبيحة فى الهيكل. من باب الضأن هذا همَّ يسوع بالدخول إلى المدينة قاصداً الهيكل، حين لفت نظره على البركة مخلع ملقى على فراشه، له ثمان وثلاثون سنة مريضاً، كثيراً ما حاول أن ينزل البركة بعد تحريك مائها، ولكن دون جدوى، لأنه كل مرة حاول ذلك كان يسبقه إليها آخر.(١)

رأى يسوع المخلع على تلك الحال التى يُرثى لها، فتحنن عليه مانحاً إياه شفاءً كاملا من كل أمراضه الروحية والجسدية معاً.

على أنه قبل أن يهبه هذا الشفاء، شاء كعادته مع كل المرضى الذين كانوا يتقدمون إليه، أن يختبر إيمانه. ولذا سأله قائلا: أتحب أن تبرأ؟ أجاب المخلع وقال: ياسيدى، ليس لى إنسان متى تحرك الماء يلقينى فى البركة، بل بينما أنا آت ينزل قبلى آخر.

بهذا الجواب الذى لايخلو من روح التواضع، أظهر المخلع إيماناً كافياً بقدرة الله الضابطة الكل، وضمناً بقدرة يسوع ابن الله، وإن لم يكن يعرفه إذَّاك.

---

(١) كان قدوم يسوع هذا إلى أورشليم بمناسبة عيد الفصح، وهوالثانى منذ بدأ يكرز بالإنجيل فقد ذكر يوحنا: الفصح الأول فى يو ٢:٣عندما طرد يسوع باعة البقر والخرفان والحمام، ونثر دراهم الصيارفة وقلب موائدهم. والفصح الثانى فى هذا الموضع يو ٥:١ والفصح الثالث فى يو ٦:٤ بعد اجتراحه بقليل أعجوبة تكثير الخبز الأولى. والفصح الرابع فى يو ١٩ : ١٤ عند تأسيسه سر القربان الأقدس.

وأنه على يقين من نوال الشفاء ، لو مكنته الظروف من الدنوّ من تلك القدرة ، قدرة الإله الرؤوف الحنَّان .

والآن وها إن الظروف ، أو بالحرى رحمة يسوع قد هيأت له هذه الفرصة ، وإن القدرة الضابطة الكل ، والحالة فى يسوع جسدياً ، على خطوات منه ، فلا مانع من شفائه .

وعلى ذلك فقد أمرهُ يسوع بسلطان قائلا : « قم ، احمل سريرك وامشِ » فقام المخلع سوياً وحمل سريرهُ ومَشَى !

هذه هى الأعجوبة التى صنعها يسوع قبل أن يعلن على رؤوس الملأ حقيقة مساواته لله الآب . أعجوبة ولا ريب ، خليقة بمفردها بالشهادة لعظمة المسيح المخلص ، وقدرته الإلهية الفائقة .

يسوع لا يسأل ولا يتضرع مثل الأنبياء ، بل يأمر كإله بسلطانه الشخصى . يأمر ، وكل ما فى الكون يطيعه طاعة الخليقة لخالقها ! ففى حادثنا هذا يقول يسوع للمخلع : قم ، فيقوم لساعته ، وقد برىء من كل مرض . وهذا المخلع الذى لم يستطع بالأمس حراكا ، له فى لحظة ، بقوة كلمة يسوع أن يمشى ، ويركض طفراً ، حاملا سريره إلى بيته !

فحقاً إن أعمال يسوع تشهد له أنه مرسل الله الآب ، بل وأنه هو والآب واحد . قال : « إن لم أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . وإن عملت ، فإن لم تريدوا أن تؤمنوا بى ، فآمنوا بالأعمال . لتعلموا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنى فى الآب » (يو ١٠ : ٣٧ و ٣٨)

* * *

وهنا نلفت نظر القارىء إلى ظرف ، هو فى الواقع دليل آخر عن لاهوت السيد المسيح ، وهذا الظرف يتلخص فى أن يسوع بعدما شفى المخلع ، أمره أن يحمل سريره . وكان ذلك اليوم سبتاً والشريعة تحظّر حمل الأثقال فى السبت .

فيسوع هنا يحلّ من شريعة إلهية ، وقد فعل ذلك متعمداً ، ليثبت عملياً مساواته

للآب ، وأن تصرفه فى شريعة السبت هو تصرف المشرّع فى شريعته . وهو تصرّف حكيم لأن يسوع لم يحل من هذه الشريعة إلا ليقرر حقيقة هامة وهى أنه : ربُّ السبت .

وقد فهم المخلع هذا التعليم . دليل ذلك أنه لما ابتدره اليهود قائلين : « لا يحل لك أن تحمل سريرك » أجابهم من فوره قائلا : إن الذى أبرأنى هو قال لى احمل سريرك وامش . فكأنى به يقول لهم إن الذى أبرأنى بكلمة ، لا ريب ، أنه رب السبت ، المتصرف فى شريعة السبت ، وإلا ما أمرنى بذلك .

* * *

والآن نظرة أخيرة إلى المخلع قبل شفائه ، وأخرى إلى البركة ، وقد رأى فيها الآباء القديسون بصواب ، رمزاً إلى المعمودية .

فكما أن البركة كانت تشفى المريض من جميع أمراضه مجاناً ، كذلك المعمودية فإنها تهب النفس الشفاء من جميع أمراضها الروحية ، وتمنحها النعمة مجاناً . مياه البركة لم تكن تعطى الشفاء بقوتها الذاتية ، بل بقوة الملاك الذى كان يرسله إليها الله ، كذلك مياه المعمودية تطهر الإنسان لا بقوتها الذاتية . بل بقوة الروح القدس الذى يحل فيها مع المعمّد .

أما المخلع قبل شفائه ، فيرمز إلى الإنسان فى حال الخطيئة . فإنه ما دام فى تلك الحال ، فهو فى حالة عجز عن إتيان أى عمل صالح يستحق له أجراً سماوياً .

وكما أن المخلع لما شفاه يسوع لم يشفه دون رضاه ، كذلك الخاطئ وإن وافته النعمة سابقة ، فلا يمكنه أن ينال التبرير ومغفرة خطاياه دون رضاه ، وبالتالى دون توبة صادقة نصوح من جهته .

« ها إنك قد عوفيت ، فلا تخطأ بعد لئلا يصيبك أعظم » إن أمراضاً كثيرة مما يصيب الإنسان مصدرها وسببها الخطيئة . وعلى ذلك فمن الحكمة أنه حينما يبتلينا الله بإحدى المصائب أو الأمراض أن نسرع فنفحص ضميرنا جدياً . ونجتهد أن نمحو آثامنا بتوبة نصوح واعتراف عام بكل خطايانا الحاضرة والماضية ، متوسلين

إلى العزة الإلهية أن تعفوعنا . فقد يحدث أنه بزوال العلة أى الخطيئة يزول المعلول أيضاً أى المرض .

* * *

مما تقدم ينتج : أن إيماننا نحن المسيحيين يستند إلى أُسس وطيدة الأركان ، لا يمكن أن تقوى عليها أعاصير الاضطهادات أو أضاليل الهرطقات . كما وأنه فى استطاعتنا إغلاق فم أهل البدعة والضلال ببراهين مفحمة لا مرد عليها ، تثبت حقيقة وصحة هذا الإيمان القويم . صحة وحقيقة نجدهما فى كل صفحة من صفحات الإنجيل .

ثم لنتعلم من هذا الحادث الالتجاء ، فى كل شدائدنا إلى يسوع المسيح مخلصنا الكريم ، فإنه لاسمه السجود يسرع إلى معونتنا ، لاحينما نسأله فحسب ، بل وحينما لا نسأله ذلك . هكذا كما فعل مع مخلع بيت حسدا فقد جاءه غير مقصود ليهبه شفاء النفس والجسد معاً .

ولا يمكن الشك مطلقاً فى أن المخلع نال شفاء النفس أيضاً ، وإن لم يصرح الإنجيل بذلك . إذ لو فرضنا أن المخلع لم ينل غير شفاء الجسد دون النفس ، فكيف يقول له يسوع : « ها إنك قد عوفيت فلا تخطأ بعد » ؟

فياأيها الأحباء ، علينا بمحبة يسوع المسيح مخلصنا الإلهى ، الذى أحبنا حتى النهاية . ثم فلنعطه مطلق ثقتنا ، فهو الفادى الحبيب الذى لا يألو جهداً للبلوغ بنا إلى ميناء السعادة والحياة الأبدية . ولنمجده تعالى ، كما يليق بمجده العظيم المقدس ، فى كل أقوالنا وأعمالنا ، له المجد والعز والسجود من الآن وإلى الأبد . آمين .

الأحد السادس من الصوم

حكمة التجارب والمحن

(الإنجيل : أنظر الأحد الرابع من طوبه صفحة ٧٧)

يظن البعض خطأ ، أن التجارب والمحن التى يقاسيها الإنسان ، والتى تحلّ به من حيث لايدرى هى علامة رذل أكيد ، أو على الأقل هى إنتقام عادل عن الخطيئة والحقيقة إن الأمر هو على نقيض ذلك تماماً . إنما التجارب والمحن ، كما يعلمنا الكتاب ، هى غالباً علامة اختيار وقبول أمام الله . قال الملاك روفائيل لطوبيا البارّ : « لأنك كنت مقبولا أمام الله ، كان لابدّ أن تمتحن بتجربة » (طو١٢: ١٣)

كذلك فإن التجارب والمحن ليست ، على الدوام ، دليل إنتقام العدل الإلهى كما كان يظن الرسل أيضاً ، عندما سألوا يسوع عن المولود أعمى قائلين : « يامعلم مَن أخطأ أهذا أم أبواه ، حتى وُلد أعمى » (يو ٩ : ٢)

فكانوا يعتقدون ، كما كانت تعتقد العامّة من اليهود ، أن الله لايسمح ، ولا يبتلى أحداً أبداً ، بمثل هــذه التجارب والمحن القاسية ، إلا ليعاقب خطيئة سابقة ، إن لم تكن خطيئة المصاب ، فخطيئة والديه !

وقد فند يسوع هذا الاعتقاد الباطل باجابتهم : « أن لا هذا ، ولا أبواهُ ، لكن لتظهر أعمال الله فيه » (يو ٩ : ٣)

أجل ، إننا لا ننكر أن الله قد يعاقب ، فى بعض الأحيان ، الخاطىء المصر على خطاياهُ حتى فى هذه الدنيا ، قبل أن يعاقبه فى الآخرة . بيد أن الواقع يعلمنا أن الله ، وهو الرحمة بالذات ، لا يعاقب أحداً فى هذه العاجلة حباً بالعقاب ، أعنى انتقاماً لعدله الإلهى . بل على الدوام لحكمة وغاية أسمى .

وإنه لأمر لا شك فيه ، إن الله لايريد من وراء التجربة والمحنة التى يسمح بها إلا صالحنا وخيرنا الروحى . ولذا فإن إفتقاده تعالى الإنسان فى هذه الدنيا العاجلة هو على الدوام ، افتقاد رحمة ومحبة . قال الرسول فى هذا الصدد : « إن الذى يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل ابن يتخذه » (عب ١٢ : ٦)

وعلى ذلك يمكن القول إن التجارب والمحن التى تلمّ بالخاطىء ليست للانتقام ، وإنما هى بمثابة إنذار له ، يلفته إلى حالته حتى يفوق من غفلته ، ويتوب إلى ربه توبة صادقة نصوحاً .

وحيث إن التجارب على أنواعها هى افتقاد رحمة ومحبة ، ولا يسمح بها الله إلا لقصد معين ، وحكمة قد تعلو فى كثير من الأحيان إدراكنا، فلا عجب أن تلمّ بالصديقين والخطاة على حد سواء .

والذى نراه من تدبير العناية الإلهية المطرد ، هو أن التجارب تحلُّ بالخطاة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، لحملهم على التوبة . وتحلُّ بالصديقين ليساهموا فى عمل خلاصهم . فقد حتم الله فى حكمته غير المحدودة ، بأن لا يشركنا فى سعادته الأبدية ، دون سعى وكبير جهاد من جهتنا . فقد جاء : « إنه بشدائد كثيرة ينبغى لنا أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢١)

وعلى ذلك قال السيد المسيح قوله هذا المشهور : « مَن أراد أن يتبعنى فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤) . وأيضاً قوله هذا : « والذى يصبر إلى المنتهى يخلص » (مت ٢٤ : ١٣)

فالصبر فى التجارب والمحن ، وهو ما أشير اليه بالكفر بالذات وحمل الصليب إلى آخر نسمة من الحياة ، شرط ضرورى ، لا بدّ منه لكل من يريد أن يكون تلميذاً ليسوع المسيح ، الذى لم يخلصنا إلا بواسطة آلامه وموته على الصليب .

حقيقة هذه جلية ، لاتحتاج إلى برهان ، طالما يرجع ذكرها على كل صفحات الإنجيل . وقد فهمها من قبل ، كل الآباء القديسين الذين سبقونا فى الإيمان ، كأبى المؤمنين ابراهيم ، وإسحق ويعقوب ، أيوب الصديق وطوبيا البار ، والأنبياء جميعاً .

ومن بعدهم الرسل الأطهار والشهداء . . . كل هؤلاء المشهود لهم بالتقوى والإيمان ، لم يخلصوا دون أن يجاهدوا الجهاد الحسن ، وإلى آخر رمق من حياتهم ، وهكذا نالوا إكليل المجد ، الذى استحقته لهم أعماله .

فلا بد إذن لكل محب الله من الجهاد ، وجهاد مرير متواصل ، ولكنه مكلل بأبهر النتائج ، حيث تتبعه حياة سعيدة تدوم إلى الأبد : « طوبى للرجل الذى يصبر على التجربة ، لأنه إذا زُكى ينال إكليل الحياة ، الذى وعد به الله الذين يحبونه » (يع ١ : ١٢)

وحيث إن المحبة هى علامة خلاص ، فالويل كل الويل لذلك الإنسان الذى لم تعترضه المصاعب ، ولم يجرب المشقات ومر الشدائد ، لأن فى ذلك حجة قوية دامغة على أن الله يُعامل هذا الخاطىء هذه المعاملة اللينة ، لأنه يريد أن يُكافئه فى الدنيا ، عن الخير القليل الذى أتاهُ ، والذى لا يمكن أن يُكافئه عنه فى الآخرة ، لأنه معدّ لخسران أبدى !

أما حكمة التجارب والمحن فهى ، ولا شك ، تلك الأعمال العظيمة ، التى يريد الله أن يظهرها فى عبيده ومحبيه الأمناء بابتلائهم بالتجربة . إنّ أظهر هذه الأعمال هى تمحيص أصفيائه وصدّيقيه من كل دنس وغبار خطيئة ، مثلما يُمحص الذهب فى البوتقة ، وترويضهم على ممارسة الفضائل البطولية ؛ وتهيئة الفرص لنا ، الأكثر مناسبة ، لإظهار حبنا له ، لأن المحبة الحقيقية هى التى لاترفض التضحية ولا ترتدّ أمام الشدائد .

ثمَّ إنهُ عزّ وجلّ يسمح بالتجربة ليتمجد فينا ، بإظهار صبرنا وأناتنا ، وتمسكنا به تعالى ، رغم كل الضيقات وتجاربنا القاسية : هذه الأعمال عينها التى بها يزداد كنز استحقاقاتنا فى السماوات . ذلك الكنز الذى يهبنا إياهُ الديان العادل ، والذى يناسب جهادنا فى هذه الحياة .

فيجب علينا إذن أن نتمسك بالصبر الجميل دوما . ذلك الصبر الذى جعله الله ، كما يعلمنا السيد المسيح ، أداة خلاص بين أيدينا ، قال : « بصبركم تقتنون نفوسكم » (لو ٢١ : ١٩) . وأن نقبل من يد الله كل محن الحياة والشدائد كافة بخضوع تام شاكرين .

وهنا يسوغ لنا أن نسأل ، وما الصبر المطلوب منّا ؟ هل هو عدم الشعور بالملمّة ومختلف تصاريف الدهر ؟ ولكن الشعور بهذه ليس بأمر مستغرب فى طبيعة البشر الضعيفة . ومثل هذا الشعور ، كشعور، لاينقص شيئاً من أستحقاقنا بل بعكس ذلك فيه مايزيده .

والصبر هو غير الاستكانة فى الفاجعة كشىء مقدّر محتوم ، هكذا كما يفعل غير المؤمنين ، ولا هو الازدراء بكل حوادث الدهر وتقلباته ،كما يفعل الفلاسفة كبرياءً منهم .

إنما الصبر هو فضيلة مسيحية صرف ، بها يعمل المسيحى إرادة الله أبيه السماوى فى كل شىء ، وفى كل ظروف الحياة . إذن فهو مطابقة إرادتنا إلى إرادة الله عزّ وجلّ مطابقة كلية كاملة . بحيث إن من كان صبوراً حقا يستطيع أن يقول ، فى كل ملمات الدهر ، مع السيد المسيح : « أيها الآب ، لتكن مشيئتك لا مشيئتى » (لو ٢٢: ٤٢)

هذا الصبر وحده أى عمل إرادة الله أبينا السماوى، فى السرّاء والضرّاء ، هو الذى يُطهرنا من كل دنس خطيئة ، ويستحق لنا كنزاً فى السموات لا يفنى .

ثقل مجد ، لاتذكر بإزائه كل متاعب الحياة الحاضرة ، حسبما يعلمنا الرسول بقوله : « وإنى أحسبُ أن آلام هذا الدهر لا تُقاس بالمجد المزمع أن يتجلى فينا (رو ٨ : ١٨) . ذلك المجد الذى يعطينا إياه الديان العادل إذا صبرنا إلى النهاية .

أحد الشعانين

دخول المسيح أورشليم باحتفال عظيم

فصل من إنجيل متى ٢١ : ١ — ١٧

ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين. وقال لهما اذهبا إلى القرية التى أمامكما وللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاهما وأتيانى بهما . فان قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب يحتاج اليهما فيرسلهما للوقت . هذا كله كان ليتم ماقيل بالنبى القائل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وصنعا كما أمرهما يسوع . وأتيا بالأتان والجحش ووضعا ثيابهما عليهما وأركباه . وفرش الجمع الكثير ثيابهم فى الطريق وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوها على الطريق . وكان الجموع الذين أمامه والذين وراءه يصرخون قائلين هوشعنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب هوشعنا فى الأعالى . ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلين من هذا . فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل . ودخل يسوع هيكل الله وأخرج جميع الذين يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . وقال لهم مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص . وتقدم إليه فى الهيكل عميان وعرج فشفاهم . ولما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع والصبيان يصيحون فى الهيكل ويقولون هوشعنا لابن داود غضبوا . وقالوا له أتسمع مايقول هؤلاء فقال لهم يسوع نعم أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً . وتركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك .

إن دخول سيدنا يسوع المسيح المدينة المقدسة ، فى هذا الموكب العظيم ، كان فى اليوم العاشر من شهر الإسبال ، وهو أول شهور السنة عند العبرانيين . فى هذا اليوم كان اليهود يُدخلون المدينة الحملان ، التى كانت تقرَّب فى اليوم الرابع عشر منه ، ذكرى لفصح الرب .

وعليه فقد اختار يسوع هذا اليوم ، وكان يوم أحد تلك السنة ، ليشير إلى أنه الحمل الفصحى الحقيقى ، الرافع خطايا العالم ، والذى لا بد له من أن يُذبح ، بعد أيام معدودة ، على عود الصليب لخلاص البشر .

وقد شاء أن يكون دخوله بأبهة وجلال ، دخول الظافر بمملكته ، لأن ساعته التى سيكمل فيها عمل فدائنا ، والتى طالما تاق إليها قلبه الأقدس قد أزفت . فلابد إذن من أن يعرف الجميع رؤساء ومرؤسون أنه حقيقة المسيح المخلص ، الذى كتب عنه موسى والأنبياء ، ابن الله وابن داود .

ومن ثم فما إن يسوع بعدما أعدَّ ونظم بعناية كل شىء ، يدخل المدينة على رأس هذا الموكب الزاخر ، يحيط به تلاميذه وهذه الآلاف المؤلفة من الشعب ، وهم يهتفون له هتافات الغبطة والابتهاج ، تلك الغبطة وذلك الفرح اللذان يملأ منهما المسيح كل تابعيه ، والذين يؤمنون باسمه .

وقد آثر يسوع أن يكون دخوله بمناسبة اقتراب حلول الفصح ، وهو أكبر أعياد اليهود ، لازدياد كلمة الله شهرة وانتشاراً . ففى ذلك الموسم كانت المدينة المقدسة تعجُّ بالحجاج الوافدين إليها من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف .

كما وأنه اختار ذلك الموسم العظيم ليعلم الدانى والقاصى ، فى كل المسكونة ، بالأمور العظيمة المزمع وقوعها ، ألا وأعنى بها آلام وصلب وموت الفادى ، وما رافق هذه الأمور وتبعها من حوادث عجيبة .

٭ ٭ ٭

غير أن دخول يسوع المدينة لم يكن كما كان يتوقعه اليهود الماديون ، الذين كانوا ينتظرون مسيحاً أرضياً يأتيهم مدججاً بالسلاح على رأس جيش جرار لسحق الأمم أعداء إسرائيل !

بل كما تنبأ عنه الأنبياء ، ولاسيما زكريا النبى ، وادعاً وديعاً : « قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً ، راكباً على أتان وجحش ابن أتان » . يحمل تابعوه ، لا السيوف والرماح ، بل سعف النخل وأغصان الزيتون ، التى ترمز إلى حسن العبادة والتقوى والسلام .

« وكان الجموع الذين أمامه والذين وراءه يصرخون قائلين : هوشعنا لابن

داود ، مبارك الآتى باسم الرب، هوشعنا فى الأعالى» أى ليكن الخلاص والتوفيق للمسيح المخلص ، وليكن مباركا الموفد من قبل الرب ، وليكتب له النصر فى السماء كما على الأرض .

ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها — وكانت غاصة بالغرباء ويهود الشتات ، الذين جاءوا للاحتفال بالفصح — قائلين من هذا . أى من هذا الداخل إلى المدينة فى مثل هذا الموكب العظيم ، ينادى به على رؤوس الملأ ، أنه ملك اسرائيل .

فقالت الجموع : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل . إن الجموع تدعو يسوع بلقب النبى ، لا بلقب المسيح ابن داود ، كما كانت تهتف له منذ لحظات عند دخوله المدينة ، لتذكير هؤلاء الغرباء ، ومن لم يعرفه بعد ، بواجب الإيمان به ، كما سبق وأوصى بذلك موسى كليم الله ، العظيم فى الأنبياء .

وموسى هو أول من لقب المسيح بهذا اللقب ، مستحثا الشعب على طاعته والانقياد لتعاليمه . فقد قال مخاطباً جماعة بنى إسرائيل : « يقيم لك الرب إلهك نبياً من بينكم من إخوتك ، مثلى له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥)

☆ ☆ ☆

ودخل يسوع هيكل الله ، فهاله أن يرى المكان المقدس، وقد تحول إلى سوق عامة . ولذا فها هو من فوره يأخذ فى طرد جميع الذين يبيعون ويشترون فى الهيكل ، من الرواق المعروف برواق الأمم ، وهو الجزء الذى كان يسمح للأمم بدخوله . وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ، دون أن يستطيع أن يتعرض له أحد أو أن يقاومه مقاوم .

وقد فعل ذلك غيرة منه على حرمة الهيكل بيت أبيه ، حسبما جاء فى المزمور ٦٩ عدد ٩ « غيرة بيتك أكلتنى » . ومما قاله لهؤلاء المجرمين الذين لم يوقروا بيت الله : « مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة للصوص »

وتقدم إليه فى الهيكل عميان وعرج فشفاهم . بهذه العجائب وأمثالها شاء يسوع

أن يعلن للملأ أنه حقيقة المسيح المخلص ابن داود، مرسل الله، كما كانت تهتف له الجماهير.

ومن عجائب ذلك اليوم المشهود، ظهور الصبيان أيضاً فى الهيكل، حيث أخذوا يصيحون بأعلى أصواتهم مرددين بحماس: «هوشعنا لابن داود» الأمر الذى أغضب رؤساء الكهنة والكتبة.

وحيث إنهم لم يستطيعوا شيئا حيال هؤلاء الصبية، لجأوا إلى يسوع، لعله ينتهرهم بسلطانه فيسكتون! قالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم.

ومن ثمة أخذ يبين لهم أن هؤلاء الأطفال، إنما يصيحون كذلك منقادين بروح الله، إذن تحت تأثير قوة علوية. قال لهم: «أما قرأتم قط أن من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً». وتركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك.

أحد القيامة

لقد قام الرب فى الحقيقة

فصل من انجيل يوحنا ٢٠ : ١ — ١٨

وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر فى الغداة والظلام باق فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر . فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما قد أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأقبلا إلى القبر . وكانا مسرعين معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء إلى القبر أولا . وانحنى فرأى الأكفان موضوعة لكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأى الأكفان موضوعة . والمنديل الذى كان على رأسه غير موضوع مع الأكفان بل ملفوفاً فى موضع على حدته . فحينئذ دخل التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر فرأى وآمن . لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من بين الأموات . وذهب التلميذان إلى موضعهما . أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر . فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث وضع جسد يسوع أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين . فقالا لها يا امرأة لم تبكين . فقالت لهما إنهم أخذوا ربى ولا أعلم اين وضعوه . فلما قالت هذا التفتت إلى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع . فقال لها يسوع يا امرأة لم تبكين من تطلبين . فظنت أنه البستانى فقالت له ياسيدى إن كنت أنت حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه . فقال لها يسوع ، مريم . فالتفتت وقالت له رابونى الذى تفسيره يامعلم . قال لها يسوع لاتلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى بل إمضى إلى إخوتى وقولى لهم إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم . فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا .

« لقد قام الرب فى الحقيقة » (لو ٢٤ : ٣٤)

إن قيامة الرب يسوع من بين الأموات ، فى اليوم الثالث ، كما سبق وتنبأ لاسمه السجود ، هى ولا شك ، من الحوادث التاريخية الأكثر شهرة ووضوحاً ، فهى حقيقية أكيدة مثبتة بشواهد جمة ، مضمونة ، لاشبهة فى واضعيها .

فقد رأى الرب يسوع من بعد قيامته : مريم المجدلية ، وبقية النساء القديسات اللواتى كن يتبعن يسوع ؛ ثم مار بطرس ، والرسل جميعاً ؛ وتلميذا عماوس ، وأكثر من خمس مئة تلميذ (١ كور ١٥ : ٦)

وقد أثبت الرب قيامته بظهوره إحدى عشرة مرة ، فى أزمنة وأماكن مختلفة تارة فى الليل وتارة فى النهار ، ومرة فى علية صهيون ومرة أخرى على بحيرة طبرية ، وعلى جبل الزيتون ؛ وذلك مدة أربعين يوماً (١)

من أجل هذا نقول إن الضلال والخداع ، فى مثل هذا الحادث مستحيل ، ولاسيما أن الشهود شهود عيان ، لم يكونوا ميالين للاعتقاد بقيامة المعلم دون أى تحقيق . فقد روى الإنجيلى كيف أن بطرس ويوحنا وهما أشد التلاميذ تعلقاً بيسوع لم يؤمنا بقيامة الرب إلا بعد انتقالها إلى قبر المعلم ومعاينته .

أما توما وهو أحد الرسل ، فلم يصدق قيامة الرب ، وذلك رغم شهادة كل الرسل والتلاميذ الذين كانوا قد رأوه ، قبل أن يشاهده بعينيه ، ويلمس جراحاته ، ويضع يده فى جنبه الطاهر !

إن الرسل أنفسهم الذين كانوا قد شاهدوا الرب يسوع قبل توما ، لم يؤمنوا بقيامته ، إلابعد ما عرض عليهم يديه ورجليه ليلمسوه ، وأكل أمامهم . فقد ظنوه فى أول الأمر خيالا .

غير أن حادث القيامة ليس هو مجرد حقيقة تاريخية ثابتة فحسب ، بل عقيدة إيمانية مقررة ، طالما يرجع ذكرها على ألسنة الرسل ، شهادة لصحة تعاليم معلمهم الإلهى : ففى يوم العنصرة مثلا ، فى الخطاب الذى ألقاه مار بطرس على اليهود ، يستند على قوة هذه الأعجوبة ، قائلا : يارجال إسرائيل ، إن يسوع الناصرى

---

(١) ظهر سيدنا يسوع المسيح بعد قيامته إحدى عشرة مرة ، وهاهى بالتفصيل :
١ — للنساء القديسات أثناء رجوعهن من القبر (مت ٢٨ : ٩ — ١٠) ٢ — لمريم المجدلية (مر ١٦ : ٩ ويو ٢٠ : ١١ — ١٨) ٣ — للقديس بطرس هامة الرسل (لو ٢٤ : ٣٤ و١ كور ١٥ : ٥) ٤ — لتلميذى عماوس (مر ١٦ : ١٢ ولو ٢٤ : ١٣ — ٣٥) ٥ — للرسل مجتمعين أثناء غياب توما (لو ٢٤ : ٣٦ — ٤٩ ويو ٢٠ : ١٩ — ٢٥) ٦ — للرسل ومعهم توما (يو ٢٠ : ٢٦ — ٢٩) ٧ — لسبعة من الرسل على بحيرة طبرية (يو ٢١ : ١ — ٢٣) ٨ — لجماعة الرسل فى الجليل (مت ٢٨ : ١٦ — ٢٠) ٩ — لخمس مئة أخ من التلاميذ (١ كور ١٥ : ٦) ١٠ — للقديس يعقوب أحد الرسل (١ كور ١٥ : ٧) ١١ — وكان آخر ظهور للرب يسوع يوم صعوده إلى السماوات (مر ١٦ : ١٩ — ٢٠ ولو ٢٤ : ٥٠ — ٥٣)

الرجل الذى أشير لكم إليه من الله بالقوات والعجائب والآيات ، والذى صلبتموه وقتلتموه بأيدى الأثمة.. يسوع هذا قد أقامه الله ، ونحن كلنا شهود بذلك . فتوبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع لمغفرة الخطايا » (أ ع ٢ ..)

شهد بطرس والرسل بقيامة يسوع ، ولم يجترىء أحد من اليهود صالبي المسيح ولا من الوثنيين معاصريهم أن يكذب دعواهم ، بل آمن بشهادتهم هذه ، ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس ، ومرة أخرى آمن نحو خمسة آلاف نفس (أع ٢ و ٣ و ٤)

حقاً لقد قام المسيح . وقد أثبت الرسل ، وعدد من تلاميذ المسيح لا يحصى ، هذه العقيدة الأساسية ، لا بقوة البرهان وصنع المعجزات فحسب ، بل وبسفك دمائهم حباً بالمسيح ابن الله الحى .

قال الرسول : « إن كان المسيح لم يقم ، فإيمانكم باطل وأنتم بعد فى خطاياكم ، إذن الذين رقدوا فى المسيح أيضاً قد هلكوا .. لكن الحال أن المسيح قد قام من بين الأموات ، وهو باكورة الراقدين » (١ كور ١٥ ..)

لقد قام المسيح الرب فى الحقيقة ، وبقيامته أثبت لنا ألوهيته ، وألوهية الدين الذى علم به ، ويأمر الجميع بالدخول فيه تحت طائلة الهلاك . قال : « من آمن واعتمد يخلص ، ومن لم يؤمن يُدان » (مر ١٦ : ١٦)

فشكراً لله الآب الذى وهبنا الإيمان ، ومع الإيمان مالا يحصى من الحجج القواطع والبينات النواصع ، التى تشهد جميعها بصحة هذا الإيمان الحق ، مصدقاً عليه أخيراً بقيامة ابنه من بين الأموات ، له العز والسجود من الآن وإلى الأبد .

الأحد الأول من الخمسين

ظهور يسوع لتلاميذه ورسم سر التوبة

فصل من إنجيل يوحنا ٢٠ : ١٩ — ٢٩

فلما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع والأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفاً من اليهود جاء يسوع ووقف فى وسطهم وقال لهم السلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ حين أبصروا الرب . وقال لهم ثانية السلام لكم كما أرسلنى الآب كذلك أنا أرسلكم . ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم . خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم . وإن توما أحد الاثنى عشر الذى يقال له التوأم لم يكن معهم حين جاء يسوع فقال له التلاميذ الآخرون إننا قد رأينا الرب . فقال لهم إن لم أعاين أثر المسامير فى يديه وأضع إصبعى فى موضع المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن . وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ أيضاً داخلا وتوما معهم فأتى يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال السلام لكم . ثم قال لتوما هات إصبعك إلى ههنا وعاين يدى وهات يدك وضعها فى جنبى ولاتكن غير مؤمن بل مؤمناً . أجاب توما وقال له ربى وإلهى . قال له يسوع لأنك رأيتنى ياتوما آمنت طوبى للذين لم يروا وآمنوا .

ظهر يسوع فى اليوم الأول لقيامته المجيدة خمس مرات. وكانت المرة الخامسة ، فى عشية ذلك اليوم ، وهو أول الأسبوع أى يوم أحد ، ظهر لتلاميذه المجتمعين معاً ، ماعدا توما ، فى علية صهيون . وقد أغلقوا على أنفسهم الأبواب خوفاً من اليهود .

دخل يسوع العلية ، التى أُحكم غلقها ، من غير أن يفتح باباً أو يكسر شباكا ، أو يترك أثراً ما لدخوله . فقد رآه التلاميذ فجأة واقفاً فى وسطهم يُقرأهم السلام.

وكان ذلك، لا بأعجوبة صنعها ، بل بقوة البساطة التى اكتسبها جسده الممجد ، الذى أصبح بعد القيامة يتمتع بكثير من صفات الروح ، ومنها ولوج المكان والإقامة به دون شغله .

وقف يسوع وسط تلاميذه فحياهم قائلا : السلام لكم . أما هم فقد اضطربوا وخافوا ، وظنوا أنهم يرون روحاً . فقال لهم : مابالكم مرتعدين ، ولماذا ثارت

الأوهام فى قلوبكم ؟ انظروا يدى ورجلى ، إنى أنا هو ، جسّونى وانظروا فإن الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لى . وعند ذلك أراهم يديه ورجليه وجنبه .

وما أعظم فرحهم حين عاينوا ولمسوا تلك الجروح ، وتحققوا بذواتهم صحة قيامة معلمهم المحبوب . كيف لا ؟ وهاهم الآن يرونه حياً معافى ، يأكل ويشرب معهم ، وقد ظنوا حيناً أنهم لن يروه إلى الأبد ، وأن كل شىء قد انتهى بموته !

« ففرح التلاميذ حين أبصروا الرب . وإذ كانوا غير مصدقين من الفرح ومتعجبين . قال لهم ، أعندكم ههنا طعام ؟ فأعطوه قطعة من سمك مشوى وشهد عسل ، فأخذ وأكل أمامهم »

وقال لهم ثانية : « السلام لكم ، كما أرسلنى الآب كذلك أنا أرسلكم » أى كما أرسلنى أبي لأبشر الناس بالخلاص ، كذلك أرسلكم أنا أيضاً ، معطياً لكم ولخلفائكم من بعدكم هذا السلطان عينه. فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ، عاملين على نشر ملكوتى فى أربع أنحاء المسكونة ، تتمة لعمل الفداء الذى قمت أنا به وبدأته فى العالم .

رسم سر التوبة :

« ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس » وقد أشار بتلك النفخة الرمزية أن الروح القدس ليس هو روح الآب فحسب ، بل وروحه أيضاً ، وبالتالى فهو يصدر عنه كما يصدر عن الآب . وإذن فهو منبثق من الآب والابن على حد سواء .

وقد أعطى يسوع تلاميذه الروح القدس بهذه العلامة الحسية ، ليعلن للجميع أنه يمنحهم سلطاناً جديداً ، سلطان مغفرة الخطايا . وهو ما يظهر لنا جلياً من الآية التالية : « من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم »

وحيث إنه على هذا السلطان يترتب منح حياة روحية جديدة ، وهذه لا يمكن أن تكون من غير عمل الروح القدس ، الروح المحي ، فقد أعطى يسوع هنا الروح

القدس للتلاميذ خصيصاً لهذه الغاية ، أى ليخوّلهم سلطة إحياء الموتى بالروح : الخطاة التائبين .

قال القديس كيرلس الاسكندرى فى شرح هذه الآية «خذوا الروح القدس» ما فحواه : إن الله فى البدء ، وهب الإنسان النعمة بنفخة . وكان ذلك عندما «نفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار الإنسان نفساً حية» (تك ٢ : ٧) . ولذا فقد شاء مخلص العالم أن يرد للتائبين النعمة بنفخة أيضاً . وقد فعل ذلك حين نفخ فى الرسل فأعطاهم وخلفاءهم سلطان مغفرة الخطايا . ففى سرّ التوبة ينال التائب مغفرة خطاياه ، ويعطى النعمة بقوة الروح القدس .

وقد خوّل يسوع الرسل وخلفاءهم ، سلطان الحل من الخطايا هذا ، أو كما يسميه اللاهوتيون أيضاً سلطان المفاتيح ، دون قيد أو شرط . فقد قال لهم على وجه الإطلاق : «مَن غفرتم خطاياهم تغفر لهم ، ومَن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم»

فينجم عن ذلك أن الكنيسة تستطيع بقوة هذا السلطان ، الممنوح لها من المسيح عروسها الإلهى لخلاص النفوس ، أن تغفر فى سر التوبة ، عرش النعمة والرحمة ، كل الخطايا دون استثناء ، مهما كان عددها ونوعها وجرمها .

* * *

ولكن حيث إن الكاهن ممثل الكنيسة ، ونائب المسيح فى كرسى الاعتراف لا يستطيع أن يحكم بأن التائب مستوجب الحل أم الربط ، أو بكلام آخر هل هو مستحق أن تغفر له خطاياه أم أن تمسك له ، دون سابق معرفة هذه الخطايا ، وفحص كل دعوى التائب بالتفصيل ، واستعدادات قلبه الداخلية ، ترتب على هذا الأخير ، أى على التائب واجب الإقرار والاعتراف بكل خطاياه المميتة المرتكبة بعد المعمودية ، والتى لم توضع تحت سلطان المفاتيح .

إذن بسلطان مغفرة الخطايا هذا ، جعل المسيح من الرسل وخلفائهم ، ومن الرسل وخلفائهم وحدهم ، قضاة على النفوس فى محكمة التوبة السرية ، بحيث إذا حكموا على الأرض أجاز الله حكمهم فى السماوات .

من هنا يظهر لنا أيضاً، أن خارج هذه المحكمة الروحية، التى فيها الكاهن قاض، والتائب مُدَّعى عليه ومُدَّع وشاهد، لا مغفرة للخطيئة بتاتا.

وعليه فقد تحتم علينا من باب الإلزام الكبير، وضع جميع الخطايا المميتة — المرتكبة بعد المعمودية — تحت سلطان المفاتيح. أى أنه لا بد من الإقرار بها أمام الكاهن المفوَّض، وهو الذى فوَّضت له الكنيسة هذا السلطان. على أن يكون الإقرار بنية نوال الحل منها.

هذا فى الظروف العادية. أما فى الظروف غير العادية، والتى يتعذر فيها على التائب التردد على الكاهن، فيكفى أن يكون هذا الإقرار بالاشتياق، أى أن يكون للتائب رغبة صادقة فى الاعتراف بخطاياه أمام الكاهن فى أول فرصة مؤاتية، ويصدر فعل المحبة الكاملة أو الندامة الكاملة.

فإذا سنحت الفرصة المؤاتية وجب عليه الإقرار، وإلا فتوبته تعدُّ باطلة لاغية.

الأحد الثانى من الخمسين

عاقبة إنكار لاهوت السيد المسيح

فصل من إنجيل يوحنا ١٢ : ٤٤ — ٥٠

فصاح يسوع وقال من آمن بى فليس بى يؤمن بل بالذى أرسلنى. ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى. أنا النور قد أتيت إلى العالم حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام. وإن كان أحد يسمع أقوالى ولا يحفظها فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلنى ولم يقبل أقوالى فان له من يدينه الكلمة التى نطقت بها هى تدينه فى اليوم الأخير. لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية بما أقول وبما أنطق. وأعلم أن وصيته هى حياة أبدية والذى أتكلم به فكما قاله لى الآب هكذا أتكلم به.

صنع سيدنا يسوع المسيح أمام اليهود، إثباتاً لصحة رسالته وتعاليمه الإلهية، ما لا يحصى من العجائب والقوات والآيات.

لكن هذه الآيات والعجائب الباهرة، التى لم يُسمع بها منذ الدهر، والتى أبهرتهم

لحظة ، لم تأت فيهم بالثمار المنشودة . فالذين آمنوا من اليهود وقبلوا المخلص ، هم قلة ضئيلة لاتذكر .

ولا عجب ، فذلك الشعب كانت لهم عيون لاتبصر وقلوب لاتفهم ! حسبما تنبأ عنهم أشعيا قائلا : « تسمعون سماعاً ولا تفهمون ، وتنظرون نظراً ولا تبصرون » (مت ١٣ : ١٤)

وإذ رأى يسوع أنه يُحاجُّهم من غير طائل ، وأن لا داعى لاجتراح عجائب أكثر مما اجترح ، شاء قبل أن يتركهم نهائياً وشأنهم ، أن يُعلن لهم عن حقيقة لاهوته ، وبالتالى عن صحة تعاليمه بكلام صريح لا يحتمل شكا ولا مؤاربة ، وذلك لئلا يكون لهم عذر من بعد فى خطيئتهم .

وعلى ذلك فقد صاح فيهم قائلا : « من آمن بى ، فليس بى يؤمن ، بل بالذى أرسلنى . ومن رآنى ، فقد رأى الذى أرسلنى » . ومعنى هذا القول الصريح الواضح ، أن يسوع هو ابن الله بالطبيعة ، فلا يكفى الإيمان به كمحض إنسان ، بل ويجب الإيمان به كإله أيضاً ، مساو للآب فى جوهر اللاهوت الواحد .

ومن البيّن ، إن يسوع لايطلب هنا من اليهود أن يؤمنوا به كانسان ، بل ولا حتى كنبى عظيم ، حباهُ الله بصنع الآيات البينات ، لأن جميع اليهود كانوا يؤمنون بذلك . ولم ينكر عليه أعداؤه الكتبة والفريسيون صفة النبوة ، إلا فى بعض الظروف ولأغراض شخصية خاصة .

ذلك لأن الإيمان بيسوع كانسان كامل ونبى عظيم ، لايعنى مطلقاً أنهُ عين الإيمان بألوهية الآب الذى أرسله .

فإذن يطلب يسوع هنا أن يؤمن الجميع به كإله : له والآب طبيعة إلهية واحدة مشتركة ، بحيث إن كل من آمن به ، فقد آمن فى الوقت نفسه ، بالآب الذى أرسله ، وهما معاً واحد بالذات .

وهو ما يتضح لنا بأجلى بيان فى هذه الآية : « ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى » معلناً بذلك أنهُ صورة الآب الذى أرسله ، وصورة جوهرية ، حتى

إن كل من رآهُ ، فقد رأى الآب . إذن فهو إله من إله ، ونور من نور . إله على كل شيء قدير كالآب تماماً ، له كل ما للآب سواء بسواء .

وعليه فإن كل مَن رأى يسوع المسيح كإله ، وذلك بعين الإيمان — لا بعيني الجسد اللتين لم تكن تريان إلا إنساناً كباقي الناس ، وإن فاقهم جميعاً حكمة وقداسة — فقد رأى الله الآب نفسه الذى أرسله .

وإن يسوع يتكلم هنا عن رؤية ومشاهدة عقلية تستند إلى الإيمان بلاهوته ، لا عن رؤية جسدية ، فهو ما يبدو واضحا من تأملنا : إن الله روح ، ولا جسد له . ولذا فلا يمكن أن نراهُ تعالى إلا برؤية عقلية ، كالتى يقدمها لنا الإيمان .

وبالتالى لا يرى الآب ، إلا من رأى فى يسوع المسيح ، ابنَ الله بالطبيعة ، لا من رأى فيه مجرد بشر .

* * *

وهنا يجدر بنا أن نتأمل أناة يسوع ، حلمه وسعة صدره ، مع هذا الشعب اليهودى الغليظ الكبد . أجل ، لقد رفضوا الإيمان به وبتعاليمه الإلهية ، ولكنه لم يتركهم وشأنهم فى بيداء الضلال ، بل تنازل وبين لهم مالم يستطيعوا أن يصلوا إلى معرفته بسبب قساوة قلوبهم ، معلناً لهم بصريح العبارة عن حقيقة مساواته للآب

ولم يكتف بذلك شاء أن يحذرهم من سوء العاقبة ، التى يصير إليها حتما كل من يرفض الإذعان والطاعة لتعاليمه الخلاصية.

وفى كل ذلك لا يستعمل يسوع أبداً لغة التهديد والوعيد ، بل الرفق والمحبة ، والوعد الصريح بالتحرير من ظلام جهل عبادة الله العبادة الحقيقية ، وظلام الخطيئة الذى يعقبه ظلام أبدى فى جهنم . قال لهم : « أنا النور ، قد أتيت إلى العالم ، حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام »

إن يسوع المسيح هو النور الذى يبدد كل ظلام . ولذا فإن كل من يؤمن به فلا يمشى فى الظلام بل فى النور . وعبادته صحيحة مرضية ، لأنه يعبد الله بالروح والحق . وحيث إنه مات على الخطيئة ، فلا تتسلط عليه الخطيئة من بعد . وبما إنه

فى نور دائم فلا يمكن أن يتعثر بشئ ، بل وكل شئ يعاونه على الخير (رو ٩ : ٢٨) لأن شمس البر يسوع المسيح ينيره ويسدد خطاه على الدوام .

هذا بخلاف الذى لا يؤمن بيسوع المسيح، أو الذى يؤمن به ولكن لايعمل بكلمته ، فإن كل شئ يعثره لأنه يمشى فى ظلام ، ولا يريد أن يقترب من النور لئلا تفضح أعماله ، لأنها شريرة .

فلا نغمض أعيننا إذن أمام تعاليم السيد المسيح الوضاحة ، وهى نور وهدى وحياة ، وإلا أمسينا كالعميان ، وأضحى أمر خلاصنا فى خطر مبين .

***

غير أن السيد المسيح الذى لم يأت ليدين العالم ، بل ليخلص العالم ، سيترك للجميع حرية اعتناق تعاليمه والعمل بها ، إلى حين يوم الدين . قال : « إن كان أحد يسمع أقوالى ولايحفظها فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم، ومن رذلنى ولم يقبل أقوالى ، فإن له من يدينه . الكلمة التى نطقت بها هى تدينه فى اليوم الأخير »

فالآن هو زمن الرحمة ، ولذا لايتسرع الله إلى معاقبة الخاطئ ، بل يعطيه المهلة الكافية لإعمال فكره ، لعله يتوب ويرجع إليه . ولكن سوف يأتى يوم الحساب والعدل الرهيب ، الذى سيؤدى فيه كل من بلغهم نور البشارة بطريق أو آخر ، حساباً دقيقاً عن كل أعمالهم .

وسيكون ذلك الحساب بموجب الكلمة التى سمعوها والتى لم يعملوا بها . أو التى رفضوها ولم يؤمنوا به ، راذلين الرب يسوع وكلمته .

أما الذين لم تبلغهم أنوار البشارة ، فسيكونون يوم الدين أخف حالة من هؤلاء ، لأن العدل الإلهى سيحاسبهم بمعزل عن الكلمة التى جهلوها دون ذنبهم .

إن كلمة يسوع المسيح المعلم الالهى هى كلمة الله ، ولذا فلا بدَّ لنا من قبولها والعمل بها ، وإلا وقعنا تحت طائلة العقاب . وعلى ذلك قال يسوع : « الآب الذى

أرسلنى هو أعطانى الوصية بما أقول وبما أنطق » وأردف قوله هذا بقوله : « وأعلم أن وصيته هى حياة أبدية »

وحيث إن كلمة يسوع ووصيته هى كلمة ووصية الله ، لأنه هو والآب واحد ، وحيث إن إتباع هذه الكلمة وحفظها هى حياة أبدية . ينجم عن ذلك أن كل من يرفض كلمة يسوع أو إحدى وصاياه ، فعاقبته ولا شك ، هى الهلاك والموت الأبدى

الأحد الثالث من الخمسين

مثل المدعوين إلى عرس ابن الملك

فصل من إنجيل متى ٢٢ : ١ — ١٤

ثم أجاب يسوع وكلمهم أيضاً بأمثال قائلا . يشبه ملكوت السماوات رجلا ملكا صنع عرساً لابنه . فأرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا . فأرسل أيضاً عبيداً آخرين وقال قولوا للمدعوين هوذا غدائى قد أعددته عجولى ومسمناتى قد ذبحت وكل شىء مهيأ فهلموا إلى العرس . ولكنهم تهاونوا فذهب بعضهم إلى حقله وبعضهم إلى تجارته . والباقون قبضوا على عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك غضب وأرسل جنده فأهلك أولئك القتلة وأحرق مدينتهم . حينئذ قال لعبيده أما العرس فمعد وأما المدعوون فغير مستحقين . فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس . فخرج عبيده إلى الطرق فجمعوا كل من وجدوا من أشرار وصالحين فحفل العرس بالمتكئين . فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك رجلا ليس عليه حلة العرس . فقال له ياصاح كيف دخلت إلى ههنا وليس عليك حلة العرس . فصمت . حينئذ قال الملك للخدام أوثقوا يديه ورجليه واطرحوه فى الظلمة البرانية . هناك يكون البكاء وصريف الأسنان . لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون .

بهذا المثل [١] يعلمنا السيد المسيح أن ما يحدث فى بناء وتكوين الكنيسة ، ملكوت الله على الأرض ، يشبه ماحدث إذ أقام أحد الملوك مأدبة لعبيده بمناسبة عرس ابنه .

فلبى بعضهم الدعوة ، ورفضها البعض الآخر . والذين لبوا الدعوة لم يكونوا

---

(١) هذا المثل هو غير المثل الذى ذكره لوقا فى ١٤ : ١٥–٢٢ ، وإن اتفقا فى بعض أجزائهما .

جميعاً أهلاً للاشـــتراك فى الوليمة ، فالذى لم يكن أهلاً طرد خارجاً وطرح فى الظلمة البرانية .

أما الملك فى المثل فهو الله . والابن فهو سيدنا يسوع المسيح. والعروس التى خطبها ابن الله لنفسه فهى الكنيسة ، وبالتالى نفس كل واحد من المدعوين ، الذين تتألف منهم الكنيسة .

ويبدأ إتحاد النفس بالختن الإلهى هنا على الأرض بواسطة الإيمان ، الى أن يكمل فى السماء بامتلاك الله موضوع سعادتنا القصوى وخيرنا الأعظم ، إمتلاكا مطلقا أبديا فى شركة الختن ، بواسطة نور المجد .

أما الوليمة التى يشترك المدعوون فيها مجانا فهى تعاليم الإنجيل المخلصة ، ثم هى الأسرار المقدسة ، ولاسيما سر القربان الأقدس . وبالعموم كل المواهب والنعم التى تمنح للإنسان باعتناقه المسيحية . والوليمة فى الآخرة هى السعادة الأبدية التى أعدها الله لكل محبيه قبل خلقه العالم .

وبالرغم من أن الدعوة إلى الوليمة قد وجهت إلى اليهود أولا ، فهى مع ذلك موجهة إلى شعوب الأرض قاطبة ، من كل أمة ولسان وقبيلة،دون استثناء إطلاقا.

وبما إن اليهود رفضوا الدعوة ، ولم يؤمنوا بالإنجيل ، فقد أرســل الملك جنوده وأهلك أولئك القوم قتلة الأنبياء ، وأحرق مدينتهم .

غير أن قبول الدعوة أوالإيمان وإن كان شرطاً أساسياً للخلاص ، فهو ليس بالشرط الوحيد . ولذا فالذين لبوا دعوة الإيمان وأصبحوا أعضاءً فى الكنيسة ، فلا بدَّ لهم للاشتراك فى وليمة عرس الحمل والسعادة الأبدية ، من الأعمال الصالحة أعمال المحبة . وهى التى يرمز إليها فى المثل حلة العرس . وإلا كانت العاقبة هلاكا محققاً على مثال اليهود الكفرة .

* * *

ونقول بالتفصيل إن إتحاد المسيح بالكنيسة ، وبالتالى بالنفوس يشبه تماماً وثاق الزواج غير المنفصم . على أنه كما أن فى الزواج ، إذا خان أحد الزوجين

زوجه فيجوز الانفصال حسب الشريعة. كذلك النفس التى تخون دعوتها بارتكابها الخطيئة، فإنها تفصل لامحالة، عن محبة الختن الإلهى، حتى تتوب وتكفر عن خطاياها. هذا إذا لم يفاجئها الموت، لأنه لو فاجأها الموت وهى على تلك الحال، فانها لاشك هالكة إلى الأبد، لوجودها عارية من لباس النعمة فى نفس الساعة، التى كان مقرراً أن يتم فيها القران الروحى بالحمل.

وقد وجَّه الله دعوته فى أول الأمر إلى اليهود باعتبارهم شعبه المختار. وذلك بواسطة الأنبياء القديسين الذين تنبأوا عن مجىء المسيح وفدائه للإنسانية جمعاء، وأن ملكه يمتد من أقصى المسكونة إلى أقصاها، من غير أن يكون له انقضاء، إذ يبدأ فى هذا الدهر، ولن يكمل إلا فى الآخرة، فهو دائم إلى الأبد.

وقد تنازل ابن الله ودعاهم بنفسه للاشتراك فى وليمة عرسه، ولكن دون جدوى. لأنهم كانوا محبين للمادة، يطمحون فى ملك زمنى، تكون لهم فيه السيادة، وتكون بقية الشعوب فيه عبيداً لهم!

ومن بعد صعود الرب يسوع أرسل الله الرسل الأطهار إليهم، لعلهم يرعوون فيتركون عنادهم، بعد كل ما عاينوه من العجائب التى رافقت وتبعت موت المخلص وقيامته المجيدة. ولكنهم فضلوا لذاتهم ومصالحهم الأرضية على الاشتراك فى مأدبة الخلاص التى كان قد أعدها لهم الله الملك الأعظم، إذ كما يقول مثل يسوع: «ذهب بعضهم إلى حقله وبعضهم إلى تجارته»

والباقون منهم قبضوا على رسل الملك وأوسعوهم شتماً وإهانة. وفى ذلك إشارة واضحة إلى اضطهاد اليهود لتلاميذ المسيح. بل وقتلوا بعض هؤلاء الرسل الذين كانوا يدعونهم إلى التوبة. فقد قذفوا بيعقوب أخى يوحنا من أعلى جناح الهيكل، وقتلوا اسطفانوس أول الشمامسة وأول الشهداء رجماً بالحجارة الخ.

على أن انتقام الله العادل لم يلبث أن سلط عليهم جحافل جيوش الرومانيين، الذين أعملوا السيف فى رقابهم، وقد تركوا المدينة والهيكل قاعاً صفصفاً ينعق فيهما البوم.

ومن بعد اليهود، دعا الله الأمم جميعاً بواسطة الرسل، إلى دخول ملكوته والاشتراك فى وليمة العرس. لأنه تعالى، وهو الذى لا محاباة عنده للوجوه،

يريد إرادة حقيقية «أن جميع الناس يخلصون ويبلغون إلى معرفة الحق» (١ تى ٢ : ٤)

غير أنه وإن كفى لدخول الكنيسة ملكوت الله على الأرض قبول الدعوة والإيمان بالإنجيل، فلا يكفى للاشتراك فى مأدبة عرس الحمل فى السماء أن يكون الإنسان عضواً فى الكنيسة فقط، بل ويجب أن يكون عضواً عاملا، يحيا حياة الإيمان والمحبة، ويتزيّا بزىّ العرس، لباس النعمة المبرِّرة.

وعلى ذلك نقول إن الله يسمح بأن تكون كنيسته على الأرض مكوّنة من الأخيار والأشرار، لغاية سامية، هى فى الواقع تنقية الأخيار، وإعطاء الأشرار فرصة للتوبة. أما فى الآخرة فلن يكون الأمر كذلك، لأنه تعالى قبل الشروع فى حفلة العرس، سيفصل الأشرار عن الأخيار بحكم عادل.

ولن تكون إذاك أية معذرة للشرير الذى تجاسر ودخل الوليمة الملكية بثوب آثامه القذر، وقد كان فى طاقته، كباقى المدعوين، أن يرتدى لباس العرس النقى، الذى يعطى للجميع مجاناً.

ويبدو واضحاً أن لباس العرس المطلوب هنا، هو الضمير الصالح والنقى، البرىء من كل دنس، ووزر الخطيئة، بل والمزين بأعمال البر والصلاح.

* * *

وقد ختم يسوع مثله هذا قائلا: «لأن المدعوين كثيرون، والمختارين قليلون» ولا عجب، فقد حرم عدد كبير من الوليمة، لأنهم لم يلبوا الدعوة، أمثال المدعوين الأولين، ألا وأعنى بهم جماعة اليهود الذين لم يؤمنوا.

كما وأن بعض الذين لبوا الدعوة لم يوجدوا أهلا للاشتراك فى مأدبة الحمل، لأن أعمالهم لم تطابق إيمانهم: أمثال ذلك المدعو المتطفل، الذى دخل الوليمة وليست عليه حلة العرس. والذى كان من أمره أنه لما رآه الملك أمر به فأوثق الخدم يديه ورجليه، دون أن يستطيع أن يبدى أية مقاومة، وألقوهُ فى الظلمة البرانية حيث البكاء وصريف الأسنان. أى فى جهنم النار الكالحة السواد، حيث الندم وقشعريرة الموت الأبدى.

الأحد الرابع من الخمسين

خبز الحياة

فصل من إنجيل يوحنا ٦ : ٣٢ — ٤٤

قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء لكن أبى هو يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء والواهب الحياة للعالم . فقالوا له يارب أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا خبز الحياة من يقبل إلى فلن يجوع ومن يؤمن بى فلن يعطش أبداً . لكن قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون . كل ما يعطينيه الآب فهو يقبل إلى ومن يقبل إلى لا أخرجه خارجاً . لأنى نزلت من السماء لا لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن لا أتلف من كل ما أعطانى شيئاً لكنى أقيمه فى اليوم الآخير . وهذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. فتذمر اليهود عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذى نزل من السماء . وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه فكيف هذا يقول إنى نزلت من السماء . فأجاب يسوع وقال لهم لاتتذمروا فيما بينكم. ما من أحد يقدر أن يقبل إلى مالم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .

إن السيد المسيح بعدما أبان أن المنّ الذى أعطاه موسى فى البرية لم يكن الخبز السماوى الحقيقى ، بل رمزاً له ، وتحت هذا الاعتبار فقط لقّب بالسماوى ، لأن الخبز الحقيقى السماوى هو الذى ينزل من السماء ، عرش الله رأساً ، لا من الجو كالمنّ ، وأن الآب وحده هو الذى يهبنا إياه .

أعلن صراحة : أنه هو بعينه ذلك الخبز ، خبز الله النازل من السماء والواهب الحياة للعالم . قال : « أنا هو خبز الحياة » ، الخبز المنحدر حقيقة من عرش الله ، ومن حضن الآب الأزلى بالذات ، ليهب لا الحياة المادية كالمنّ ، بل الحياة الروحية والأبدية . وذلك لا لشعب معلوم ، بل لكل شعوب الأرض قاطبة ، للعالم بأسره .

« أنا خبز الحياة » الخبز الذى يهب حياة النعمة على الأرض ، وحياة المجد والخلود فى الآخرة .

« من يقبل إلىَّ فلن يجوع ، ومن يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد » لأن كل من يقبل إلىَّ ، ويؤمن بى الإيمان الحىّ العامل بالمحبة يتحد بى أنا مبدأ كل حياة ، وخبز الحياة الدائمة ، الحياة التى لايعقبها موت ، بل خلود أبدى وسعادة سرمدية. وكيف يمكن أن يجوع أو يعطش من اتحد بى ، أنا ينبوع كل الخيرات الدائمة ، إلى خير من الخيرات الفانية الزمنية .

ولا عجب ، فإننا باتحادنا بيسوع المسيح نصير شيئاً واحداً معه . فكما إن الخبز الجسدى الذى نأكله يصير شيئاً واحداً مع جسدنا ، كذلك الخبز الروحى فإنه يصير شيئاً واحداً مع أرواحنا .

ولكن مع هذا الفرق البيّن : إن الخبز المادى هو الذى يتحوّل إلى جوهر جسدنا . فى حين إن الخبز الروحى ، خبز الحياة ، يسوع المسيح ابن الله ، فهو الذى يُحوّلنا إليه . بحيث إن كل من اتحد بيسوع هذا الاتحاد العجيب يستطيع أن يقول بكل صواب مع الرسول بولس : « وأنا حىّ ، لا أنا ، بل إنما المسيح حىّ فىّ » (غل ٢ : ٢٠)

* * *

ولكن ترى كيف يصير يسوع خبزنا وقوتنا الروحى ؟ بإعطائه إيانا جسده الأقدس لنأكله ، ودمه الأطهر لنشربه . إنما جسد يسوع هو مأكل حقيقى ، ودمه هو مشرب حقيقى (يو ٦ : ٥٦)

فأنتم أيها الجياع ، هلموا جميعاً إلى وليمة الحمل ، الذى يعطيكم الخبز الحقيقى النازل من السماء ، والواهب الحياة للعالم « والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى لحياة العالم » (يو ٦ : ٥٢)

وأنتم أيها العطاش ، هلموا جميعاً وارتوا من دم الحمل ، ذلك الينبوع الذى مياهه تنبع إلى الحياة الأبدية (أش ٥٥ :١ ويو ٤ :١٤)

إن جسد يسوع المسيح ودمه ليسا جسد ودم ابن يوسف ، كما ظنَّ اليهود ، إنما جسد ودم ابن الله .

وعليه فمن يأكل من جسد الرب ، ويشرب من دمه الأطهر باستحقاق ، فمن المحال أن يموت إلى الأبد . لأنه باتحاده بيسوع يتحد بمُبدىء الحياة ورب الكون العظيم . لا بل وإن موته الجسدى لن يكون إلا لزمن معلوم ، تتبعه قيامة مجيدة . وعلى ذلك فقد صرح يسوع قائلا : « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٥)

فيأيها الجياع والعطاش إلى البر ومعرفة الحق ، هلموا إلى وليمة جسد الرب ودمه ، التى يدعوكم إليها يسوع حكمة الآب الأزلية بقوله : « هلموا كلوا خبزى واشربوا خمرى التى مزجت » (أم ٩ : ٥)

تعالوا إلى الخبز الذى لا ينفد أصلا ، أقبلوا إلى أنا ابن الله ، الذى يقدم لكم خبز الحياة الأبدية . هلموا إلى جسدى ودمى ، حيث الحياة والحق معا ، لأن « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٧)

يثبت فى وأنا فيه « أنا الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦) . أنا الطريق الذى يؤدى إلى خلاص أكيد ونهاية سعيدة . والحق الذى ينير كل إنسان آت إلى العالم (يو ١ : ٨) . والحياة ، فالذى يأكلنى يحيا هو أيضا بى (يو ٦ : ٨)

على أننا لا نستطيع أن نشترك اشتراكا فعالا فى حياة يسوع ، وهو المملوء نعمة وحقاً (يو ١ : ١٤) ، المكنون فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ، والحالّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً (كو ٢ : ٣ — ٩) ، مالم نتقدم لقبوله فى سر القربان الأقدس ، سر محبته العجيب ، بإيمان حى . وهو الإيمان الذى يحيا وينمو ويزدهر بالمحبة .

من يقبل إلى يسوع وهو على هذا الاستعداد ، فلن يجوع ولن يعطش إلى الأبد ، لأن يسوع يشركه فى حياته ، لا بل إن حياة يسوع نفسها ، تصبح حياته « كما .. أنا أحيا بالآب فالذى يأكلنى هو أيضا يحيا بى » (يو ٦ : ٥٨)

فنحن معشر بنى الله ، الذين يؤمنون بيسوع المسيح لنتقدمن لقبوله فى سر القربان ، سر محبته العجيب ، بإيمان ومحبة عظيمين ، حتى لا يضحى إيماننا بيسوع

باطلا ، ونفقد الحق فى الحياة الأبدية . لأن يسوع يقول صراحة : «إن لم تأكلوا جسد ابن البشر ، وتشربوا دمه فلا حياة لكم فى أنفسكم » (يو ٦ : ٥٤)

ولنتقدم لقبوله بكثرة ، وباستحقاق أى ونحن فى حال النعمة ، غير مثقلين بوزر الخطيئة ، فنحظى بالتعزية والاتحاد بهذا الفادى الحبيب ، الذى يذيقنا فى سره العجيب باكورة السعادة السماوية ، ويعدنا لتمام التمتع بتلك السعادة مدى الأبدية .

الأحد الخامس من الخمسين

تعزية يسوع لتلاميذه

فصل من إنجيل يوحنا ١٤ : ١ — ١١

لاتضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى أيضاً . إن فى بيت أبى منازل كثيرة وإلا لقلت لكم فإنى منطلق لأعد لكم مكاناً : وإذا انطلقت وأعددت لكم مكاناً آتى وآخذكم إلى لتكونوا أنتم حيث أكون أنا . أنتم عارفون إلى أين أذهب وتعرفون الطريق . فقال له توما يارب لسنا نعرف إلى أين تذهب وكيف نعرف الطريق . قال له يسوع أنا الطريق والحق والحياة لايأتى أحد إلى الآب إلا بى . لوكنتم تعرفونى لعرفتم أبى أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه فقال له فيلبس يارب أرنا الآب وحسبنا . فقال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفونى . يافيلبس من رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . أما تؤمن أنى أنا فى الآب وأن الآب فى . الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من عندى بل الآب الذى هو مقيم فى هو يعمل الأعمال . آمنوا أنى فى الآب والآب فى .

أخبر يسوع تلاميذه ، أثناء عشاء الوداع الأخير ، ببعض الحقائق المؤلمة ، منها : إن واحداً منهم سيسلمه ، وإنه لن يبقى معهم إلا ساعات معدودات ، وحيث يذهب هو ، لا يستطيعون هم أن يأتوا .

الأمر الذى أوقع فى روعهم الهلع والاضطراب ، ولاسيما أنهم قد رأوا فى نبوات يسوع هذه ، ما ينذر بانهيار كل أحلامهم الذهبية ، وما كانوا يمنون به النفس من مستقبل باهر عظيم .

وعلى ذلك أخذ يسوع يعزيهم ويقويهم على احتمال صدمة الأمر الواقع ،

الذى وإن كان أليماً ، فلا يجب أن يكون سبباً فى فشلهم ، لأن يسوع معلمهم الإلهى قادر أن ينصرهم على كل ما يعترضهم من صعاب . قال لهم : « لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » أى لتكن ثقتكم بى مطلقة كاملة كثقتكم بالله أبى.

أما فيما يتعلق بمستقبل تلاميذ يسوع السعيد ، فلا يجب أن يخشوا شيئاً ، لأن فى بيت أبيه ، الملكوت السماوى حيث يشاهد الله وجهاً لوجه منازل كثيرة قال لهم : « إن فى بيت أبى منازل كثيرة وإلا — أى إن لم يكن الأمر كذلك — لقلت لكم » .

وكيف يخشون ويذهب يسوع خصيصاً ليعدّ لهم ثمة مكاناً ؟ قال لهم : « فإنى منطلق لأعدّ لكم مكاناً » . فالسماء كانت مغلقة أمام البشر كافة دون استثناء ، إلى حين موت يسوع المسيح الفدائى وصعوده المجيد وجلوسه عن يمين الآب. وذلك بسبب الخطيئة الأصلية .

كما وأن المنازل السماوية التى أُعدَت للمختارين قبل إنشاء العالم ، والتى ليست جميعها فى درجة ومرتبة واحدة ، ظلّت شاغرة لا يستطيع أحد من الأبرار ولوجها والتمتع بالإقامة بها ، مهما بلغ من سعيه واجتهاده فى هذه الحياة الدنيا . وذلك حتى دخول يسوع مجده ، بعدما أكمل عمل فدائنا بآلامه وموته على الصليب كفارة عن خطايانا .

غير أن يسوع بعد دخوله مجده لا يمكن أن ينسى تلاميذه بحال . فمتى أعدّ لهم المكان الذى يليق بأعمال واستحقاق كل منهم ، سيأتى ويأخذهم واحداً واحداً إليه ، إلى حيث الحياة والسعادة الأبدية .

أما الطريق المؤدى إلى هذه الحياة والسعادة الخالدة فهم يعرفونه ، فهو طريق تعاليم يسوع الخلاصية والإيمان به ، وعلى الخصوص السعى فى الاقتداء بهذا الفادى الحبيب والسير فى الطريق الضيق ، طريق الصليب والآلام الذى رسمه لنا ، ذلك الطريق السلطانى المؤدى إلى الحياة .

يسوع هو الطريق والحق والحياة :

فقال توما ، وقد فهم كلام يسوع حرفياً ، يارب لسنا نعرف إلى أين تذهب وكيف نعرف الطريق . قال يسوع : أنا الطريق والحق والحياة . معلناً بذلك أنه هو بالذات الطريق الذى يجب أن نسلكه ، والحق الذى يجب أن نعتنقه لنبلغ إليه ، مصدر وينبوع كل حياة وسعادتنا القصوى الأخيرة .

« أنا الطريق » يسوع هو طريق الخلاص الوحيد والأمين . باستحقاقاته يتم صلحنا مع الله ، وباستحقاقاته أيضاً نستطيع أن نبلغ بكل تأكيد إلى ثغر الحياة الأبدية ، ولاسيما لأنه للوصول إلى هذه الغاية يضع تحت تصرفنا قوة أمثاله وتعاليمه ونعمته التى لا تغلب .

« أنا الحق » يسوع هو الحق الأول والجوهرى . وعليه فان كل تعاليمه ووصاياه ، حقيقية صادقة تدوم إلى الأبد . يجب على كل من رغب فى الخلاص أن يثبت فيها إلى آخر نسمة من الحياة .

« أنا الحياة » إن يسوع بصفته الإلهية هو الحياة بالذات ، مبدأ وأصل كل حياة وقد استحق لنا كإله وإنسان معاً ، الحياة الفائقة الطبيعة التى تعطى لنا هنا بالنعمة ، وفى الآخرة بواسطة نور المجد .

إذن على تلاميذ المسيح ألا يضطربوا أبداً ، لأن معلمهم هو الطريق الحقيقى والحق والهدى الذى لا يمكن أن يخشى معه الضلال ، لا بل والحياة التى لا يمكن أن يتبعها أفول .

« لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى » أى إن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى السعادة ومشاهدة الله الطوبانية إلا باستحقاقات يسوع المسيح مخلص العالم .

وقال لهم ما فحواه : لو عرفتم كيانى حقاً ، كما تظهره أعمالى وعجائبى الخارقة ، لعرفتم أبى أيضاً : فأنا والآب واحد ، لنا طبيعة واحدة ، وخواص واحدة ، ونفس الكمالات الواحدة ، بحيث إن كل من رآنى فقد رأى بالحقيقة الآب الذى أرسلنى .

غير أنه بعدما أرشدهم إلى مساواته للآب فى جوهر اللاهوت ، شاء أن يعلمهم صريحاً أن أقنومه هو غير أقنوم الآب . قال : « إنى أنا فى الآب ، وإن الآب فىّ » وهو قول يستفاد منه بوضوح تميز الأقانيم فى الثالوث الأقدس .

خميس الصعود
والأحد السادس من الخمسين

صعود سيدنا يسوع المسيح إلى السماء

فصل من إنجيل لوقا ٢٥ : ٣٦ — ٥٣

وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع فى وسطهم وقال لهم السلام لكم أنا هو لاتخافوا . فاضطربوا وخافوا وظنوا أنهم يرون روحاً . فقال لهم ما بالكم مرتعدين ولماذا ثارت الأوهام فى قلوبكم. انظروا يدى ورجلى. إنى أنا هو . جسونى وانظروا فإن الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لى . وعند قوله ذلك أراهم يديه ورجليه . وإذ كانوا غير مصدقين بعد من الفرح ومتعجبين قال أعندكم ههنا طعام . فأعطوه قطعة من سمك مشوى وشهد عسل . فأخذ وأكل أمامهم ثم أخذ الباقى وأعطاهم . وقال لهم هذا هو كلامى الذى كلمتكم به إذ كنت معكم أنه ينبغى أن يتم كل ما كتب عنى فى ناموس موسى وفى الأنبياء والمزامير . حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا الكتب . وقال لهم هكذا كتب وهكذا كان ينبغى للمسيح أن يتألم وأن يقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا فى جميع الأمم ابتداء من أورشليم . وأنتم شهود لذلك . وأنا أرسل إليكم موعد أبى فامكثوا أنتم فى المدينة إلى أن تلبسوا قوة من العلاء . ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم . وكانوا كل حين فى الهيكل يسبحون الله ويباركونه . آمين .

إن قيامة سيدنا يسوع المسيح من بين الأموات فى اليوم الثالث ، كما سبق وتنبأ ، كانت آخر وأعظم عجائبه الباهرة . وعلى ذلك فقد لبث يسوع بعد قيامته أربعين يوماً كان يظهر فيها لتلاميذه من وقت لآخر ، ليثبتهم فى الإيمان ويعلن لهم عن حقيقة قيامته .

وقد خولهم ، فى هذه المدة ، السلطان على الكنيسة . ذلك السلطان الذى كان قد وعدهم به . قال لهم : « إنى أعطيت كل سلطان فى السماء والأرض ، فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر » (مت ٢٨ : ١٨ — ٢٠)

وجعل منهم نواباً على الأرض يقودون النفوس إلى ثغر الخلاص والحياة الأبدية ؛ وخداماً يوزعون أسراره الإلهية ؛ ومدبرين ينظمون شؤون كنيسته . ولذا نقرأ فى سفر الأعمال إنه « أراهم نفسه حياً . . . ببراهين كثيرة ، وهو يتراءى لهم ، مدة أربعين يوماً ، ويكلمهم بما يختص بملكوت الله » (أع ١ : ٣)

وبعد ما أوصاهم بوصاياه الأخيرة ، وألا يشرعوا فى الكرازة بالإنجيل ، بل يمكثوا فى أورشليم ، إلى أن يلبسوا قوة من العلاء « خرج بهم إلى بيت عنيا — وهى بجوار جبل الزيتون الذى صعد منه — ورفع يديه وباركهم ، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد إلى السماء »

« ارتفع يسوع وهم ناظرون ، وأخذته سحابة عن عيونهم ، وبينما هم شاخصون نحو السماء ، إذا برجلين — وهما ملاكان ظهرا بهيئة بشرية — وقفا عندهم بلباس أبيض ، وقالا لهم : أيها الرجال الجليليون ، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء ، إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء ، سيأتى هكذا كما عاينتموه منطلقاً إلى السماء » (أع ١ : ٩ — ١١)

ومن الواضح أن صعود سيدنا يسوع المسيح إلى السماء كان بصفته إنساناً لا إلهاً ، لأنه كإله فهو موجود فى السماء وعلى الأرض وفى كل مكان .

ومما لا جدال فيه إن يسوع صعد إلى السماء بقدرته الذاتية ، لا بواسطة الملائكة ، من حيث إنه إله وإنسان معا . أما السحابة التى خبأته عن أعين الرسل ، فلم تكن لنقل يسوع إلى السماء ، وإنما كانت للدلالة على شخصه الإلهى القدوس ، هكذا كما أن الغمام — قديماً — الحال على المسكن كان يدل على مجد الرب (خر ٤ : ٣٤)

وقد صعد يسوع فوق السماوات كلها — حسبما يعلمنا الرسول فى أفسس ٤ : ١ — لأن اتحاد ناسوته باللاهوت، يجعله كإنسان أيضاً فوق جميع المخلوقات قاطبة « فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم مسمى، ليس فى هذا الدهر فقط، بل وفى المستقبل أيضاً » (أف ١ : ٢١)

وقد صعد يسوع إلى السماء، تصحبه نفوس أبرار العهد العتيق، وعدد لا يحصى من الملائكة قد أتوا لملاقاته.

أما نفوس الأبرار فقد صحبته لتلج السعادة الأبدية، التى طالما تاقت إليها دون جدوى، لأن طريق الأقداس أى السماء كان غير مفتوح (عب ٩ : ٨) إلى حين تلك اللحظة التى أكمل فيها سر فدائنا.

ولذا فإن يسوع كان أول من دخل السماء. وقد دخلها بصفته مخلص العالم « وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه .. مرة واحدة، فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١٢)

وكان دخوله هذا دخول فاتح مظفر « فلذلك يقول لما صعد إلى العلى، سبى السبى وأعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٨)

لاغرو، إن صعود سيدنا يسوع المسيح إلى السماوات، حيث يجلس عن يمين الجلال فى الأعالى (عب ١ : ٣)، هو من أسرار الديانة المسيحية الأكثر تعزية، لأن يسوع ولو أنه الآن فى مجده، فهو مازال المخلص، المملوء محبة وانعطافا نحو البشر المساكين الذين افتداهم بثمن دمه الكريم والذين « لم يستح أن يدعوهم إخوة » (عب ٢ : ١١)

وعلى ذلك فان يسوع فى السماء، كما على الأرض على مذابحنا يقوم بوظيفته الخلاصية هذه على أكمل وجه « إذ — كما يقول الرسول — هو حى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥)

غير أن يسوع فى السماء، لايشفع فينا فحسب، بل وهوهناك ليعدّ لنا مكانا. قال : « إنى منطلق لأعد لكم مكانا، وإذا انطلقت وأعددت لكم مكانا آتى وآخذكم

إلىّ لتكونوا أنتم حيث أنا » (يو ١٤ : ٢و٣)

ولم يكتف يسوع لعزائنا بأن يكون معنا إلى الأبد بعونه وعضده الإلهيين ، حسب وعده . « وها أنا معكم كل الأيام إلى منتهى الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) ، وأن يوجد بيننا سرياً فى القربان الأقدس ، بل وأراد فى محبته غير المتناهية أن يعطينا روحه القدوس أيضا ، ليعزى نفوسنا ويقوى عزائمنا فى هذا الوادى وادى الدموع . قال : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم إلى الأبد » (يو ١٤ : ١٦)

يعطينا روحه ، ليقدس نفوسنا ويرشدنا إلى معرفة الحق : « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم كل ماقلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦)

حقاً إن صعود الرب يسوع هو سر معزّ للغاية ، يزيد أجر إيماننا ، فقد جاء « طوبى للذين لم يروا وآمنوا » (يو ٢٠ : ٢٩) . ويعضد رجاءنا ، ويضرم فى قلوبنا لواعج المحبــة ، والاشتياق والحنين إلى الانضمام بيسوع المسيح فى ملكوته السماوى ، حيث يجلس سعيداً عن يمين الله مدى الأبدية كلها .

البارقليط المعزى

فصل من انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦ — ٢٧ و١٦ : ١ — ١٥

ومتى جاء المعزى الذى أرسله اليكم من عند الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق فهو يشهد لى . وأنتم تشهدون لأنكم معى منذ الابتداء . كلمتكم بهذا لكى لاتشكوا . إنهم سيخرجونكم من المجامع ، بل ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب لله قرباناً . وإنما يفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا أبى ولم يعرفونى . لكنى كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى قد قلت لكم . ولم أخبركم بهذا من قبل لأنى كنت معكم وأما الآن فانى منطلق إلى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى إلى أين تنطلق . ولكن لأنى كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم . إلا أنى أقول لكم الحق إن فى انطلاقى خيراً لكم لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى ولكن إذا مضيت أرسلته إليكم . ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة . أما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى . وأما على البر فلانى منطلق إلى الآب ولاترونى بعد . وأما على الدينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين . وإن عندى كثيراً أقوله لكم ولكنكم لاتطيقون حمله الآن . ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من عنده بل يتكلم بكل مايسمع ويخبركم بما يأتى . هو يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . جميع ما للآب فهو لى من أجل هذا قلت لكم إنه يأخذ مما لى ويخبركم .

« وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم إلى الأبد » (يو ١٤ : ١٦) إن هذا المعزى هو الروح القدس ، الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، روح الحق ، بل الحق بالذات ، الذى من الآب ينبثق . إذن فهو إله من إله .

بيد أن الروح القدس لا ينبثق من الآب فحسب ، بل ومن الابن أيضاً . وينبثق من الآب والابن كمن مصدر واحد وبنفخة واحدة .

أما كيف ينبثق عن الابن أيضا ، مع أن يسوع لم يصرح إلا بانبثاقه من الآب ، فهو ما يتضح لنا جلياً من تأملنا الآية نفسها التى جاء فيها ذاك التصريح ، وهى : « إذا جاء المعزى الذى أرسله إليكم من عند الآب ، روح الحق ، الذى من الآب ينبثق »

فبخصوص هذه الآية يجب أن نلاحظ أولا أن يسوع قال : « من الآب ينبثق ، ولم يقل : « من الآب (وحده) ينبثق » كما يفترض الخصوم .

ثم ، لو أن الروح القدس ينبثق من الآب وحده ، كما ظن كثير من الإخوة الأرثوذكس دون مبرر ، فبأى سلطان إذن يرسل يسوع الروح القدس ؟

وحيث إنه من المسلم أن للراسل بعض المزية على المرسَل . والحال إن هذه المزية بين الأقانيم الإلهية ليست مزية رئاسة ، ولا مزية الأكبر على الأصغر ، لأن للأقانيم الثلاثة جوهراً واحداً ، وهم متساوون فى جميع الكمالات . إذن فمزية أقنوم يسوع على أقنوم الروح القدس ، تلك المزية التى تؤهله من إرساله ، فهى مزية الباثق على المبثوق . إذن الروح القدس منبثق من الابن ، كما أنه منبثق من الآب .

وكما أن للآب أن يرسل الابن لأنه يصدر عنه ، بولادته الأزلية منه ، كذلك الروح القدس الذى يرسله الآب والابن ، كما يبدو واضحاً من الآيات السالفة الذكر ، فلا يمكن أن يصدر إلا عن الآب والابن سوية . إذن الروح القدس ينبثق من الآب والابن على حد سواء .

* * *

وعلى ذلك فان مهمة الروح القدس الأولى والعظمى هى الشهادة ليسوع المسيح وذلك عن طريق الرسل ، وهم أعظم شهود عيان عاشوا برفقة يسوع منذ أول لحظة أخذ يبشر فيها بإنجيل الملكوت . وإليك قول السيد المسيح فى هذا الصدد : « ومتى جاء المعزى ... روح الحق الذى من الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وأنتم تشهدون لى لأنكم معى منذ الابتداء »

وعلى ذلك فإن أول عمل للروح القدس هو إعداد الرسل وتهيئتهم للكرازة بالانجيل فى كل المسكونة للخليقة كلها جمعاء . وذلك بتقديس نفوسهم ومنحهم جميع المواهب التى تؤهلهم لأن يقوموا برسالتهم الخطيرة بنجاح وعلى أكمل وجه.
وقد تمت تهيئة الرسل هذه فعلا ، فى اليوم الخمسين لقيامة الرب يسوع ،

وفى العاشر لصعوده المجيد إلى السماوات ، إذ حل الروح القدس عليهم بصورة محسوسة على شكل ألسنة نارية . استقرت على كل واحد منهم ، فامتلأوا كلهم من الروح القدس ، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى .

فتلك الألسنة النارية ، التى كانت تشير إلى العلم والفصاحة ومعرفة اللغات ، التى وهبت للرسل ، قد طهرتهم من كل دنس خطيئة ، كما تطهر النار كل ماتصل إليه من أشياء .

وقد نال الرسل مع مغفرة خطاياهم ، الشفاء التام من كل ميل ردىء ، نتيجة الخطيئة الأصلية . كما نالوا كل مواهب الروح القدس مع الفضائل الإلهية والأدبية جميعها ، بنوع سام يفوق كل وصف . فقد ملأهم روح يسوع بملء المواهب والنعم ، التى جعلت منهم رجالا أكفاء حقاً لرسالتهم الخطيرة الشاقة .

وبذلك تحقق وعد يسوع للرسل إذ أوصاهم قائلا : « لاتبرحوا من أورشليم ، بل انتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى . فان يوحنا إنما عمد بالماء ، أما أنتم فستعمدون بالروح القدس بعد أيام غير كثيرة » (أع ١ : ٤و٥) وأيضاً : « متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ » (يو ١٦ : ١٣)

فإن شئت أن تعرف كيف أن الروح القدس أرشد الرسل إلى معرفة الحق جميعه ، فليس عليك إلا أن تطلع على كتاباتهم وما علموه من درر ونفائس خالدات على الدهر ، درر ونفائس لم يسبقهم إليها أحد أبداً من كبار المصلحين وعلماء الأخلاق . ثم تأمل كيف أنهم يتكلمون ويكتبون بدقة متناهية ، ويشرحون آيات الكتاب العويصة بسهولة تامة . إنهم متصفون حقاً بعلم سماوى خارق . ولذا فلا عجب ، أن تسبى كلمتهم العقول إلى طاعة الإنجيل والإيمان بيسوع المسيح .

* * *

على أن إحدى مهام الروح القدس أيضاً ، هى تبكيت العالم على عدم إيمانه بيسوع المسيح ، وسيبكت الروح القدس العالم بقوة كلمة الله ، وهى كما وصفها الرسول : « أمضى من كل سيف ذى حدين » (عب ٤ : ١٢) . وسيبكته بقوة

العجائب والمعجزات التى سيجترحها على يد الرسل شهادة لألوهية السيد المسيح ، مقنعاً هذا العالم الشرير غير المؤمن ، بتلك البراهين والأدلة القاطعة ، أنه عبد للخطيئة وعبد لشهواته ، وأنه مادام مصراً فى عناده وكفره ، فلا منقذ له من هذه العبودية المشينة .

إذ ليس هناك خلاص إلا بيسوع المسيح فادى البشرية . لأنه كما يقول الرسول بطرس : « ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس ، به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢)

ومن مهام الروح القدس أيضاً ، إقناع العالم ببرارة السيد المسيح ، الذى لم يكن خداعاً ولاصاحب بدعة ،كما ظن أهل العالم ، بل المسيح المخلص ، البار فاديهم مصدر وينبوع كل برارة وخلاص ، بدليل قيامته المجيدة من بين الأموات ، وصعوده إلى السماوات .

ومن اختصاص الروح القدس أيضاً إقناع العالم ، بقوة كلمة الله والعجائب التى سيجترحها الرسل تأييداً لهذه الكلمة ، بأن رئيس هذا العالم أى إبليس قد دين وحكم عليه بالخسران والبوار الأبديين ، فقد هزمه يسوع بموته الفدائى عنا ، وطَرَدَهُ من ملكه إلى غير رجعة .

وعليه فانَّ هذا العالم الشرير الذى لايريد أن يتخلص من عبودية الشيطان ، رغم دفع يسوع ثمن فدائهم بموته على الصليب كفارة عن البشر كافة ، لن تكون عاقبتهم بأحسن حال من عاقبة الشيطان سيدهم .

قال يسوع : « ومتى جاء — الروح القدس — يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة . أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى . وأما على البر فلأنى منطلق إلى الآب ولاترونى بعد . وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين »

الأحد الأول من بؤونه

الثقة والثبات فى الصلاة

فصل من إنجيل لوقا ١١ : ١ — ١٣

وكان يصلى فى بعض المواضع فلما فرغ قال له واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا تلاميذه . فقال لهم إذا صليتم فقولوا أيها الآب ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك . خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم . واغفر لنا خطايانا فإنا نغفر لكل من أساء إلينا . ولاتدخلنا فى تجربة . ثم قال لهم من منكم يكون له صديق فيمضى إليه نصف الليل ويقول له ياصديق أقرضنى ثلاثة أرغفة . لأن صديقاً لى قدم على من سفر وليس عندى ما أقدم له . فيجيب ذلك من داخل قائلا لاتعننى فإن الباب قد أغلق وأولادى معى فى الفراش فلا أستطيع أن أقوم وأعطيك . أقول لكم إنه إن لم يقم ويعطه لكونه صديقه فإنه يقوم للجاجته ويعطيه كل ما يحتاج إليه . وأنا أقول لكم اسألوا فتعطوا . أطلبوا فتجدوا . إقرعوا فيفتح لكم . لأن كل من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له . من منكم يسأل أباه خبزاً فيعطيه حجراً أو سمكة فيعطيه حية بدل السمكة . أو إذا سأل بيضة يعطيه عقرباً . فإذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تمنحوا العطايا الصالحة لابنائكم فكم بالحرى أبوكم من السماء يمنح الروح القدس لمن يسأله .

تمشياً مع عادة ربَّاني اليهود ، الذين كانوا يملون على تلاميذهم صوراً خاصَّة للصلاة ، علَّم كذلك يوحنا المعمدان تلاميذه بعض هذه الصور النموذجية .

وقد إتخذ أحد تلاميذ السيد المسيح حجة من ذلك ليسأل المعلم الإلهى قائلا : يارب ، علمنا أن نُصلى كما علَّم يوحنا تلاميذه .

فعلى مايبدو ، أن هذا التلميذ كان حديثاً فى التلمذة ، لأن يسوع كان قد سبق أن علَّم تلاميذه ، لاكيفية الصلاة فحسب ، بل وأعطاهم بـ « الصلاة الربية » ، صلاة المسيحى المثلى ، أنموذجاً كاملا للصلاة المقبولة عند الله . وقد جاء ذكر هذه الصلاة كاملة غير مختصرة فى متى ٦ : ٩ — ١٣ ، فى خطبة يسوع المشهورة على الجبل .

وعليه فلا عجب ، أن يذكر يسوع هنا هذه الصلاة على سبيل الإيجاز : فقد

ذكر منها خمس طلبات فقط — هى ولا شك أهمها — فى حين أنها فى الأصل حوت على سبع طلبات .

واليك الآن تفسير الطلبات الخمس ، كما ذكرها الإنجيلى لوقا فى هذا المكان . قال يسوع ، رداً على ذلك التلميذ الذى طلب منه أن يعلمهم الصلاة ، إذا صليتم فقولوا : « أيها الآب ، ليتقدس اسمك » ، إن اسم الله يمثل لنا جوهر الله أى الله بالذات . إذن فاننا بهذه الطلبة نسأل الآب السماوى ، الهُدى ونور الإيمان لجميع الناس ، ليمجدوه ويُعظموهُ ، أفراداً وجماعات ، كما يليق بجلال مجده العظيم المقدس

فى الطلبة الثانية وهى : « ليأت ملكوتك » نسأل الله العز والسؤدد لملكوته السماوى ، وانتشار هذا الملكوت فى كل مكان من أقصى المسكونة إلى أقصاها ، وأن يملك تعالى بمحبته ، سيداً غير منازع على القلوب البشرية جميعها ، مستأصلا ومبيداً إبليس وسلطانه ، والخطيئة وسلطانها .

« خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم » بهذه الطلبة نسأل جود الله أبينا السماوى أن يهبنا الخبز غير الفانى ، الخبز الواهب الحياة الأبدية ، ألا وأعنى به القربان الأقدس ، وضمناً الخبز الفانى وكل ماهو ضرورى لحفظنا فى الحياة .

« وأغفر لنا خطايانا ، كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء إلينا » . إن الله يغفر لنا خطايانا ، ولكن بشرط أن نكون نحن مستعدين من جهتنا لأن نغفر لقريبنا زلاته ، وما ألحقه بنا من أضرار وإهانة .

« ولا تدخلنا فى تجربة » إن التجربة ليست خطيئة ، ولكنها تضع الإنسان فى خطر السقوط فى الخطيئة . وعليه فإن يسوع يعلمنا هنا أن نطلب من الله ، لاالنجاة من الخطيئة فقط ، بل ومن كل الأسباب والمخاطر التى تقودنا إلى ارتكاب الخطيئة أيضاً .

* * *

من هذا الشرح الموجز يتضح لك مقدار عظمة هذه الصلاة ، التى إنما دُعيت بالربية نسبة إلى الرب يسوع ، الذى علمنا إياها . هذه الصلاة بلا شك ، هى

الصلاة الأكثر قبولا عند الله. صلاة فعّالة ذات قوة سحرية، يسمعها الله فيسرع إلى إغاثتنا، نحن معشر بنيه، الذين افتدانا بدم ابنه الحبيب يسوع المسيح.

ومع ذلك يجب أن نقول إن هذه الصلاة، كغيرها من الصلوات تُصبح من غير ثمرة عقيمة، متى صليناها بفتور وبدون ثقة. إذ لاشىء يهين الله كالفتور فى خدمته، وعدم الثقة به تعالى.

ولا تكفى أية ثقة، بل لابدَّ لنا من ثقة مطلقة، خالصة، بنوية، هى ثقة الابن بأبيه. وعلى ذلك فقد أوصانا يسوع بأن نصلى بدالة بنوية، داعين الله بأحلى الألقاب وأقربها إلى قلوبنا، ألا وهو لقب «أب». قال: «إذا صليتم فقولوا: أيها الآب»

وانتهز يسوع مناسبة سؤال تلميذه المذكور، ليحذرنا من خطإ شائع، ألا وهو عدم الصبر فى الصلاة. فبعض المصلين يريد أن يلمس من فوره ثمرة صلاته، وأن يستجاب لساعته. فإن لم يلمس هذه الثمرة، ورأى أن الله قد أبطأ فى استجابته استسلم لليأس والقنوط، وترك ما شرع فيه من صلاة وعمل صالح!

وهذا، ولا شك، تصرف غريب، مهين للعزة الإلهية، التى لا يمكن أن تتقيد بإرادة بشرية فى حال من الأحوال. بل ويجب القول إن الكلمة الفاصلة فى استجابتنا أو عدم استجابتنا هى لله وحده صاحب الشأن الأول والأخير.

وعلى كل فهو أعلم بما يمجده تعالى ويرجع لصالحنا الروحى. فإن كان سؤالك مما يمجده ويرجع حقاً لصالحك الروحى، فلا محالة أنك مستجاب. والعكس بالعكس، لأنه عز اسمه، وهو الصلاح بالذات، لا يمكن أن يستجيب منا دعاء يعرف بسابق علمه، أنه يضرنا أو أنه لا يفيدنا روحياً.

ومع ذلك فلا يجب أن نمل أبداً من الصلاة، لأن المثابرة عليها، ومداومتها دون ملل، هى من شروطها الأساسية، ولا سيما أن الله كثيراً ما يتمهل فى استجابة مبتغانا ليهيء لنا بذلك فرصة للتروض فى الصبر وإظهار ثقتنا به تعالى.

هذا هو التعليم السامى الذى ضمنه يسوع مثل الرجل الذى سأل صديقه قرضاً

فى منتصف الليل . مثل هذا ، ولا شك ، من أجمل الأمثال الإنجيلية ، يبين لنا قوة فاعلية الصلاة . التى تحتفظ بأعصابها ، ولاتفقد شيئاً من صبرها .

هذا المثل يعلمنا أيضاً ، أن لاعبرة مطلقاً لظرف الزمان أو المكان لنستجاب ، فكل الظروف والأمكنة هى صالحة للصلاة . الشىء الوحيد ، الذى لابد منه ، هو أن نطلب مانطلب بثقة وثبات ، ولاسيما أن أجر الصلاة لايضيع أبداً !

وهنا يجدر بنا أن نتأمل كيف أن الرجل طالب القرض فى مثل يسوع ، أستجيب رغم كل الظروف المعاكسة : رغم طلبه الثقيل وإزعاج صديقه وأهل بيته ، والمتاعب الأخرى التى سببها له كفتح أبواب البيت وغلقها . وكل ذلك فى تلك الساعة المتأخرة من الليل .

وقد أستجيب بطبيعة الحال ، لا لكونه صديقاً فحسب ، بل ولكونه لجوجاً ، ثابر على طلبه حتى النهاية !

وعقب يسوع على مثله بقوله هذا المعزى : « وأنا أقول لكم إسألوا فتعطوا . أطلبوا فتجدوا . اقرعوا فيفتح لكم . لأنُ كل من يسأل يعطى ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له »

بهذا الوعد الواضح الصريح يعلن يسوع أن الصلاة هى الواسطة العادية الفعالة لنيل النعم كافة . فهى الواسطة العادية ، بمعنى أن الله لايهبنا عادةً النعمة من غير أن نطلبها ، والفعالة لأنَّ الله أمين للغاية ، ولا يمكن أن يخلف فى مواعيده ؛ والعامة بمعنى أننا نستطيع أن ننال من جود الله كل مانطلب من نعم ، بشرط أن يكون المطلوب ، كما نوهنا سابقاً ، مفيداً حقاً لنا وراجعاً لمجده تعالى .

* * *

وتأييداً لهذا التعليم الجلى ، جاء يسوع بالأمثلة التالية . قال : « من منكم يسأل أباهُ خبزاً فيعطيه حجراً ، أو سمكة فيعطيه حية بدل السمكة ، أو إذا سأل بيضة يعطيه عقرباً »

وقد ختم الثلاثة الأمثال المذكورة بقوله : « إذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون

أن تمنحوا العطايا الصالحة لأبنائكم، فكم بالحرى أبوكم من السماء يمنح الروح القدس لمن يسأله».

ومعنى ذلك إن الله أبانا السماوى، وهو الصلاح والجود بالذات، لايمكن فى حال من الأحوال أن يبخل علينا بشىء، بل يهبنا بكل تأكيد كل مانطلبه منه من نعم وآلاء. لإنهُ كيف يعقل أن الذى يهبنا الروح القدس، أعظم مواهبه وأجلها، بمجرد مانسأله إياهُ، لايهبنا معه كل شىء؟!

غير أن ذكرهُ موهبة الروح القدس دون سواها، يشير إلى أن وعد الله باستجابتنا استجابة مطلقة، دون قيد أوشرط، هو خاص فقط بالنعم الروحية دون الجسدية، لأن هذه الأخيرة، بعد السقطة الآدمية، أصبحت فى كثير من الأحيان تبعدنا عن الله بدلا من أن تقربنا إليه تعالى.

لنطلبنَّ إذن الروح القدس ومواهبه السنية التى لاتقدَّر بثمن، ولكن بثقة بنوية تامة. ولنثابرن على طلب هذه المواهب الجليلة بالحاح ولجاجة إلى آخر نسمة من حياتنا. وبذلك يمكننا أن نحظى بقسط وافر من هذه المواهب حتى فى هذه الحياة، إلى أن يعطى لنا أن نتمتع بتمام ملئها فى الملكوت السماوى، حيث نشاهد الله وجهاً لوجه: آمين.

الأحد الثانى من بؤونه

سلطان الحل من الخطايا

فصل من إنجيل لوقا ٥ : ١٧ — ٢٦

وفى أحد الأيام كان يعلم وكان الفريسيون ومعلمو الناموس جالسين وقد أتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن أورشليم وكانت قوة الرب لشفائهم وإذا برجال يحملون مخلعاً على سرير وكانوا يلتمسون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه . وإذ لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا به إلى السطح ودلوه من بين اللبن مع سريره إلى الوسط إلى قدام يسوع . فلما رأى إيمانهم قال يارجل مغفورة لك خطاياك . فجعل الكتبة والفريسيون يفكرون ويقولون من هذا الذى يتكلم بالتجديف من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده . فعلم يسوع أفكارهم فأجاب وقال لهم بماذا تفكرون فى قلوبكم . ما الأيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش . ولكن لكى تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا . ثم قال للمخلع لك أقول قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك . وفى الحال قام قدامهم وحمل السرير الذى كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته ممجداً الله . فأخذ الدهش جميعهم ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً وقالوا لقد رأينا اليوم عجائب .

قال اليهود وبصواب ، مَن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ . ولكن من يقدر أيضاً أن يقول لمخلع لايستطيع حراكاً : « لك أقول ، قم احمل سريرك وامش » فينال لساعته الشفاء ، بل ويصبح له من القوة أن يحمل سريراً ويمشى به ، إن لم يكن الآمر هو الله ؟

على أن السيد المسيح بعمله هذه الأعجوبة يريد أن نؤمن أن له سلطان مغفرة الخطايا لا كإله فحسب ، بل وكإنسان أيضاً . ولذا عندما شفى المخلع لم يقل لتعلموا أن ابن الله له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ، بل قال لتعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا .

فقد لاق بسيدنا يسوع المسيح ، الذى كان مزمعاً أن يعطى هــذا السلطان للكنيسة أن يقيم لنا الدليل بهذه الأعجوبة الباهرة أن لله عز وجل أن يهب هذا السلطان للبشر كيفما شاء .

ومن ثمّ فلا عجب ، أن يعطى يسوع ابن الله ، بعد قيامته المجيدة ، هذا السلطان بعينه للرسل وخلفائهم من بعدهم ، بقوله لهم : « خذوا الروح القدس ، مَن غفرتم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم » (يو ٢٠ : ٢٣)

وعليه فالذين مع الكتبة والفريسيين يقولون إن الله لايعطى هذا السلطان للناس ، كما أن الذين يرفضون الإيمان بسرّ التوبة ، هم فى ضلال مبين .

إن جميع الشعب الذين شهدوا معجزة شفاء المخلع ، التى اجترحها يسوع كدليل على سلطانه على مغفرة الخطايا « مجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا كهذا ، قائلين ما رأينا مثل هذا قط » (مر ٢ : ١٢)

ولا غرو أن يمجد الشعب الله الذى أعطى الناس سلطانا كهذا . إذ إن كل سلطان هو ، من غير جدال ، دون سلطان الحل من الخطايا ، الذى يفوق بمفاعيله العجيبة سلطان صنع العجائب ذاته .

تأمل كيف أنه بقوة هذا السلطان يتجدَّد المنافق ، بل ويخلق خلقاً جديداً ، فيولد إلى حياة النعمة والبرارة ، التى سقط منها بارتكابه الخطيئة . وهذه النفس المقيدة بسلاسل حديدية فى أسر ألد الأعداء إبليس الرجيم ، تتحطم فى لحظة أغلالها ، وتتحطم العداوة القديمة بينها وبين الله : فمن عدوة تضحى صديقة له ، ومن عبدة للشيطان ابنة للعلى تتمتع بكامل حرية أبناء الله !

ثم هاهى النفس المعدة للهلاك تصبح أختاً للملائكة وشريكة للقديسين ، لها الحق فى امتلاك الله وميراث الحياة الأبدية !

☆ ☆ ☆

ومع ذلك فلايجب أن ننسى أن قوة سلطان الحل من الخطايا وماله من مفاعيل عجيبة هى ، على الدوام ، رهن استعدادنا الباطنى ، الذى يمكن تلخيصه فى استعداد المخلع الذى شفاه يسوع .

وعليه فالاستعداد الأول المطلوب منا ، لنحل من وثاق الخطيئة هو الإيمان . إذ « من غير إيمان — حسب شهادة الرسول — لايستطيع أحد أن يرضى الله » (عب ١١ : ٦)

ونعنى بالإيمان هنا الثقة التامة بالمراحم الإلهية ، وأن الكاهن يستطيع أن يحلنا من ربقة الإثم . وذلك بقوة السلطان الممنوح له من الكنيسة .

أما الشرط أو الاستعداد الثانى لنوال مغفرة الخطايا ، فهو الندامة على الخطايا وانسحاق القلب . وهذا الشرط يمكن استنتاجه من كلمات السيد المسيح للمخلع : « ثق يابنى ، مغفورة لك خطاياك » التى تنبىء بأن المخلع كان تائباً توبة حقيقية . لأنه من غير المعقول أن يحله من خطايا غير نادمٍ ولا آسف عليها . ولاسيما أن على منح الحلة يترتب منح النعمة المبرّرة . ومن الواضح أن النعمة لاتتفق مع الخطيئة ، كما أن النور لايتفق والظلام .

الشرط الثالث والأخير لنوال مغفرة الخطايا فى منبر التوبة هو العزم الثابت على تغيير نهج حياتنا وبدء حياة جديدة تليق بالتوبة . وهذا ما ترمز إليه حياة المخلع الجديدة بعد شفائه .

☆ ☆ ☆

جاء فى حياة القديس انطونيوس البادوى ، أن أحد الخطاة قبل أن يعترف بخطاياهُ أمام القديس ، كتبها فى ورقة ليتسنى له الإقرار بها جميعها دون أن ينسى شيئاً منها .

وكان بعد الاعتراف ونوال الحل من القديس أن نظر إلى الورقة ، فإذا بها ناصعة البياض ، وقد انمحى عنها كل أثر كتابة .

فكانت هذه الأعجوبة دليلا ناطقاً على قوة سلطان الحل ، الذى منحه المسيح للكنيسة ، وبواسطتها لكل الكهنة الذين فوّضت لهم هذا السلطان والولاية .

ولاعجب ، ففى سر التوبة منبر الرحمة يسوع بذاته هو الذى يقول للتائب بفم كاهنه : « ثق يابنى ، مغفورة لك خطاياك »

ومن البديهى أن كلمة يسوع هى هى اليوم كأمس وإلى الأبد « روح وحياة » تهب النفوس الخلاص والحياة .

شفاء المجنون الأعمى والأخرس

(الإنجيل أنظر الأحد الثالث من بابه صفحة ٢٩)

بين المرضى الذين قدموا إلى يسوع لكى يشفيهم ، كان رجل به مَسٌّ ، أعمى ، وأخرس . طرد يسوع منه الشيطان ، فرجع الرجل إلى عقله وصوابه ، وطفق لساعته يتكلم ويبصر كل ما حوله من ناس وأشياء !

رأت الجموع هذه الأعجوبة ، وما سبقها من عجائب باهرة ، فمجدوا الله وقالوا : لعلَّ هذا هو المسيح ابن داود . وقد جنحوا بصواب إلى هذا الاعتقاد ، لأن عجائب يسوع كانت تتسم جميعها بنفس الطابع والصفات ، التى تقدَّم الأنبياء ووصفوا بها عجائب المسيح المخلص .

أما الفريسيون ، هولاء القادة العميان ، الذين أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله ، فقالوا : إنما هذا يخرج الشياطين ببعل زبوب رئيس الشياطين !

هكذا فكروا ، وهكذا قالوا فى أنفسهم ، ولكنهم لم يجترأوا على الإباحة بشىء من ذلك ، خوفاً من هذه الجموع ، التى كانت تجلُّ المعلم الإلهى وتنظر إلى معجزاته بكل إعجاب ، والتى لم تشك إلا فى صفة يسوع الحقيقية ، أهو المسيح المنتظر ، أم نبى آخر ، أقامه الله بينهم .

ولكن هيهات أن يخفى الفريسيون شيئاً مما كانوا يضمرون على يسوع فاحص القلوب والكلى ! ولذا فهو يكشف رياءهم أمام كل هذه الجموع المحتشدة ، مخافة أن يكونوا سبباً فى تضليل الشعب .

وبإزاحة الستار عما كانوا يضمرون من سوء أفكار ونوايا ، شاء أن يقدِّم لهم برهاناً آخر قوياً يهتدون بنوره إلى حقيقة شخصيته الإلهية .

ولكن الكتبة والفريسيين كانوا عمياناً متعنتين ، ومن المحال إقناعهم بشىء لايرونهُ ، أو بالحرى لايريدون أن يروهُ . وقد بلغوا فى سفاهتهم وقساوة قلوبهم

أنهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين أعمال الله وأعمال إبليس ، فنسبوا عجائب يسوع ، التى هى ضد إبليس على خط مستقيم إلى قوة إبليس !

* * *

وحيث إنهم لم يتواضعوا ، ولم يقروا أن يسوع يصنع عجائبه بقوة الله ، أخذ يسوع ، كما سبق القول ، فى تفنيد ما كانوا يزعمون . وذلك ببراهين مفحمة لا مردّ عليها ، قوتها فى بساطتها . فهى تسجيل لأمور واقعية ، فى طاقة العالم والجاهل إختبارها و ملاحظتها .

قال لهم : كل مملكة تنقسم على نفسها تخرب ، وكل مدينة أو بيت ينقسم على نفسه لا يثبت . إذن فمؤازرة الشيطان ليسوع ، كما توهم الفريسيون ، أمر محال . لأن ذلك معناهُ خراب مملكة الشيطان وفناء ذاته بذاته .

وعلى افتراض أن يسوع يخرج الشيطان بالشيطان ، فيجب القول أيضاً إن ابناء الفريسيين أى تلاميذهم يخرجون الشيطان بقوة الشيطان . ولكن هذا ما لا يقول به عاقل ، ولا الفريسيون أنفسهم ، إذ لا يمكن إخراج الروح الشرير من إنسان إلا بسلطة إلهية . إذن يسوع أيضاً وبأولى حجة يخرج الشياطين بقوة الله .

وحيث إنه أصبح من الواضح لديهم أن يسوع يصنع معجزاته ويخرج الشياطين بقدرة الله ، فلا يجوز لهم بعد الآن ، أن يشكوا فى كونه المخلص المنتظر بل ليسرعوا ، إن شاءوا الخلاص ، ويدخلوا الملكوت الذى جاء يسوع لتأسيسه فى العالم : ملكوت الله على الأرض . قال لهم : « وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ، فقد اقترب منكم ملكوت الله » . وإلا كانت عاقبتهم الهلاك والدمار باعتبارهم أعداء له . وهو ما أوضحه لهم بقوله : « من ليس معى فهو علىّ »

علامة واضحة تشير إلى تأسيس ملكوته فى العالم بثبات ، هى بدءُ انهيار ملكوت الشيطان . فقد جاء يسوع إلى العالم لينتزع منه السيطرة التى اكتسبها على البشر بسبب الخطيئة . فالقوى فى مثل يسوع هذا : « أم كيف يستطيع أحد أن

يدخل بيت القوى وينهب امتعته ، إلا أن يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته » هو الشيطان ؛ أما الذى دخل عليه البيت وربطه ، ونهب أمتعته أى البشر الذين كانوا فى أسره ، فهو سيدنا يسوع المسيح .

* * *

أما قول يسوع : « مَن ليس معى فهو علىَّ ، ومن لا يجمع معى فهو يفرّق » ففيه دلالة كافية على أن كل من يرفض دخول ملكوته أى كنيسته المقدسة ، فلا جرم أنه يرفض الحياة .

بحيث إن كل مَن كان مع يسوع يجمع مع يسوع — الشبه مأخوذ من عملية الحصاد — ثماراً يانعة للحياة الأبدية . أما مَن كان عليه فلا يستطيع أن يجمع شيئاً لتلك الحياة ، بل بعكس ذلك فهو مسرف ومبدِّد لمواهب الله وعطاياهُ ، وبالتالى فان مصيره الدينونة والهلاك .

تأمل أيضاً قوة هذه الآية : « مَن ليس معى فهو علىّ » . فإذن ليس هناك حدّ وسط . فمن لا يكون مع يسوع فهو ضده . وحيث إن الأمر كذلك فلا يمكن البقاء على الحياد .

وهناشاء يسوع أن يحذر الجموع من الوقوع فى شرك الفريسيين ، وبالتالى فى خطيئتهم التى لا مغفرة لها إلى الأبد .

ذلك إن كل مقاومة لروح المسيح ، وكل عناد : التصلب فى الرأى من غير حجة أو لحجج واهية غير مقبولة . وكذلك إنكار الحقيقة الظاهرة كالشمس فى رائعة النهار ، تمسُّكا بآراء وأوهام سابقة باطلة ، أو للبقاء فى الضلال الذى يرضى الأميال ولا يكلف مجهوداً . كل هذه تعدُّ بصواب تجديفاً على الروح القدس ، روح الله الذى يريد ويجدُّ ناشطاً لتقديس النفوس .

قال : « كل خطيئة وتجديف يغفر للناس ، أما التجديف على الروح القدس فلا يغفر لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى » . ومن هذا الباب نعلم أن كل الخطايا مهما كان نوعها وعددها فهى قابلة للمغفرة ، إذا تاب صاحبها توبة صادقة نصوحاً ،

ما عدا التجديف على الروح القدس الذى إذ يعسر على صاحبه التوبة ، فلا مغفرة له إلى الأبد . لأن مرتكب هذه الخطيئة يقاوم مباشرة روح الحق ، ولا يريد أن أن يقبل شهادته ، عاملا هكذا من جهته على إهدار مجهود إله يريد خلاصه وتقديس روحه !

* * *

حذَّر يسوع الجموع ، وعاد من جديد إلى توبيخ الفريسيين : قال لهم بمثل ما مؤداهُ : أيصح أن تكون الشجرة صالحة وثمرها فاسداً ، أم أن يكون ثمرها فاسداً وهى صالحة ؟ فكيف إذن يعقل أن تكون أعمالى بقوة الشيطان ، وأنا الذى لا يستطيع أحد أن يثبت علىَّ خطيئة ؟ أم كيف أكون شريراً وأعمالى ، كما بينت لكم ، هى لهدم سلطان الشرير ؟ !

أجل ، إن هذا هو عين المحال ، ولكن الفريسيين هؤلاء المنافقين أولاد الأفاعى ، لامناقضة فى اعتبارهم ، مادامت هذه المناقضة تؤدى إلى مقاومة يسوع وعرقلة رسالته !

بيد أن تصرف الفريسيين على ما فيه من الشذوذ ، فليس فيه ما يثير الدهشة ، فكل مرء على ماجبل عليه من أخلاق وطباع ، فإن كانت أخلاقه وطباعه حميدة ، كانت كذلك أعماله حميدة . أما إذا كانت طباعه وأخلاقه شرسه شريرة فكان هو بجملته شريراً . ومن ثم فمن المحال أن يتكلم بالصالحات فيحكم بالحق . « إنما يتكلم الفم من فضل مافى القلب »

نعم ، ان الفريسيين بطبعهم مجبولون على الشرّ ، غير أن ذلك لا يبرِّر موقفهم العدائى من يسوع ، ولذا فلن يفلتوا من عدالة الله الديان الرهيب لأن الطبع مهما كان معوجاً شريراً ، فهو قابل للاصلاح والتقويم . فتأمل .

وإذا كان لا بدَّ للإنسان من أن يؤدى الحساب ، يوم الدين ، عن أصغر الخطايا وأتفهها ، فكم بالحرى الفريسيون المجدفون على الروح القدس ، روح الحق وكل قداسة .

الأحد الرابع من بؤونه

من موعظة المسيح على الجبل

فصل من إنجيل لوقا ٦ : ٢٧ — ٣٨

لكن أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وباركوا لاعنيكم وصلوا لأجل من يعنتكم . ومن ضربك على خدك فقدم له الآخر . ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك . وكل من سألك فأعطه . ومن أخذ مالك فلا تطالبه به . وكما تريدون أن يفعل الناس بكم كذلك افعلوا أنتم بهم . فإنكم إن أحببتم من يحبكم فأية منة لكم فإن الخطأة يحبون من يحبهم . وإن أحسنتم إلى من يحسن إليكم فأية منة لكم فإن الخطأة هكذا يصنعون . وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستوفوا منهم فأية منة لكم فإن الخطأة يقرضون الخطأة لكي يستوفوا منهم المثل . ولكن أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا غير مؤملين شيئاً فيكون أجركم كثيراً وتكونوا بني العلي فإنه منعم على الغير الشاكرين والأشرار . فكونوا رحماء كما أن أباكم هو رحيم . لاتدينوا فلا تدانوا . لاتقضوا على أحد فلا يقضى عليكم . إغفروا يغفر لكم . أعطوا تعطوا . إنكم تعطون كيلا صالحاً ملبداً مهزوزاً فائضاً فى أحضانكم لأنه بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم .

« لكن أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وباركوا لاعنيكم وصلوا لأجل من يعنتكم »

إن الشريعة المسيحية توجب علينا محبة كل الناس ، دون استثناء حتى الأعداء . إن محبتنا لعدونا ، كما لكل الناس يجب أن تكون عملية ، وبالتالى يجب علينا أن نحسن إلى من يبغضنا كما إلى من يحبنا . فإن لم يكن محتاجاً لحسنتنا المادية ، فلنقدم له الحسنة الروحية أى الصلاة . وعلى ذلك وجب علينا مقاومة السيئات بالحسنات ، اللعنة بالبركة ، وكل أنواع الاضطهاد بالصلاة .

« من لطمك على خدك فقدم له الآخر » هذا من باب المشورة فقط . أما الوصية فهى أن نغفر لأعدائنا ونحبهم .

« ومن أخذ ثوبك فلا تمنعه أن يأخذ رداءك » إن السيد المسيح بهذه الآية الكريمة لا يفرض علينا وصية خاصة ، إنما يعلمنا حب التسامح ، ومسالمة جميع الناس حتى الأشرار منهم ، ولو ببعض التضحية من جهتنا .

« وكل من سألك فأعطه » وإن عدوك . أعط على قدر استطاعتك ، ولا ترد أحداً خائباً .

« ومن أخذ مالك ، فلا تطالبه به » . هذا من باب المشورة فقط . وقد تصبح هذه المشورة بمثابة وصية ، فيتحتم عليك بأن لاتطالب بمالك ، متى كنت فى غير حاجة إليه ، وكان المغتصب له معوزاً ، ومتى كلفك تخليص مالك فقدان سلامك الروحى ، أو مالا تحمد عاقبته .

« وكما تريدون أن يفعل الناس بكم ، فكذلك أيضاً إفعلوا أنتم بهم » هذه قاعدة ذهبية يجب إتباعها على الدوام ، فى كل معاملاتنا مع القريب ، لكى لانخطىء أبداً ضد المحبة والعدل الواجبين علينا لقريبنا .

« فانكم إن أحببتم من يحبكم فأىُّ أجر لكم . لأن الخطأة أيضاً يحبون من يحبهم » . يترتب على ذلك أن تكون محبة المسيحى غير مغرَّضة وغير نفعية . لأنَّ المحبة النفعية وهى التى تطلب ذاتها لا من تحبه ، لا تخرج عن كونها أنانية مستترة . وهذه ليست بالفضيلة ، ولا تستحق أجراً ، إنما هى رذيلة ممقوتة .

« وإن أحسنتم إلى من يحسن إليكم فأية منة لكم فانَّ الخطأة أيضاً هكذا يصنعون » . أن نحسن لمن يحسن إلينا ، فهذا ليس بفضيلة ، وإنما هو إقرار منا بجميل نلناه . وعليه فلا يخرج عن كونه تسديد دين كان علينا . إنما الفضيلة التى تستحق أجراً سماوياً هى أن نحسن لمن لم يحسن إلينا ، ولا أمل لنا بنوال حسنته .

« وإن أقرضتم الذين تؤملون أن تستوفوا منهم ، فأية منة لكم فإنَّ الخطأة أيضاً يقرضون الخطأة ليأخذوا منهم العوض » . إنَّ السيد المسيح يحثنا هنا على أن نقرض قريبنا ، لاحينما نكون مؤملين أن القريب سيرد لنا ما أقرضناهُ ، بل ومتى كنا غير مؤملين ذلك .

فتأمل قساوة قلب من يستطيع أن يقرض قريبه المحتاج ولا يفعل . لاجرم أنّ مثل هذا المسيحى يخطىء فى حق المحبة ، التى تلزمه باسعاف قريبه عند الضرورة . وكم تكون قساوة قلب المسيحى الذى لايقرض قريبه إلا بربا فاحش .

لا جرم أن مثل هذا المسيحى يخطىء ضد المحبة وضد العدل ، لدرجة أنه لا يمكنه أن ينال مغفرة خطاياه ما لم يردّ مال القريب الذى أخذه ظلماً .

« ولكن أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا وأقرضوا غير مؤملين شيئاً ، فيكون أجركم كثيراً ، وتكونوا بنى العلى فإنه منعم على الغير الشاكرين والأشرار » . إن من يحسن ويقرض مؤملا العوض لايخطىء . وإنما يكون أجره ضئيلا . هذا بخلاف الذى يحسن ويقرض ، ولا أمل له فى العوض ، فإن أجره يكون عظيماً .

وبالاختصار يجب أن نكون كرماء وأسخياء ، مُتمثلين فى ذلك بأبينا السماوى ، الذى ينعم على الجاحدين الأشرار ، كما ينعم على الشاكرين الصالحين على حد سواء !

« فكونوا رحماء كما أن أباكم هو رحيم » . إن السيد المسيح الذى يريد منّا أن نكون كاملين ، كما أن أبانا السماوى هو كامل (مت ٥ : ٤٨) . يطلب منا بصواب أن نتشبَّه به تعالى ، بنوع خاص ، فى هذه الصفة الأساسية التى تجعلنا كاملين حقّاً .

فما الرحمة سوى محبة القريب ضعيفاً ، لا بل ومملوءاً بالنقائص وخاطئاً . فالرحمة هى ولا شك ، الجانب الوعر لفضيلة المحبة ، الذى لا بدَّ من اقتحامه للوصول إلى الكمال !

« لاتدينوا فلا تدانوا » . إذا كان من الواجب أن نرحم الجميع دون استثناء ، فكم بالحرى يجب علينا أن لا ندين أحداً أبداً ؟ أما الدينونة المحرمة علينا هنا ، فهى سوء الظنّ بالقريب وتأويل نياته ، وما يُبدى من تصرفات تأويلا فاسداً ، وإلاّ وقعنا فى محظور نلتزم بإداء الحساب عنه يوم الدين !

فآمن الطرق إذن ، حينما لا نكون على يقين من حادثة ما ، هى أن نترك مهمة إدانة القريب — وما أشقها مهمة ! — للديان العادل الذى لا يَغشّ ولا يمكن أن يُغَشّ ، والذى سوف يعطى كل إنسان حسب أعماله .

« لاتقضوا على أحد فلا يقضى عليكم » تعبير آخر موضح لنفس المعنى الآنف

الذكر . فهل تُريد أنت ، أيها القارىء الحبيب ، أن تكون مطمئناً من هذه الجهة ، فلا تلتزم بإعطاء الحساب عن دينونة ما باطلة يومَ الدين ، فلا تقض على أحد أبداً !

« اغفروا يُغفر لكم » أتطمع ، أيها الحبيب ، فى مغفرة ربك وعفوه الرحيم ، فاغفر أنت زلات قريبك . واعلم أن دينك لربك بالنسبة إلى دين قريبك نحوك لهو مما لايُقاس بقياس !

« أعطوا تُعطوا ، إنكم تُعطون كيلا صالحاً ملبداً مهزوزاً فائضاً فى أحضانكم ، لأنهُ بالكيل الذى تكيلون به يُكال لكم » . هاهى وصية أخرى فى صورة وعد صريح مغر : فمن جهة نحن ملزمون بالعطاء ، ومن جهةٍ أُخرى فانَّ هذا العطاء نفسه ، مهما كان بسيطاً ومهما كان نوعه : روحياً كان أم مادياً ، يريد الله ، وهو الغنى بالذات ، ينبوع كل الخيرات ، الذى لايمكن أن يغلب فى الجود ، أن يحفظ له أجراً سخياً للغاية . وهو ما يظهر من الكلمات : « تُعطون كيلاً صالحاً ملبداً مهزوزاً فائضاً »

ومع أن الأجر المرتب على عطائنا هو عظيم من جهة الله المكافىء ، فهو أيضاً فى الوقت نفسه مناسب لبذلنا . وهو ما يظهر من إضافة يسوع إلى قوله السابق هذه الكلمات : « لأنه بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم »

وهذا حق ، لا بالنسبة فقط إلى ما يُبذل من أجل خير القريب الجسدى والروحى ، بل وبالنسبة إلى كافة التضحيات والأعمال الصالحة التى يبذلها الإنسان تقديساً لاسم الله وانتشار ملكوته ، أو تنازلا لمرضاته تعالى وعمل إرادته الربانية القدوسة .

الإثنان والسبعون تلميذاً

فصل من إنجيل لوقا ١٠ : ١ — ٢٠

وبعد ذلك عين الرب اثنين وسبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع أزمع أن يأتى إليه . وقال لهم إن الحصاد كثير وأما العملة فقليلون فاسألوا رب الحصاد أن يرسل عملة لحصاده : إذهبوا ها أنا مرسلكم مثل خرفان بين ذئاب. لاتحملوا كيساً ولامزوداً ولاحذاء ولا تسلموا فى الطريق على أحد . وأى بيت دخلتموه فقولوا أولا السلام لهذا البيت . فإن كان هناك ابن سلام يستقر سلامكم عليه وإلا يرتد إليكم . وامكثوا فى ذلك البيت تأكلون وتشربون مما عندهم لأن العامل مستحق أجرته . لاتنتقلوا من بيت إلى بيت . وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم . واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا . إنا ننفض عليكم حتى الغبار الملتصق بنا من مدينتكم ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب ملكوت الله . أقول لكم إن سدوم فى ذلك اليوم تكون أخف حالة من تلك المدينة . الويل لك يا كورزين الويل لك يابيت صيدا لأنه لو صنع فى صور وصيدا ماصنع فيكما من القوات لتابتا من قديم جالستين فى المسوح والرماد . لكن صور وصيدا ستكونان أخف حالة منكما فى الدين . وأنت يا كفر ناحوم ولو ارتفعت إلى السماء فإنه سيهبط بك إلى الجحيم . من سمع منكم فقد سمع منى ومن احتقركم فقد احتقرنى ومن احتقرنى فقد احتقر الذى أرسلنى . ورجع الاثنان والسبعون بفرح قائلين يارب إن الشياطين أيضاً تخضع لنا باسمك . فقال لهم إنى رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق وها أنا قد أعطيتكم سلطاناً أن تدوسوا الحيات والعقارب وقوة العدو كلها وليس شىء يضركم . ولكن لاتفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بأن أسماءكم مكتوبة فى السماوات .

إلى جانب الرسل الإثنى عشر ، اختار يسوع اثنين وسبعين تلميذاً آخرين لمؤازرته فى الكرازة بالإنجيل ، كانوا مع الرسل النواة الأولى للكنيسة المعلّمة ، ألا وأعنى بها فئة الأساقفة والقساوسة ، وهى التى أعطى لها سيدنا يسوع المسيح ، فى شخص الرسل وهؤلاء التلاميذ الإثنين والسبعين ، سلطة التبشير بحقائق الدين المسيحى فى كل المسكونة (١)

(١) ولا يجب أن يفهم من قولنا هذا إن هؤلاء التلاميذ كانت لهم نفس مرتبة الرسل ، فلم يكونوا إلا معاونين للمسيح ورسله الأطهار ، الذين وحدهم خصهم ابن الله بملء السلطان والكهنوت .

وعلى ذلك يمكن القول إنهُ كما أن الأساقفة الشرعيين يُمثلون فى الكنيسة مجمع الرسل الإثنى عشر . كذلك يمثل القساوسة الشرعيون هؤلاء التلاميذ الإثنين والسبعين ، الذين أرسلهم المسيح أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع أزمع أن يأتى إليه .

ويشير فى العهد القديم إلى مجمع الرسل ، أسباط إسرائيل الإثنى عشر . بينما يشير إلى هؤلاء التلاميذ ، مجمع الشيوخ الإثنين والسبعين ، الذين اختارهم موسى النبى كمجلس شورى له فى تصريف شؤون إسرائيل .

ويبدو لأول وهلة أن عدد الكهنة خدام الكلمة قد أصبح اليوم أكثر مما تدعو إليه الحاجة . بيد أن الحقيقة المؤلمة هى ان هذا العدد العديد ، هو أقل بكثير من حاجة الشعب المسيحى ، بل والكاثوليكى وحدهُ ، فما بالك به بالنسبة إلى حاجة البشر جميعاً .

فالسيد المسيح ، كما لا يخفى ، لا يقصد ب « الحصاد » جماعة المؤمنين فقط ، بل البشرية كلها جمعاء . لأن جميع الشعوب من كل قبيلة وأمة ، لسان ولغة ، مدعوون دون استثناء ، للانخراط فى مصاف الكنيسة ملكوت الله على الأرض . تلك الجامعة المقدسة ، التى أسسها المسيح واحدة وحيدة على أساس الرسل ، والتى اقتناها لنفسه كنيسة مجيدة ، لا كلف فيها ، ولا غضن ولا عيب ، بثمن دمه الكريم .

« إن الحصاد كثير ، وأما العملة فقليلون ، فاسألوا رب الحصاد أن يرسل عملة لحصاده » لنطلبنَ إذن ، كما يوصينا المسيح ، من الله رب الحصاد أن يتنازل فيرسل عملة لحصاده ، عملة أكفاء قديسين ، يتناسب عددهم وهذا الحصاد العرمرم من الشعوب ، الذين ما زالت أغلبيتهم الساحقة ترزح تحت نير عبودية الكفر والالحاد والوثنية .

وهنا أخذ السيد المسيح ينذر تلاميذه بالمتاعب التى سوف تواجههم فى رسالتهم وذلك حتى لا يؤخذوا على غرة فيفشلوا : فهم فى هذا العالم المادى ، الذى لا يعرف ولا يقدر من القيم إلا المادة ، ولا حقاً سوى حق القوى ، أشبه ما يكون بخرفان بين ذئاب .

وبالرغم من علم المسيح السابق بما ينتظر تلاميذه من صعاب ، فهو مع ذلك يصرُّ على أن لا يتزودوا بشيء مطلقاً ، ولا حتى بما يعدُّ من الضروريات ، التى لا يمكن أن يستغنى عنها مسافر واحد مترجل ، كالمزود والحذاء والنقود . وذلك لئلا يعزى نجاحهم فى بث دعوة الإنجيل إلى جاه عالمى ، أو مال أو أى عامل آخر مادى أو بشرى .

* * *

أما رسالتهم فهى أن يبشروا الناس بالسلام الذى جاء به المسيح المخلص . وهذا السلام قوامه ، لا كما يظن البعض خطأ ، فى السكينة وعدم المضادات ومناقضات الحياة اليومية ، أوهو فى العصمة من الضيقات والشدائد . كلا ، ليس هذا هو السلام الذى يرومه المسيح لأتباعه ومحبيه فى هذه الدنيا .

بل وفى هذا المعنى يجب القول بأن المسيح لم يأت بالسلام ، بل بالحرب . ولا رغبة له سوى إشعال نار هذه الحرب . قال : « إنى جئت لألقى ناراً على الأرض ، وما أريد إلا اضطرامها . أتظنون أنى جئت لألقى على الأرض سلاماً . أقول لكم كلا . بل شقاقاً » (لو ١٢ : ٤٩ و ٥٠) . ذلك « إن حياة الإنسان على الأرض تجند » (أى ٧ : ١) ، وما دمنا فى جنديتنا ، فلا بد لنا من الجهاد والنضال .

إنما السلام الذى جاء به المسيح ، هو قائم فى شهادة الضمير الصالح ، الذى يتقى الله ويرحم عبادهُ ، فهو سلام مع الله ومع الناس . ولا يمكن أن يتحقق لنا ذلك ، إلا بحفظ كل وصايا الله ، والابتعاد عن سبل الإثم .

من هنا أيضاً تفهمون ضرورة التوبة ، والعزم الثابت على بدء حياة جديدة ، فنخلع الإنسان العتيق مع أعماله ، ونلبس الإنسان الجديد ، الذى يتجدد للمعرفة على صورة خالقة (كو ٣ : ٩ و ١٠)

وهذه التوبة ، التى لا سلام حقيقى دونها ، هى شرط لابد منه لدخول ملكوت الله ، لأن ملكوت الله هو برّ وسلام وفرح فى الروح القدس (رو ١٤ : ١٧)

* * *

ثم على تلاميذ المسيح خدام الكلمة ، أن لا يضطربوا إذا أخفقوا فى رسالتهم بسبب قسوة قلوب البشر وغلاظة أكبادهم ، لأن ابن البشر معلمهم الإلهى آت . والكلمة التى نطق بها على لسانهم هى ذاتها ، التى سوف تدين العالم . وهى التى ستوقع الحكم الرهيب بالمنافقين الذين رفضوا الإيمان والطاعة للإنجيل .

وهذه الدينونة وهذا الحكم الرهيب سيحلان بالعصاة والغير المؤمنين من الأفراد والجماعات على حد سواء . وإن دينونة من بلغتهم بشارة الملكوت ، ستكون أشد صرامة وهولا من دينونة من لم تبلغهم هذه البشارة .

أما المدن التى لن ترحب برسل المسيح وترفض بشرى الإنجيل الخلاصية ، فإن دينونتها ستكون أرهب من دينونة مدينتى صادوم وعامورة اللتين أحرقهما الله بالنار والكبريت .

وقد تعتقد كل من مدينتى كورزين وبيت صيدا ، بأنها ستكون المتقدمة فى يوم الدين ، لأن المسيح بشر فى شوارعها وعلم فى مجامعها ، ولكن كورزين وبيت صيدا لن تكونا أخف حالة من المدينتين الوثنيتين صور وصيدا أنفسهما ، إذ كما يقول يسوع ، موجهاً كلمته إلى هاتين المدينتين الجاحدتين « لو صنع فى صور وصيدا ما صنع فيكما من القوات لتابتا من قديم جالستين فى المسوح والرماد »

وكذا لن تكون أحسن حالا مدينة كفرناحوم الجاحدة ، التى لهذا السبب عينه سيهبط بها إلى الجحيم !

وعلى هذا المنوال سيكون العقاب هائلا مريعاً ضد الأفراد والجماعات ، التى تأبى الطاعة والإذعان للكنيسة ومعلميها الرسل والمبشرين ، لأن المسيح يعتبر الطاعة والسماع لهؤلاء كالطاعة والسماع له شخصياً ، وأن كلّ احتقار لشخص ممثليه ، موجه لشخصه الإلهى هو بالذات .

فقد قال بصريح العبارة : « من سمع منكم فقد سمع منى ، ومن احتقركم فقد احتقرنى ، ومن احتقرنى فقد احتقر الذى أرسلنى »

الأحد الثانى من أبيب

فى التواضع وتشكيك القريب

فصل من إنجيل متى ١٨ : ١ — ٩

فى تلك الساعة دنا تلاميذ يسوع وقالوا من الأعظم فى ملكوت السماوات فدعا يسوع صبياً وأقامه فى وسطهم . وقال الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السماوات : فمن وضع نفسه مثل هذا الصبى فذاك هو العظيم فى ملكوت السماوات . ومن قبل صبياً مثل هذا باسمى فإياى يقبل . ومن شكك أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فأجدر له لو علق فى عنقه حجر الرحى وزج فى لجة البحر . الويل للعالم من الشكوك فإنها لابد أن تقع الشكوك ولكن الويل لذلك الإنسان الذى تقع الشكوك عن يده . إن شككتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك نخير لك أن تدخل الحياة وأنت أقطع أو أعرج من أن يكون لك يدان أو رجلان وتلقى فى النار الأبدية . وإن شككتك عينك فاقلعها وألقها عنك نخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من أن يكون لك عينان وتلقى فى نار جهنم .

إن أهم تعاليم هذا الفصل ثلاثة وهى :

١ — التواضع ، وهو أساس كل فضيلة والحارس الأمين الذى يقى المتواضع الشرور كافة ، لأن أصل كل الشرور الكبرياء .

٢ تجنب تشكيك القريب ، ولا سيما الصغير ، بحيث لا نكون سبب عثرة لأحد أبداً .

٣ — تجنب أسباب الخطيئة ، بالابتعاد عن مواطن الزلل ، مخافة أن نضحى سبب عثرة لأنفسنا .

التواضع :

سأل التلاميذ يسوع قائلين : مَن الأعظم فى ملكوت السماوات ؟ فدعا طفلا وأقامه فى وسطهم وقال : الحق أقول لكم ، إن لم ترجعوا مثل الصبيان ، فلن تدخلوا ملكوت السماوات .

هذه الآية هى من الصراحة بحيث لاتحتاج إلى كثير من التأويلات . بها ينبأنا يسوع أن مَن لا يتواضع فى عينى نفسه ، هكذا كالطفل الذى هو على يقين من

ضعفه ، وأنه فى حاجة إلى غيره ، فليس هو على شىء من العظمة الحقيقية ، بل ولا يستطيع أيضاً أن يدخل ملكوت السماوات .

فالسيد المسيح هنا لايحثنا على طفولة الجسد ، وهذا ممتنع طبعاً ، بل على طفولة الروح ، وأساسها وحجر زاويتها التواضع . ولذا قال : « فمن اتضع مثل هذا الصبى فذاك هو العظيم فى ملكوت السماوات »

أما اختيار يسوع طفلا ليعلمنا هـــذه الفضيلة ، فلأن الطفل بطبعه بسيط ، لا يعرف الخبث ، ولاغش فيه ؛ ذليل فى عينى نفسه ، بعيد عن حب الظهور والتسلط على أقرانه ، لايحسد أحداً ، ولا يكترث بقليل أوكثير من حطام الدنيا ؛ راض عن حالته ، ولا يزعجه فكر المستقبل .

كل هذه الخصال فى الطفل فطرية طبيعية ، أما فى المسيحى فيجب أن تكون فضائل مكتسبة بالجدّ والنضال المتواصل !

وقد حثنا سيدنا يسوع المسيح على التواضع دون باقى الفضائل المسيحية الأخرى ، لأن التواضع ملازم للفضائل كافة ملازمة الأساس للبنيان .

فالمتواضع يخلص المحبة لله والقريب : لله ، لأنه على يقين أن كل مالديه من مواهب طبيعية وفائقة الطبيعة قد استمدّها منه تعالى ينبوع كل الخيرات . وأنه من غير الله لايستطيع شيئاً . فسر نجاحه فى الحياة ، وتقدمه فى الفضيلة هو بفضل عناية الله الأبوية له . ولذا فهو يحبه تعالى بكل قواه ، ويثبت فى محبته .

ويُخلص المحبة لقريبه ، لأن محبته غير نفعية ، إذ لا يطمح فى شىء ممّا للقريب ، بل يرضى بما قسم الله له ؛ ولا يطلب مديح القريب ، لأن مديحه عند الله لا عند الناس .

ثم هو يعامل القريب بكل حلم وأناة ، لأنه يعلم أنه من ذاته ضعيف كالآخرين ، ولولا لطف الله لما ثبت .

ويتغلب بسهولة على كل أمياله المنحرفة ، لأنه فى محاربته الأعداء الروحيين يتكل على الله أكثر من اتكاله على نفسه .

وبالإجمال فإن المتواضع هو إنسان كامل، زينه الله بكل الفضائل : « لأن الله يقاوم المتكبرين ، ويعطى النعمة للمتواضعين » (يع ٤ : ٦)

تشكيك القريب :

يقع تشكيك القريب عن طريقين ، بتحريضه على الشر ، وبإعطائه المثل السيء. ومن البديهى أن من يشكك أخاه يعمل على هدم كيانه الروحى ، وبالتالى على هلاكه الأبدى ، محاكياً فى ذلك إبليس الذى يجدّ ساعياً فى إغراء الناس على ارتكاب المعاصى .

غير أن المشكك إذ يعمل على هلاك القريب ، يجلب الدمار والهلاك لنفسه أيضاً . ولذا فإن السيد المسيح بعدما قال: «الويل للعالم من الشكوك» أردف قائلا: « ولكن الويل لذلك الإنسان الذى تقع الشكوك عن يده »

لا بل ومن المحقق ، أن خطيئة المشكك هى أعظم من خطيئة المشكك لمسؤليته عن خطيئته وخطيئة قريبه .

وخطيئة التشكيك هذه يعظم جرمها ، متى كان المشكك صغيراً . ولذا فإن السيد المسيح يقول بأن مثل هذا المشكك يستحق أن يعاقب لا فى الآخرة فحسب، بل وفى هذا العالم أيضاً ، بأن يعلق فى عنقه حجر رحى ، ويغرق فى البحر .

وما يقال فى تشكيك الصغير بالعموم ، ينطبق بالخصوص على تشكيك الصغير متى كان مؤمناً . فالطفل المؤمن ، وهو الطفل المعمد ، أشبه ما يكون بملاك فى صورة جسدية . فهذا الطفل الملائكى يتحول إلى صورة بشعة جهنمية بسبب القدوة السيئة ، التى إن لم ترفع من الوسط فى أوانها ، تؤدى به ، بلا محالة ، إلى الهلاك الأبدى !

من هنا نفهم لهجة السيد المسيح الشديدة ضد أولئك الذين بقسوة متناهية يشككون هؤلاء الأطفال الصغار . قال : « ومن شكك أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى ، فأجدر له لو علق فى عنقه حجر الرحى وزج فى لجة البحر »

تجنب أسباب الخطيئة :

ثم يلزمنا أن نتجنب كل مايؤدى بنا إلى الخطيئة ، من مخاطر ومهالك روحية وهى ماتعرف بأسباب الخطيئة ، مهما كلفنا ذلك غالياً . قال يسوع : « إن شككتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أقطع أو أعرج من أن يكون لك يدان أو رجلان وتلقى فى النار الأبدية . وإن شككتك عينك ، فاقلعها وألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من أن يكون لك عينان وتلقى فى نار جهنم »

وعلى ذلك ، إن رأيت أن ترددك إلى ذلك المكان أصبح خطراً على حياتك الروحية ، فعليك بالابتعاد عنه للحال ، ولو كلفك ذلك ما يساوى قطع يدك أو رجلك .

وإن اختبرت أن معاشرتك لفلان أضحت وهقاً وسبب عثرة لك ، فعليك بالمبادرة إلى قطع هذه العشرة وكل علاقة مهما كانت وثيقة . فإن كلفك ذلك ما يعادل قطع يدك أو رجلك ، فمع ذلك يجب ألا تتردد ، وإلا فأنت هالك لا محالة !

بل وإذا صادفك فى الحياة أن قطع علاقة ما رديئة هى أصعب عليك من قلع عينك اليمنى ، فيجب مع ذلك ألا تتردد فى قطع هذه العلاقة ، إن شئت أن تفوز بالحياة وتتقى نار جهنم .

* * *

والنتيجة هى أنه بدون الابتعاد عن أسباب الخطيئة ، مهما كلفنا ذلك غاليا ، وبدون إعطاء المثل الصالح للقريب ، وممارسة جميع الفضائل المسيحية وعلى رأسها التواضع ، فلا يمكننا أن نحظى لا بالعظمة التى نطمح إليها دوما . ولا بدخول الملكوت السماوى ! فتأمل .

الأحد الثالث من أبيب

أعجوبة تكثير الخبز

فصل من إنجيل لوقا ٩ : ١٠ — ١٧

ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ماصنعوا فأخذهم وانصرف إلى موضع قفر على انفراد عند مدينة تدعى بيت صيدا . فعلم الجموع بذلك وتبعوه فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله والمحتاجين إلى الشفاء أبرأهم . وأخذ النهار يميل فدنا إليه الاثنا عشر وقالوا له اصرف الجموع ليمضوا إلى القرى والحقول التى حولنا فينزلوا ويجدوا قوتاً لأننا ههنا فى مكان قفر . فقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين إلا أن نمضى ونبتاع لهذا الشعب طعاماً . وكانوا نحو خمسة آلاف رجل . فقال لتلاميذه أجلسوهم جماعات خمسين خمسين . ففعلوا هكذا وأجلسوهم جميعاً . فأخذ الخمسة الأرغفة والسمكتين ونظر إلى السماء وباركها وكسر وأعطى تلاميذه ليقدموا للجمع . فأكلوا جميعهم وشبعوا ورفع مافضل اثنتا عشرة قفة من الكسر .

مشهد فريد ، عشرة آلاف نفس أو مايزيد ، بين رجال ونساء وأطفال يحيطون بيسوع وتلاميذه ، كلهم آذان صاغية إلى المعلم الإلهى وهو يُلقى عليهم تعاليمه الخلاصية !

فمن هم هؤلاء القوم ؟ هم الجموع المتعطشة إلى كلمة الله ، جاءوا من كل حدب وصوب ، إلى هذا المكان الموحش من البرية ، لسماع هذه الكلمة التى يجلونها ويقدرونها حق قدرها .

فما أعظم تقوى هذا الشعب البسيط الساذج وحسن اهتمامه بأمر خلاصه ! حقاً أنهُ لجدير بكل إعجاب ، ذلك الشعب الذى لا يخشى فى سبيل سماع كلمة الله أن يقتحم مخاطر البرية ، وما تخفيه الفلاة من أهوال ومفاجاءات : فلا الجوع ولا العطش يثنيه عن عزمه هذا ، لا بل ولا التعب المضنى مدة ثلاثة أيام متواصلة !

لنلقينَّ الآن نظرة إلى يسوع المعلم الإلهى ، وسط هذا الجمهور الغفير ، ولنتأمله ، فى أول الأمر ، مرحباً بوفود هذه الجماعات الآخذة فى الازدياد كفيضان جارف ، وحين أخذ يعلمهم الحقائق الأبدية ، ويشفى مرضاهم . ثم وهو يصنع تلك الأعجوبة التى قدَم فيها بقدرته الإلهية بخمسة أرغفة وسمكتين طعاماً كافياً لخمسة آلاف رجل ، ماعدا النساء والأطفال ، أى لما يقرب من العشرة

آلاف نفس . وقد زاد عنهم إثنتا عشرة قفة من الكسر !

فمن لايرى قلب يسوع ، فى كل هذا المهام وأعمال الغَيْرة الفائقة ، يفيض حباً وحناناً ، فيوزع نعمه وعطاياهُ يمنةً ويسرةً بجود وسخاء لاحد لهما !

لنتأمل أيضاً كيف أن يسوع قصد إلى ذلك المكان الموحش هرباً من الجموع ، لأن تلاميذه كانوا فى حاجة إلى شىء من الراحة ، ولاسيما أنهم كانوا راجعين من تطواف رسولى فى الجليل الأعلى دامَ عدة أيام . ومع ذلك فما إنه بمجرد مشاهدته هذه الجموع مقبلة اليه ، كأنى به قد نسى نفسه والتلاميذ ، راحته وراحتهم ، يترك تلاميذه ويوجه كل عنايته إلى هذه الجموع !

ولا عجب ، فان قلب فادينا الإلهى ، الذى يغار على خلاصنا أشد غيرة ، لا يمكنه أن يرد خائباً كل مَن يلتجىء إليه بثقة ، ولا سيما فى أمر خطير جوهرى كأمر الخلاص والتزود من معرفة كلمة الحق .

وكيف يقف قلب يسوع ، وهو المضطرم بسعير محبتنا ، وقفة جمود إزاء شعب كله رغبة لسماع كلمة الحياة ؟ ! وعلى ذلك فقد أخذ ، من فوره ، يلقى عليهم التعاليم السماوية ، تعاليم الحق والنور والهدى .

على أن يسوع لم يكتف بتعليم الجموع وشفاء جميع مرضاهم ، بل وشاء أن يهبهم أكثر وأعظم ممَّا كانوا يطلبون ويشتهون ، شاء أن يهبهم كل ذاته ، هبة حقيقية جوهرية . لأن هذا الشعب كان يمثل فى تلك اللحظة فى نظر يسوع شعباً أعظم وأقدس ، شعب المسيح الخاص ، ألا وأعنى به الكنيسة المقدسة التى اشتراها بثمن دمه الكريم .

ولكن كيف يحقق ذلك ؟ بوضع كل قدرته غير المتناهية فى خدمة حبه الإلهى غير المتناهى . بيد أنه قبل أن يشرع فى تأسيس سر كهذا يفوق كل وصف ، شاء أن يُعدّ الشعب والتلاميذ لمثل هذا العمل والهبة السامية ، بأعجوبة تكثير الخبز المذكورة ، التى ستكون فى نظر يسوع رمزاً لأعجوبة الأعاجيب ، القربان المقدَّس ، الذى بواسطته يهبنا حقيقة وجوهرياً كل ذاته نفساً وجسداً ، لاهوتاً

وناسوتاً . يريد من وراء ذلك ولوج قلوبنا والإتحاد بنا اتحاداً كاملا كلياً !

هذا إلى ما فى صنع أعجوبة تكثير الخبز من تعليم واضح ، بأن من يطلب من يسوع خبز الروح ، فإن يسوع يهبه خبز الجسد أيضاً . ولذا أوصانا قائلا : « أطلبو أولا ملكوت الله وبرّه ، وهذا كله يزاد لكم » (مت ٦ : ٣٣)

إننا نهتم كثيراً بتغذية أجسادنا الفانية ، فما بالنا لانهتم بتغذية نفوسنا غير الفانية ، الجزء الأشرف فينا ؟ ! إن الجسد إن أهملت تغذيته يصبح عرضة للمرض والموت ، كذلك النفس التى لاتُعطى غذاؤها الروحى تموت ولا شك ، على حياة النعمة .

لنشفقنَّ إذن على نفوسنا ولنغذها بغذاء التعاليم الإلهية التى تنير أذهاننا ، وتضرم فى قلوبنا حبّ السماويات . ولا نحرمها من قوت أبناء الله أىْ الأسرار المقدسة التى تقوّى عزيمتنا فى الخير وتثبتنا فى محبة يسوع .

وعلى هذا النحو أىْ بحرصنا على التزود من كلمة الله ، والعمل بمقتضاها ، يمكنا أن نحظى بسعادة الدارين ، هنا بالسلام وراحة الضمير ، وفى الآخرة بالحياة الأبدية .

الأحد الرابع من أبيب

إقامة لعازر من الموت

فصل من إنجيل يوحنا ١١ : ١ — ٤٥

وكان إنسان مريض وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا أختها وكانت مريم هى تلك التى دهنت الرب بالطيب ومسحت قدميه بشعرها وكان لعازر المريض أخاها . فأرسلت أختاه إليه تقولان يارب ها إن الذى تحبه مريض . فلما سمع يسوع قال ليس هذا المرض الموت بل لأجل مجد الله لكى يمجد ابن الله به . وكان يسوع يحب مرتا وأختها مريم ولعازر . فلما سمع أنه مريض لبث فى الموضع الذى كان فيه يومين . وبعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب إلى اليهودية أيضاً . فقال له التلاميذ يامعلم الآن كان اليهود يطلبون رجمك وأنت تمضى أيضاً إلى هناك . أجاب يسوع أليس النهار اثنتى عشرة ساعة فإن مشى أحد فى النهار لم يعثر لأنه يبصر نور هذا العالم . وإن مشى فى الليل عثر لأن النور ليس فيه . قال هذا ثم قال لهم إن لعازر حبيبنا قد رقد لكنى انطلق لأوقظه . قال له تلاميذه يارب إن كان راقداً فإنه يخلص وإنما قال يسوع عن موته فظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . حينئذ قال لهم يسوع صريحاً لعازر قد مات . وأنا من أجلكم أفرح أنى لم أكن هناك لتؤمنوا . لنذهب إليه . فقال توما الذى يسمى التوأم للتلاميذ أصحابه لنذهب نحن أيضاً لنموت معه . فلما وافى يسوع وجد أن له فى القبر أربعة أيام . وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة . وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرتا ومريم ليعزوهما عن أخيهما . فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع استقبلته وكانت مريم قاعدة فى البيت . فقالت مرتا ليسوع يارب لوكنت ههنا لم يمت أخى . ولكننى الآن أيضاً أعلم أنك مهما تسأل الله فالله يعطيك. فقال لها يسوع سيقوم أخوك . فقالت له مرتا أنا أعلم أنه =

كانت تقطن فى بيت عنيا ، وهى قرية صغيرة تبعد عن أورشليم ثلاث أو أربع كيلو مترات ، عائلة صديقة ليسوع ، مكونة من ثلاثة إخوة هم : مرتا ومريم ولعازر .

وذات يوم مرض لعازر ، واشتدت عليه وطأة المرض ، نخافت عليه أختاه بصواب ، وأرسلتا تطلبان نجدة يسوع ، قائلتين : « ها إن الذى تحبه مريض » فأرسل يسوع إليهما يقول : « إن مرض أخيهما ليس للموت ، بل لأجل مجد الله ، ليتمجد ابن الله به ، فلا داع للانزعاج .

= سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير. فقال لها يسوع أنا القيامة والحياة. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى لن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا . قالت نعم يارب أنا مؤمنة أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى هذا العالم . ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة المعلم حاضر يدعوك . فلما سمعت نهضت مسرعة وجاءت إليه . ولم يكن يسوع قد بلغ إلى القرية ولـكنه كان فى المكان الذى استقبلته فيه مرتا . فاليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قد قامت مسرعة وخرجت تبعوها قائلين إنها ذاهبة إلى القبر لتبكى هناك . فلما انتهت مريم إلى حيث كان يسوع ورأته خرت على قدميه وقالت له يارب لو كنت ههنا لم يمت أخى . فلما رآها يسوع تبكى ورأى اليهود الذين جاءوا معها يبكون ارتعش بالروح وحرك نفسه . وقال أين وضعتموه . فقالوا له يارب تعال وانظر . فدمع يسوع . فقال اليهود أنظروا كيف كان يحبه . وقال بعضهم أما كان يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لايموت . فارتعش يسوع ثانية فى نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر . فقال يسوع ارفعوا الحجر فقالت مرتا أخت الميت يارب قد أنتن لأن له أربعة أيام . فقال لها يسوع ألم أقل لك إنك إن آمنت فسترين مجد الله . فرفعوا الحجر . فرفع يسوع عينيه إلى فوق وقال يا أبت أشكرك لأنك سمعت لى . وقد علمت أنك تسمع لى فى كل حين لـكن قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولى ليؤمنوا أنك أنت أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم يالعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب . فآمن به كثير من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ورأوا ماصنع .

ولا إشكال فى قول يسوع : « إن مرض لعازر ليس للموت » رغم موته حقيقة بعد ذلك ، فقد عنى الموت الذى على غير رجعة ، فى حين إن موت لعازر هذا كان لمدة معينة ، وقد تبعه رجوع إلى الحياة .

وكانت مرثا ومريم هاتان الأختان المثاليتان ، شديدتى الثقة بيسوع ، ولذا فإن أول فكر طرأ عليهما فى محنتهما هو الالتجاء إلى المخلص . لتكن ثقتهما هذه ، وقد كللت بالنجاح التام ، قدوة ومثالا لنا .

إن يسوع فى تعزيته للأختين لم يزد على قوله : إن مرض أخيهما هو لأجل مجد الله . ومع ذلك فما أحسنها و أبلغها تعزية !

وما من شك ، أن فى طاقتنا أن نخص هذه التعزية بأنفسنا ، إذا ما داهمتنا الأمراض ، فنقول مرددين : « هذا المرض هو لأجل مجد الله ، فلا داع إذن للانزعاج . ومن المؤكد أننا نستطيع بمعونة النعمة أن نجعل كل أمراضنا ، سواء أكانت للموت أم لغير الموت ، لأجل مجد الله ، متى قبلناها جميعها من يد الله تعالى ، بصبر وأناة شاكرين .

سمع يسوع وهو فى عبر الأردن بمرض لعازر صديقه ، ولكنه لم يبرح تلك الناحية ، إلا بعد يومين . وقد قطع المسافة من عبر الأردن إلى اليهودية ، حيث بيت عنيا ، فى يومين آخرين . فلما وصل إلى هناك كان للعازر أربعة أيام فى القبر .

وكان إبطاء يسوع هذا عن قصد ، فقد أراد لاسمه السجود أن ينتشر ، فى هذه المهلة ، خبر وفاة لعازر فى كل أورشليم وضواحيها ، ليتأكد الجميع فيما بعد ، من صحة الأعجوبة التى كان مزمعا أن يصنعها .

وفى عبر الأردن أخبر يسوع تلاميذه بموت لعازر ، وأنه يريد أن يذهب ليقيمه . ثم قال لهم : « وأنا أفرح من أجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا »

ومن ذلك يتضح أن يسوع سيصنع هذه الأعجوبة ، بنوع خاص ، من أجل تلاميذه ، ليثبتهم فى الإيمان به وبرسالته الإلهية ، ولاسيما أن ساعة الآمه كانت قد اقتربت ، وكان لا بد له من مفارقتهم حتى قيامته المجيدة من بين الأموات .

وكان يسوع وتلاميذه على مقربة من بيت عنيا ، حينما خرجت مرثا للقائه ثم قالت له : « يارب ، لو كنت هنا لم يمت أخى . لكنى الآن أيضا أعلم أنك مهما تسأل من الله ، فالله يعطيك »

ويبدو من كلامها هذا أنها ترغب إلى يسوع أن يقيم لها أخاها من بين الأموات ولكن إيمانها بيسوع كان ناقصا . لإنها تؤمن أن يسوع يستطيع كل شئ بقدرة الله ، وأن سؤالا واحداً منه كاف لاستجابته ، ولكنها لا تؤمن بعد أنه

الله بعينه ، رب الحياة والموت ، له بقدرته الذاتية أن يقيم ويحي من يشاء .

ولذا فقد رأى يسوع أن يصحح إيمانها ، معلناً لها أنه هو بالذات ، وليس هناك سواه ، مبدأ كل قيامة وحياة . له كالآب أن يقيم ويحي من يشاء . بقدرته الإلهية واستحقاقاته ينهض المؤمن من عبودية الخطيئة ، فيحيا حياة النعمة .

وباستحقاقاته وقدرته الإلهية يقوم الأبرار فى اليوم الأخير بأجساد ممجدة طوبانية . قال لها : « أنا القيامة والحياة . من آمن بى ، وإن مات فسيحيا . وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد »

وإذ رأى أنها فهمت فحوى كلامه تماما ، سألها قائلا : « أتؤمنين بهذا ؟ » قالت ، نعم يارب ، أنا أؤمن أنك أنت المسيح ابن الله .

وحيث إن مرثا تؤمن الآن أن يسوع هو المسيح ابن الله ، وبالتالى أنه مساو للآب فى جوهر اللاهوت ، فلا مانع من جهة يسوع أن يقيم أخاها ، مكافأة لها على ما كان من إيمانها وتثبيتاً له .

وذهبت مرثا لتدعو مريم أختها ، فجاءت مسرعة ، وخرت عند قدمى يسوع وقالت له هى أيضا : « يارب ، لو كنت هنا لما مات أخى » ، ولكنها لم تشك كمرثا أختها فى قدرة يسوع الإلهية . قالت ذلك وأخذت تبكى .

وكان من جراء بكائها أن أستجيبت للحال ! أجل ، إنها لم تصرح فى الظاهر بشىء ، ولكن لغة بكائها كانت أبلغ من كل لغة : فكانت مريم إذا بكت على قدمى يسوع بثت بكاءها كل حبها وإيمانها العظيم . ولذا كانت تستجاب دوما ومن غير إبطاء .

فبكت مرةً أولى على قدمى يسوع ، فى بيت سمعان الفريسى ، فغفر لها يسوع جميع خطاياها ، لأنها أحبت كثيراً .

وبكت هنا على قدميه تعالى ، فطلب لفوره من الحاضرين أن يرافقوه إلى قبر لعازر أخيها ، حيث أقامه من الأموات حياً معافى .

وبكت مرة أخيرة على قبر معلمها الإلهى المحبوب منها للغاية ، فكافئها يسوع بأن شرفها بأول ظهور له بعد قيامته !

نظر يسوع إلى قبر لعازر حبيبه فدمعت عيناه . فقال اليهود أنظروا كيف كان يحبه . نعم ، إن يسوع يحب لعازر ، ولامراء فان دموعه هذه هى دموع الصديق المخلص الحميم الذى يرثى لنائبة صديقه ، فيبكيه بدموع حارة !

وهذا البكاء من الأدلة القاطعة عن ناسوت السيد المسيح ، لأن الشعور بألم الفراق ، وسكب الدموع على مصيبة الصديق هى من خواص الانسان ، وليست من خواص الإله .

ومع ذلك يجب الملاحظة أن الانفعالات المرتبة الطبيعية ، وهى الوحيدة التى كان يخضع لها السيد المسيح — دون غير المرتبة التى كانت سببها جريرة آدم — لم تكن فيه تسبق حكم العقل ، إنما كانت تتبعه ، يحركها هو كيفما شاء .

ولنا دليل على ذلك فى قول الإنجيلى : إن يسوع لما رأى مريم واليهود الذين جاءوا معها يبكون ارتعش بالروح وحرك نفسه . وهذا برهان ساطع على سلطان السيد المسيح وسيطرته التامة على جميع حركاته وسكناته .

أمر يسوع برفع الحجر « الذى كان يسد باب قبر لعازر ، وكان مغارة ، فارتعدت مرثا لفكرة فتح قبر أخيها الذى اعتراه الفساد ، وقالت ليسوع : « يارب ، قد أنتن لأن له أربعة أيام » . فقال لها مذكراً إياها بالإيمان الذى أعلنت عنه منذ لحظة ، معترفة بأنه ابن الله وبالتالى أنه على كل شىء قدير : « ألم أقل لك إنك إن آمنت ترين مجد الله »

رفع الحجر وصلى يسوع قائلا : « يا أبت ، أشكرك لأنك استجبت لى ». إنَّ يسوع كان قد طلب من الله أبيه أن يمجده بصنع أعجوبة باهرة تظهره للملأ أنه ابنه بالطبيعة ، وحيث إن طلبته قد أستجيبت ، وهاهو على قاب قوسين من اجتراح هذه الأعجوبة ، انتهز الفرصة ليشكره تعالى . ولكن حتى لايظن أنه فى بعض الأحيان لايستجاب ، أردف قائلا : « وأنا قد علمت أنك كل حين تستجيب لى »

وكانت صلاة يسوع فى هذه المناسبة الخاصة ، ليتأكد الجميع أن الأعجوبة المزمع صنعها هى من الله ، فلا يمكن أن تعزى إلى الشيطان بحال .

صلى يسوع شاكراً كإنسان ، ولكنه سيجترح الأعجوبة كإله . فكان فى صلاته برهان عن ناسوته ، وفى أعجوبة بعثه الميت برهان عن لاهوته .

إن يسوع يطلب من أبيه كإنسان ، وطلبه يستحيل ألا يستجاب ، لأن الإتحاد الأقنومى أى إتحاد الطبيعة البشرية بأقنوم الكلمة إتحاداً جوهرياً ، يجعل ليسوع كإنسان أيضاً كرامة غير متناهية ، لأن الطبيعة البشرية فى المسيح لاتقوم بذاتها ، إذ ليس لها شخصية مختلفة عن شخصية الكلمة الأزلى .

بيد أن يسوع كإله لايطلب من أبيه ، بل يفعل كأبيه ومع أبيه كلما شاء وكيفما شاء ، لأنه هو والآب واحد : فهو الذى يريد الشىء فيكون ، ويأمر العناصر فتطيعه طاعتها لخالقها : ففى هذه الأعجوبة يقول بسلطان للعازر : « يالعازر هلمَّ خارجاً » . ولعازر الذى فارق الحياة منذ أربعة أيام ، وقد انتشر فيه الفساد ، وأخذ فى النتانة ، تدبُّ فيه الحياة من جديد فيقوم حياً معافى !

إن القديس أغوسطينوس الذى اشتهر بدقة الملاحظة قال : « إننا لانستطيع أن نوقظ نائماً بأكثر سهولة مما أقام يسوع لعازر من بين الأموات » .

الأحد الأول من مسرى

مثل الكرامين الخونة

فصل من إنجيل لوقا ٢٠ : ٩ — ١٩

وجعل يقول للشعب هذا المثل . إنسان غرس كرما وسلمه إلى عملة وسافر زماناً طويلا . وفى أوان الثمر أرسل عبداً إلى العملة ليعطوه من ثمر الكرم فجلدوه وأرسلوه فارغاً . فعاد وأرسل عبداً آخر فجلدوه أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً . فعاد وأرسل ثالثاً فجرحوا هذا أيضاً وأخرجوه . فقال رب الكرم ماذا أصنع إنى أرسل ابنى الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابونه . فلما رآه العملة تآمروا فيما بينهم قائلين هذا هو الوارث لنقتله حتى يصير الميراث لنا . فطرحوه خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل بهم رب الكرم . إنه يأتى فيميت أولئك العملة ويدفع الكرم إلى آخرين . فلما سمعوا قالوا حاشى أن يكون ذلك . فنظر إليهم وقال فما هو هذا المكتوب إن الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية . كل من سقط على هذا الحجر يتهشم ومن سقط هو عليه يطحنه . فهم رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا عليه الأيدى فى تلك الساعة ولكنهم خافوا من الشعب لأنهم علموا أنه قال هذا المثل عليهم .

أورد سيدنا يسوع المسيح هذا المثل المأخوذ عن أشعيا ٥ : ١ — ٢ ليعلن اليهود بالعقاب الهائل ، العتيد أن ينزله الله بهم ، انتقاماً منهم على خيانتهم الكبرى وقتلهم المسيح المخلص .

وإليك تفسير المثل ، وما يرمز إليه من أشخاص وأشياء : رب الكرم وغارسه هو الله سبحانه وتعالى ؛ والكرم هو مجمع اليهود . أما السياج الذى كان يحيط بالكرم لصيانته ؛ والمعصرة التى حفرها رب الكرم لعصر العنب ؛ وكذا البرج الذى بناه لحفظ العنب : كل هذه تشير إلى الحماية والعناية المتنوعة التى أحاط بها الله شعبه المختار ، والنعم الجزيلة التى أسبغها عليه .

وعلى وجه الخصوص ترمز المعصرة إلى الشريعة ، التى تلزم الإنسان وتضغط على إرادته ضغطاً وإلزاماً أدبياً ليظهر عصير التقوى والإيمان . والبرج إلى الهيكل

مركز العبادة الحقيقية يومئذ فى العالم ، وسمو هذه العبادة على عبادة الوثنيين وشعائرهم الدينية المجونية .

أما الكرامون الخونة الذين كانوا تارة ينكلون بعبيد سيدهم ، وتارة أخرى يقتلونهم قتلا ، فهم كهنة اسرائيل ورؤساء شعبه . أما العبيد الذين كانوا يفدون من طرف رب الكرم أوان الثمر ، فهم الأنبياء . هؤلاء كان يرسلهم الله ، من وقت لآخر ، لينذروا بالتوبة ويحثوا الشعب ليرجعوا إلى الرب إلههم .

أما ابن رب الكرم ، هذا الابن الحبيب الذى إذ نظره الكرامون تشاوروا معاً على قتله قائلين : هذا هو الوارث تعالوا نقتله ليصير لنا الميراث ، فهو كما لا يخفى ، سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد . هذا لما رآه الكتبة والفريسيون يزداد شهرة على مدى الأيام ، وأن الشعب يدخل حظيرته أفواجا ، تآمروا على قتله ، فأخذوه إلى خارج أورشليم وصلبوه .

وكان الحافز على ذلك ، طمعهم فى الرئاسة ، فقد توهموا أنهم إن لم يرفعوا يسوع من الوسط ، يأتى الرومان ويسلبونهم كل سلطان على الشعب .

وقد روى يوحنا الإنجيلى كيف أن قيافا ، وكان رئيساً على الكهنة تلك السنة ، قال متنبأ ، لكن دون أن يدرك فحوى نبوته العويصة المعنى : « خير لكم أن يموت رجل واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها » (يو ١١ : ٥٠)

بيد أن موت يسوع ، كما لاحظ نفس الإنجيلى ، لم يكن فى نظر الله ، واضع تلك الكلمات النبوية على لسان ذلك الرئيس الأحمق ، تنفيذاً لرغبة رؤساء الكهنة السافلة ، بل لغاية سامية جليلة ، ألا وهى خلاص اسرائيل الروحى ، « فيجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » (يو ١١ : ٥٢)

غير أن تدبير الله الحكيم ، وإتخاذه هؤلاء القادة العميان كوسيلة لتنفيذ مقاصده الرحيمة الخلاصية ، لا يبرر سلوكهم المعوج ومشورتهم الخرقاء .

وعلى ذلك فانه تعالى سينتقم منهم انتقاما هائلا مريعا ، ولاسيما أن جريمتهم النكراء هذه ، جاءت وراء سلسلة من الجرائم الواحدة تلو الأخرى .

وقد تمت نبوة يسوع هذه عن رذل اليهود فى السنة السبعين للمسيح ، عندما دمّر الرومان أُورشليم وأحرقوا الهيكل. فنزع ملكوت الله من أيديهم وأُعطى للأمم .

تلك الأمم التى ما كادت تسطع عليها أنوار البشارة ، حتى ظهرت للملأ ، يانعة شهية ، ثمار توبتهم وارتدادهم من الوثنية إلى حق الإنجيل ، وذلك بأعمال القداسة الباهرة ، التى غيرت وجه البسيطة .

فقد حلت الفضيلة محل الرذيلة ، وحل الإيمان محل الكفر والإلحاد ، والحكمة الحقيقية محل أباطيل العالم وفلسفة أهل العالم الباطلة . وقد تجلت هذه الثمار بنوع أخص ، بثبات هؤلاء الملايين من الشهداء ، الذين ضحوا بحياتهم رخيصة فى سبيل إيمانهم وانتصاراً لحق الإنجيل .

* * *

والآن نظرة عابرة إلى تاريخ أُمة اليهود ، تلك الأمة التى اصطفاها الله دون سائر شعوب الأرض، لتكون مملكته الخاصة وشعبه المختار، والتى خانت دعوتها وامتهنت مواعيد إلهها . حتى نكون على حذر ، فلا تضحى نعمة الله باطلة فينا : « لأن كل ما كتب من قبل ، إنما كتب لتعليمنا ليكون لنا الرجاء بالصبر وتعزية الكتب » (رو ١٥ : ٤)

وليس هنا المقام للتفصيل ، فحسبنا أن نعرف أن الله اختار ذرية إبراهيم أبى المؤمنين ، ليكون له على الأرض شعب يعبده حق العبادة ، تحفظ فيه وديعة الإيمان ، فتحلُّ عليه البركة ويثمر ثمار البر والقداسة .

ولهذه الغاية خلصه من نير العبودية ، وأعطاه أرضاً تدر عسلا ولبناً ، كما أعطاه الشريعة ، وجعل فيه النبوة والأنبياء .

ولكن هذا الشعب الغليظ الرقبة ، القاسى القلب ، لم يجاوب على نعمة سيده ،ولم يأت بالثمار المنشودة . وقد زادفى الطينة بلة ، أنه لوث يديه بدم الأنبياء القديسين الذين كان يرسلهم إليه الله ، ليردوهُ عن طريقه الضال !

وبلغ من جود الله ورحمته أنه لما رأى أن لاطائل من إرسال الأنبياء عبيده

أرسل إليهم ابنه الوحيد . ولكن عبثاً ، لأن هذا الشعب الجاحد مراحم إلهه ، بدلا من أن يعترف بخطاياهُ السالفة والحاضرة ويتوب على يد الفادى ، شاء أن يكمل مكيال آثامه باقتراف أعظم جريمة ، ألا وهى قتل مخلصه وفاديه ، يسوع المسيح ابن الله ! وهكذا جلب على نفسه العار والدمار الأبديين .

* * *

أيها القارىء الكريم ، إلى هنا لخصت لك بايجاز قصة ارتداد بنى اسرائيل عن الرب إلههم . وهى ولاريب ، قصة محزنة ، كلها أشجان وآلام . بيد أنى أخشى أن تكون هذه القصة الواقعية قصتى وقصتك ، أيها القارىء الحبيب .

أفلا تعلم أن الكرم فى المعنى الروحى هو نفسك ، التى غرسها الله بين جنبيك ، وحباها بكل موهبة صالحة ، طبيعية وفائقة الطبيعة ، لتثمر ثمار البر والحياة والقداسة ؟

ترى ألم يعطك الله العقل وإرادة حرة فى النظام الطبيعى ، لتطلب الخير وتحبه تعالى من كل قلبك وكل قواك ، لا عن اضطرار ، بل عن حرية تامة ؟ !

ثم ألم يهبك فى النظام الفائق الطبيعة ، نعمة البنوة الإلهية ، والاشتراك فى الطبيعة الإلهية ، والحق فى الحياة الأبدية مع كافة الوسائط الموصلة إليها ؟ !

لقد حان جنى الثمار . « وكل شجرة لاتثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى فى النار » (لو ٣ : ٩) فأين ثمارك ؟ ثمار الحياة الأبدية . قال الرسول : « من يغرس كرماً ولا يأكل منه » (١ كور ٣ : ٧)

أترى أن الله وحده لايكون له الحق فى أخذ ثمار كرمه ، وقد بذل له كل مايمكن بذله . قال سبحانه وتعالى بفم أشعيا النبى : « أى شىء يصنع للكرم ولم أصنعه لكرمى » (أش ٥ : ٤)

فيا أيها القارىء الحبيب ، لكى لا نجلب على أنفسنا عاراً ودماراً نبكيهما مدى الدهر ، هكذا كما حدث لإسرائيل الجسدى الجاحد مراحم إلهه ، فلنبادر بإعطاء رب الكرم ثمار التوبة والحياة التى يطالبنا بها بإلحاح بواسطة عبيده خدام الكلمة .

سمع الكتبة والفريسيون يسوع يتنبأ عن سوء مصيرهم ، لأنهم يرتكبون جريمة قتل المسيح الرب ، فقالوا : « حاشا أن يكون ذلك » . فنظر إليهم وقال مؤيداً نبوته ، إذاً فما هو هذا المكتوب : « إنّ الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأساً للزاوية » (مز ١٧ : ٢٢)

إنّ البنائين الذين كان يجب عليهم أن يبنوا بيت الله هم الكهنة واللاويون ، ولكن هؤلاء قد حادوا عن جادة الطريق ، لأنهم أرادوا أن يبنوا على أساس آخر غير المسيح .

أما المسيح الحجر الذى رذله بناؤو إسرائيل ، فقد جعله الله رأساً للزاوية ، فى بناء أعظم ، ألا وأعنى به بناء الكنيسة المقدسة ، بيت الله الحقيقى وملكوته على الأرض .

ذكر يسوع المزمر الآنف الذكر ، وقال فى تفسيره : «كل مَن يسقط على ذلك الحجر يترضض » إنّ المسيح قد تألم ومات من أجل خلاص الجميع ، لكن قسوة القلوب وعدم الإيمان قد جعلا منه حجر عثرة للكثيرين .

ولكن الويل لهذا الإنسان ، وتلك الأمة ، اللذين يضحى يسوع لهما حجر عثرة ، فإنّ عاقبة كليهما هى ، ولا شك ، الدمار والهلاك .

فمثل من يقاوم يسوع مثل من يناطح صخرة ، أو بالحرى كما يقول الإنجيل كالذى يسقط على الصخرة ، فانهُ لا تندق عنقه فحسب ، بل وتترضض كل عظامه وتتهشم أعضاؤه .

« ومن سقط هو عليه يسحقه » . إن يسوع المسيح ، وإن رذل من اليهود ومات معلقاً على الصليب ، فسوف يأتى ثانية ، بمجد عظيم ، ليدين الأحياء والأموات والويل لمن سينزل عليه حينئذ حكمه العادل الرهيب ، فانه سيكون كحجر هائل يسقط على رأس الخاطىء فيسحقه سحقاً .

ومن الواضح أن حكم السيد المسيح ، فى آخر الأيام ، على الخطاة الجاحدين ، الذين على مثال اليهود ، رفضوهُ وتعاليمه المقدسة ، هو رذل أبدى فى نار جهنم ،

التى تسحق المرذول وتطحنه دون أن تفنيه أبداً !

* * *

يسوع المسيح وحده ، ابن الله بالطبيعة ، هو الوارث الطبيعى لله الآب . أما نحن فلا نضحى ورثة لله ، إلا بقبولنا السيد المسيح ، لأننا بقبولنا إياه نصير إخوة له وأبناء لله . قال الإنجيل : « أما الذين قبلوه فأعطى لهم أن يكونوا أبناء الله » (يو ١ : ١٢) . على أن قبولنا للمسيح لايتم لنا ، إلا بمشاركتنا إياه فى هذه الحياة العاجلة ، تواضعه وآلامه مع حفظ كل تعاليمه ووصاياه .

يسوع المسيح هو أيضاً حجر الزاوية . فعلى هذا الحجر لاعلى غيره ، يجب أن نبنى بناءنا الروحى ، وإلا أصبح لنا حجر عثار وصخرة شك ، وكان مصيرنا كمصير أولئك الكرامين الخونة والبنائين الجهلة . الدمار ونزعنا الملكوت . وقانا الله جميعاً وبال العاقبة وسوء المصير باستحقاقات ابنه ووحيده يسوع المسيح مخلصنا له العز والسجود من الآن وإلى الأبد .

الأحد الثاني من مسرى

دعوة القديس متى

فصل من إنجيل لوقا ٥ : ٢٧ — ٣٢

وخرج بعد ذلك فرأى عشاراً اسمه لاوى جالساً عند مائدة الجباية فقال له اتبعنى : فترك كل شىء وقام وتبعه . وصنع له لاوى مأدبة عظيمة فى بيته وكان هناك جمع كثير من العشارين وغيرهم متكئين معهم . فتذمر الفريسيون وكتبتهم على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع العشارين والخطاة . فأجاب يسوع وقال لهم لايحتاج الأصحاء إلى طبيب لكن ذوو الأسقام . إنى لم آت لأدعو صديقين بل خطأة إلى التوبة .

كان القديس متى ، وهو الإنجيلى ، المسمى أيضاً لاوى بن حلفى ، قبل دعوته إلى حظيرة الرسل الأطهار ، يشغل فى مدينة كفرناحوم وظيفة رئيس عشارين : وظيفة هامة ، لم تكن تسند إلا للأثرياء من اليهود .

ومع ذلك كانت مهنة العشار ، التى كان بموجبها يقوم العشار بجباية الجزية من مواطنيه لحساب الرومانيين ، الذين كانت تخضع لهم أمة اليهود ، مهنة يمقتها بصواب اليهود الأحرار ، ويعدون صاحبها من أكبر المجرمين ، الذين باعوا دينهم ووطنهم للعدو طلباً فى المال والجاه .

وهنا يجدر بك أيها القارىء الحبيب ، أن تتأمل كيف أن يسوع لم يأنف أن يتخذ من طبقة العشارين هذه ، التى كانت بشهادة اليهود وكثيرين من كتبة الرومانيين أنفسهم ، من أرذل الطبقات ، تلميذاً له ورسولا مقرباً ! .. كما أنهُ لم يأنف أن يختار من طبقة الصيادين المحقرة أكثر رسله !

فإن شئت جواباً عن تصرف يسوع الغريب هذا فى ظاهره ، فالجواب تجدهُ فى قول الرسول العويص المعنى : « لقد اختار الله الجاهل من العالم ليخزى الحكماء ، واختار الله الضعيف من العالم ليخزى القوى ، واختار الله الخسيس من العالم ، والحقير وغير الموجود ليعدم الموجود ، لكى لا يفتخر ذو جسد أمامه » (١ كور ١ : ٢٧ — ٢٩)

فلا يعثرنك إذن أصل هذا الكاهن ، أو هذا الرئيس المتواضع ؛ ولا تقل كما يقول الجهلاء ، ومن هذا الذى يريد أن يقوم فينا أباً ومعلماً ؟ .. فحسبك أن تعرف أنه مسيح الرب ومختاره ، لنسمع له وتقدم له كل احترام وكرامة . فأنت لاتسمع ولاتكرم إنساناً ، إنما تسمع وتكرم الرب يسوع نفسه ، وهو العزيز القائل : « من سمع منكم فقد سمع منى ، ومن احتقركم فقد احتقرنى» (لو ١٠ : ١٦)

إن رأفة يسوع بالخطاة المساكين ، وعطفه الرحيم نحوهم ، الذى كان يتجلى أكثر فأكثر فى كل المناسبات ، كما وإن اختياره بعض هؤلاء الخطاة للانخراط فى مصاف تلاميذه المقربين ، كما هو موضح فى حادث دعوة متى ؛ وتفضيله البعض الآخر على الفريسيين وتلاميذهم ، الذين اتخذوا من العبادة منهجاً وشعاراً ! . . . كل هذا جعل هؤلاء الفريسيين ومن على شاكلتهم من ذيول وأتباع يزدادون يوماً بعد يوم بغضاً وكراهية ليسوع وتعاليمه الثورية !

ولذا فلا عجب ، أن نراهم ينتقدونه بمرارة ، وقد رأوهُ على مائدة ذلك العشار البغيض ، وسط تلك الزمرة المنبوذة من الخطاة ، التى كان يتحاشى الفريسيون كل إتصال بهم لئلا يتنجسوا ، هم سلالة المطهرين وخيرة بنى اسرائيل !

غير أن يسوع لم يدعهم يتزمرون طويلا ، فقد أخذ يبين لهم عما فى تصرفه من سداد وحكمة ، ببراهين واقعية لامردَّ عليها . وقد فعل ذلك ، لا ليبرر نفسه أمام هؤلاء المرآئين ، بل لتعليمنا نحن أنه يفضل الخاطىء المستعدّ للتوبة ويخصه بنعمته ، على البار المدعى ، الذى يظن من نفسه أنه فى غير حاجة إلى التوبة .

فمن المغالطة أن يعتقد المرءُ أنه بارٌ ، وهو لايزال مملوءاً من حبه لذاته . إذ لابرارة حقيقية ممكنة مع الكبرياء .

قال لهم : « لايحتاج الأصحاء إلى طبيب ، لكن ذوو الاسقام . فاذهبوا واعلموا ماهو : إنى أريد رحمة لاذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو الصديقين ، بل الخطأة إلى التوبة »

وعلى ذلك فان يسوع يفند اعتراض الفريسيين بثلاثة براهين متشابكة متداخلة : فى الأول ، وهو عبارة عن مثل شائع ، يقول لهم ، إن الطبيب يوجد عادة حيث تستدعيه حرفته : فى بيوت المرضى وعلى أسرتهم . فأى عجب إذن أن يوجد يسوع وهو المخلص المنتظر ، طبيب النفوس العظيم بين الخطاة والعشارين ، هؤلاء المرضى بالروح !

وبما أن الفريسيين كانوا يدعون أنهم أصحاء ، وليسوا فى حاجة إلى تبرير ، فقد حرموا أنفسهم بأنفسهم من خلاص المسيح . فالطبيب يعالج الذين يعرضون عليه ذواتهم ، لا الذين يعرضون عنه بحجة أنهم أصحاء .

البرهان الثانى مأخوذ عن هوشع النبى ٦ : ٦ ومعناهُ أن يسوع يفضل الرحمة وهى أبهى مظاهر المحبة الأخوية ، على الذبائح نفسها التى بها نكرم الله مباشرة !

وبلفت نظرهم إلى تلك الآية المعروفة شاء يسوع أن يلمس هؤلاء المنافقون بأيديهم ، كيف أنهم رغم غيرتهم الظاهرية على الشريعة ، مازالوا يجهلون روح هذه الشريعة ، ويتعدون عليها فى أحد بنودها الأكثر أهمية ، ألا وهو بند محبة القريب .

وعلى ذلك فعبثاً نحاول أن نرضى الله بتقدمة الذبائح والكفارات ، مالم تكن فينا المحبة . لابل وكل الذبائح والكفارات ؛ الصلاة والصوم وكل أنواع الزهد والتقشف ، لايمكنها أن تجدينا نفعاً ، مادمنا نزدرى بالقريب ، ونفضل أنفسنا عليه .

البرهان الثالث يأخذه يسوع من غاية مجيئه إلى العالم ، ألا وأعنى بذلك العمل على مصالحة الخطاة مع الله ودعوتهم إلى التوبة .

فما بالك إذن أيها الفريسى ، تتعثر من تصرف يسوع الحكيم هذا ، المطابق كل المطابقة لرسالته الفدائية ، كما سبق وتنبأ عنها الأنبياء ، وقد كان يجدر بك أن ترى من خلال ذلك ، مايقربك منه ، فتنهل من ينبوع الخلاص هذا ، خلاصك . ولكن الأحمق أحمق ، يتعثر من لاشىء ، لابل ومما كان مفترضاً أنه يثبته ويحفظه من العطب !

على أن أعظم النعم التى يهبها الله للانسان مجاناً ، هى بلاشك دعوته إلى الكهنوت المسيحى .

فهذا الكهنوت هو دعوة قدسية سامية بموجبه يعطى الإنسان حقا كاملا على تقديس نفسه والقريب . وهو من حيث إنه اشتراك حقيقى فى كهنوت السيد المسيح ، الكاهن إلى الأبد ، وسلطانه السامى ، بلاجدال ، دعوة شريفة للغاية ، بحيث إن شرف الكهنوت المسيحى يفوق شرف سائر الرتب والمقامات البشرية ، بل والملائكية أيضاً !

ولذا يجب أن نفضل طريقة الكهنوت — متى كانت ثمة دعوة حقيقية — على كل ماسواها من طرق دنيوية . مهما ظهرت هذه الأخيرة باهرة براقة ، لا بل وفى سبيل هذه الدعوة يجب أن نضحى بكل غال ورخيص دون تردد .

هكذا فعل الرسل الأطهار ، ولاسيما قديسنا العظيم متى ، الذى إذ دعاه الرب يسوع ترك كل شىء : المال وما كان يتمتع به من جاه ورئاسة ونعيم فى الدنيا ليتبع يسوع الفقير ، الذى لم يكن له حجر يسند إليه رأسه !

لأنه تحت تأثير النعمة قد فهم كم هو باطل العالم ، وكم هو مجيد إتباع المسيح عن قرب ، فاختار النصيب الصالح .

الأحد الثالث من مسرى

مثل القوى والأقوى

فصل من إنجيل مرقس ٣ : ٢٢ — ٣٥

وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن فيه بعل زبوب وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين. فدعاهم وقال لهم بأمثال كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً. فإنها إذا انقسمت مملكة على نفسها فلا يمكن لتلك المملكة أن تثبت . وإذا انقسم بيت على نفسه فلا يمكن لذلك البيت أن يثبت . وإذا قاوم الشيطان نفسه فقد انقسم فلا يمكن أن يثبت بل يضمحل . لايستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إلا أن يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته . الحق أقول لكم إن جميع الخطايا والتجاديف التى يجدف بها بنو البشر تغفر لهم . وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد ولكنه مجرم بخطيئة أبدية . لأنهم قالوا إن فيه روحاً نجساً . حينئذ جاءت أمه وإخوته ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه . وكان الجمع جلوساً حوله فقالوا له إن أمك وأخوتك خارجاً يطلبونك . فأجابهم قائلا من أمى وإخوتى . ثم أدار نظره فى الجالسين حوله وقال هؤلاء هم أمى واخوتى . لأن من يعمل مشيئة الله ذاك أخى وأختى وأمى .

قال يسوع : « إذا كان القوى المتسلح يحافظ على داره تكون أمتعته فى أمان ولكن إذا جاء عليه من هو أقوى منه وغلبه ، فإنهُ يذهب بجميع أسلحته التى كان يعتمد عليها ، ويقسم غنائمه » (لو ١١ : ٢١ و ٢٢)

إن هذا القوى هو ، من غير شك ، الشيطان الذى إلى مجىء السيد المسيح كان يسيطر على العالم سيطرة تامة : على النفوس وعلى الاجساد ، دون أن ينازعه منازع . أما بعد مجىء الأقوى « يسوع المسيح » مخلص العالم الموعود ، فقد خسر كل سلطان على البشر ، ولاسيما المختارين ، تلاميذ يسوع الحقيقيين !

ولا عجب ، فقد هزمه يسوع فى عدة مواقع . فى الصحراء وفى مدن وقرى اليهودية والسامرة والجليل ، وذلك مدة ثلاث سنوات . ثم كانت المعركة الأخيرة الحاسمة التى هزم فيها يسوع إبليس شرَّ هزيمة . فقد غلبه ، هذه المرة ، وذهب بكل أسلحته ومتاعه .

ومن المفارقات العجيبة فى هذه المعركة الأخيرة ، أن نفس الأسلحة التى أعدها إبليس للتغلب على يسوع كانت لهدمه هو وغلبة يسوع ! فقد ظن اللعين أنه بتهييجه اليهود ضدّ يسوع حتى صلبوهُ ، أنه يتخلص إلى الأبد من هذا العدوّ ، والمنافس الخطير ، الذى خرَّب بتعاليمه وأعاجيبه الخارقة مملكته تخريباً .

ولم يفطن إلى أن الله سيتخذ من خبثه ، وخبث اليهود أعوانه ، واسطة لتنفيذ مقاصده الخلاصية بالبشر . إذ « كان لابد للمسيح أن يتألم هــذه الآلام – ليخلصنا – ثم يدخل إلى مجده » (لو ٢٤ : ٢٦)

وهكذا وقع مالم يتوقعه إبليس الحية القديمة ، إذ إنه بترصده عقب يسوع المسيح مولود المرأة ، سحق يسوع رأسه سحقاً ، وخلصنا من نير عبوديته ! فتحققت نبوة يسوع : « وأنا إذا ارتفعت عن الأرض – أى إذا صلبت – جذبت إلى الجميع » (يو ١٢ : ٣٢)

* * *

فى الصحراء انتصر يسوع على إبليس عدة انتصارات ، كان من نتيجتها أن أخذ يسوع يطارده من الأجساد التى كان يحتلها احتلال السيد المطلق لمتاعه . ثم من الأرواح ، وذلك بارتداد كثير من الخطاة والوثنيين عن طريق الضلال إلى طريق الهداية والنور . وقد تنبأ يسوع عن انتصاراته هذه على الشيطان بقوله : « قد حضرت دينونة هذا العالم ، الآن يلقى رئيس هذا العالم خارجاً »(يو ١٢ :٣١)

ولذا رأينا ، فى الإنجيل ، أنه من المناظر المألوفة جداً ، إنهزام الروح الشرير أمام يسوع كل مرة صادفه فى طريقه . دليل ذلك تلك العجائب الكثيرة التى اجترحها يسوع لإخراجه من أجساد الناس .

وإليك بعض هذه العجائب : كان يسوع يعلم مرة فى مجمع كفرناحوم ، وكان بين الحاضرين رجل فيه روح نجس ، فلما رأى يسوع أخذ يصيح قائلا : مالنا ولك ، يايسوع الناصرى ، أأتيت لتهلكنا . قد عرفتك من أنت ، إنك قدوس الله . فانتهره يسوع قائلا : اخرس واخرج من الرجل ، فخبطه الروح النجس ، وصاح

بصوت عظيم وخرج لساعته منه . (مر ١ : ٢٣ — ٢٦)

وكان مجنون آخر ببقعة الجرجسيين يسكن القبور وبين الجبال ، يصيح ويتهشم بالحجارة ، كثيراً ما حاول الأهلون أن يوثقوهُ بقيود وسلاسل مخافة أن يؤذى المارَّة . ولكنه قطع السلاسل وكسر القيود ، ولم يستطع أحد أن يقمعه .

إن هذا المجنون لما رأى يسوع مقبلا من بعد بادر إليه وسجد له وصاح بصوت عظيم قائلا : مالى ولك ، يايسوع ابن الله العلى ، استحلفك بالله لاتعذبنى ، وإذ سأله يسوع : مااسمك . أجاب ، اسمى « جوقة » لأننا كثيرون . ولايخفى أن الجوقة فى ذلك العهد أيام الرومانيين ، لم تكن تقلُّ عن ألفى مقاتل .

وقد أخرج يسوع من المجنون كل هذا العدد العديد من الأرواح الشريرة ، من غير أن يستطيع أحدهم أن يبدى أية مقاومة . أجل ، إنهم طلبوا منه أن يأذن لهم ، على الأقل ، بأن يدخلوا قطيع الخنازير الذى كان يرعى على جرف البحيرة — وهى بحيرة طبرية — فأذن لهم . وذلك رغم سابق علمه بما كانوا ينوون من إغراق القطيع بأكمله فى البحيرة .

وقد سمح يسوع بهلاك القطيع لعدة أسباب . منها : لأن الشريعة كانت تحرم على اليهود اقتناء هذه الحيوانات النجسة . ثم ليمتحن استعداد الجرجسيين ، هلْ يقبلونه وتعاليمه رغم هذه الخسارة الفادحة أم لا . فلم يقبلوه ، ورجوهُ أن ينصرف عن بقعتهم فانصرف[1] . (لو ٨ : ٢٦ — ٣٦)

* * *

وكان باستحقاقات السيد المسيح أن أصبح اليوم من النادر جداً احتلال الشيطان لأجساد الناس ، ولاسيما المسيحيين .

ولكن ، هل انتصر يسوع على إبليس بحيث إنه لايستطيع أن يوقع أى ضرر لا بالاجساد فحسب ، بل وبالنفوس أيضاً . وهل جرَّدهُ من كل سلطان على

---

(١) غير أن رحمة فادينا لم تترك هؤلاء الجرجسيين الذين رفضوه هذه المرة الأولى ، بل جعلت من المجنون الذى شفاه رسولا لهم . ولذا فلما رجع يسوع قبله القوم لأنهم كلهم كانوا ينتظرونه (لو ٨ : ٤٠)

النفوس بحيث لايمكنه أن يتغلب عليها فى حال من الأحوال . وبالتالى هل استحق لنا المسيح كل النعم الضرورية التى يمكننا بواسطتها أن ننتصر بيسر وسهولة على هذا العدو العنيد وجميع غواياته المضلة ؟

فالجواب على كل هذه الأسئلة ، هو أن نعم . حيث إن موت يسوع كان لهذه الغاية عينها . قال الرسول الحبيب : « ولهذا ظهر ابن الله ، لنقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨)

وهو ما يعلنه لنا بصريح العبارة القديس بولس فى رسالته إلى أهل كولسى ٢ : ١٣ — ١٥ قائلا : « وحين كنتم أمواتاً فى الزلات . . . أحياكم معه . . ومحا الصك ، الذى كان علينا بموجب الأقضية ، الذى كان لهلاكنا ، وأخذه من الوسط وسمرهُ فى الصليب ، وخلع الرئاسات والسلاطين — أسياد مملكة الظلام — وشهرهم بأبهة ظافراً عليهم فيه »

غير أن انتصار يسوع على الشيطان ، وعلى العالم حليف الشيطان ، فقد قال أيضاً فى يوحنا ١٦ : ٣٣ « ثقوا فانى قد غلبت العالم » ليس معناهُ أن الشيطان لايحاربنا الآن ، أو أنه لايستطيع أن يهاجمنا فى كل وقت .

ويعلمنا الواقع أن مثل هذه الحرب بين عناصر الشر وعناصر الخير ، ومبادىء يسوع المسيح القويمة من جهة ، ومبادىء العالم المعوجة من جهة أخرى ؛ وكذا الحرب بين أعوان إبليس والمؤمنين بنى الله ؛ والكنيسة من ناحية وقوات الجحيم من ناحية أخرى ، مازالت قائمة على قدم وساق لاتعرف هوادة .

على الدوام فى كرّ وفرّ ، تتقدم وتتأخر ، وقد تكاد قوات الواحد تلاشى الآخر ، فى هذا أو ذاك المكان ، من غير أن نستطيع أن نحكم فى كثير من الأحيان ، لمن النصر ، أهو للخير أم للشر ؟ !

ولكن ماهو أكيد ، أن النصر النهائى والأخير هو للخير لا للشر . والبقاء فى هذا النزاع ، كما فى كل نزاع ، هو للأقوى : ليسوع المسيح ومملكته التى لايكون لها انقضاء لأنها تدوم إلى الأبد .

أما من جهة المسيحى الذى يحارب فى معسكر المسيح وتحت لوائه ، فهو ولاشك فى حالة تفوق ظاهرة بالنسبة لأعدائه . وهذه الحالة تمكنه من التغلب عليهم بسهولة بقوة النعمة التى استحقها له المسيح المخلص ، الغالب الأقوى .

وغنى عن البيان أن النصر ، فى هذه الحرب الحامية الوطيس بين قوات الخير وعوامل الشر ، هو حليف من يجاهد إلى النهاية جنباً إلى جنب مع النعمة التى استحقها لنا المسيح . ولذلك فقد ختم يسوع مثل القوى والأقوى بقوله المشهور : « من ليس معى فهو على ، ومن لايجمع معى فهو يفرق » (لو ١١ : ٢٣)

وحيث إنهُ لاحدَّ وسط بين هذين الأمرين : إما مع يسوع ، وإما ضدهُ ، فلا يجوز لأحد مطلقاً أن يبقى على الحياد ، منتظراً النصر من السماء .

بل على تلميذ المسيح الحقيقى أن يعمل من جهته كل مافى طاقته لكسر شوكة العدو ، واستئصال شأفة الشر من العالم .

وباشتراكنا الفعال فى تحطيم قوات هذا العدو ، يضحى لنا حق وثيق فى الاشتراك مع قائد القواد الأعظم يسوع المسيح مخلصنا فى إقتسام الغنيمة .

الأحد الرابع من مسرى

نبوة يسوع عن خراب أورشليم

فصل من إنجيل متى ٢٤ : ١ — ٢٢

ثم خرج يسوع من الهيكل ومضى فتقدم تلاميذه ليروه بناء الهيكل. فأجاب وقال لهم أنظروا هذا كله. الحق أقول لكم إنه لايترك ههنا حجر على حجر إلا ينقض. وبينما هو جالس فى جبل الزيتون دنا إليه تلاميذه على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما علامة مجيئك ومنتهى الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم احذروا أن يضلكم أحد. لأن كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا المسيح ويضلون كثيرين. وستسمعون بحروب وبأخبار حروب. أنظروا لاتقلقوا فإنه لابد أن يكون هذا كله ولكن لايكون المنتهى إذ ذاك ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون أوبئة ومجاعات وزلازل فى أماكن شتى. وهذا كله أول المخاض. حينئذ يسلمونكم إلى الضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من كل الأمم لأجل اسمى. وحينئذ يشك كثيرون ويسلم بعضهم بعضاً ويمقت بعضهم بعضاً. ويقوم كثيرون من الأنبياء الكذبة ويضلون كثيرين. ولكثرة الإثم تبرد المحبة من الكثيرين ومن يصبر إلى المنتهى يخلص. وسيكرز بإنجيل الملكوت هذا فى جميع المسكونة شهادة لكل الأمم وحينئذ يأتى المنتهى. فمتى رأيتم رجاسة الخراب التى قيل عنها بدانيال النبى قائمة فى المكان المقدس. ليفهم القارىء. فحينئذ الذى فى اليهودية فليهرب إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ شيئاً من بيته. والذى فى الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه. الويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. صلوا لئلا يكون هربكم فى شتاء أو فى سبت. لأنه سيكون حينئذ ضيق شديد لم يكن مثله منذ أول العالم إلى الآن ولن يكون. ولولا أن تلك الأيام ستقصر لما كان يخلص ذو جسد لكن لأجل المختارين ستقصر تلك الأيام.

إن هذا الفصل وما يليه يحوى نبوتين للسيد المسيح، هما من أهم النبوات التى وردت فى الإنجيل. الأولى: وهى التى سيدور عليها كلامنا هنا، تنذر بخراب أورشليم، وقد تحققت سنين قليلة بعد قيامة الرب يسوع وصعوده إلى السماوات. أما الثانية: وهى تخص انقضاء العالم، فى الأيام الأخيرة، فلم تتحقق بعد.

وكان الوحى بالنبوتين بمناسبة حادث طريف، وهو: إن يسوع كان خارجاً من الهيكل، وإذا بالتلاميذ من حوله يلفتون نظره إلى فخامة هذا المعبد الفريد،

الذى كان بأروقته ، وأبوابه ، وأبراجه التى تناطح السماء ، المتقنة الصنع ؛ وماحوى من نفائس وتحف فنية نادرة ، أعجوبة من أعاجيب الزمان !

غير أن يسوع ، وهو الذى كان يعلم بما تتمخض عنه الأيام من حوادث جسام ، لم يشاركهم إعجابهم وإكبارهم .

وقد شاء أن يحذرهم من التمادى فى الأوهام ، فالتفت نحو الهيكل والمدينة وقال متنبأ : « أنظروا هذا كله ، الحق أقول لكم إنه لا يترك هنا حجر على حجر إلا ينقض »

لقد كانت دهشة التلاميذ عظيمة ، غير أن النبوة هى نبوة المعلم ، الذى يرى فى المستقبل كما فى الحاضر ، فلا شك إذن من تحقيق كلامه . ولكن متى سيكون ذلك : « قل لنا متى يكون هذا ، وما علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر »

ولم يجب يسوع تلاميذه على هذا السؤال الخاص ، بل شاء أن يعطيهم بعض التعاليم العامة ، التى يجب التمسك بها على الدوام ، ولاسيما فى آونة الضيق والشدة .

أهم هذه التعاليم هى : أن يكونوا دائماً على حذر من أهل الضلال والبدع ، الذين سيعلنون فى كل الأزمنة حرباً عواناً على البيعة المقدسة ، ببث تعاليمهم الفاسدة ودعواهم الزائغة عن الصواب .

عن هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين يدّعون أنهم ليسوع ومع يسوع ، وهم فى الواقع ضده وعلى طرفى نقيض من كنيسته وتعاليمها المقدسة . قال الرب : « إنهم سيأتونكم بلباس الحملان ، وهم فى الداخل ذئاب خاطفة »

ومن تعاليم الرب أن لا نضطرب لحادث ألبتة ، بل يجب أن نلازم الهدوء والسكينة على الدوام ، فلا الحروب ولا أخبارها ، ولا الزلازل والمجاعات وانتشار الأمراض والأوبئة يجب أن تزعجنا أو تفقدنا شيئاً من سلامنا الباطنى ، لأن وقوع مثل هذه الحوادث فى هذا العالم المضطرب والمملوء بالآثام ليست بالأمر الغريب . فكل هذه حسب تعليم الرب : « ينبغى أن تكون ، ولكن لم يأت المنتهى إذ ذاك »

كما ويجب على تلاميذ المسيح ألا يظنوا أن الاضطهاد الذى سوف يواجههم به أهل العالم، هو دليل قاطع على اقتراب النهاية. لأن الاضطهاد، وهو إحدى علامات المختارين الخاصة، سوف يرافقهم على الدوام، فى كل زمان ومكان، دون أن يكون ذلك نذيراً بالنهاية المحتومة وانقضاء الدهر.

فكما اضطهدوا الأنبياء من قبل سوف يضطهدونهم مُسيمين إياهم كل أنواع الخسف والنكال، بل والضيق والقتل. وكيف يكونون بمعزل عن الاضطهاد وقد إضطهدوا من قبل معلمهم الإلهى ؟!

ولذكرى اضطهاد التلاميذ تظهر أمام يسوع فى صورة بشعة جهنمية كل أنواع العذاب البربرية، والشراسة الوحشية التى بها سيكيل أركان هذا العالم الشرير، الاضطهاد لعروسه الكنيسة. فها « إنّ الأخ يُسلم أخاه، والأب ابنه، كما وتقوم الأبناء على آبائهم وتقتلهم، ولكثرة الإثم تبرد المحبة من كثيرين »

وكل ذلك بسبب المسيح، الذى وإن جعل خلاصاً للأمم جميعاً، فقد وضع أيضاً، بسبب قسوة القلوب، لهلاك كثيرين ! « فطوبى للتلميذ الذى — رغم كل اضطهاد — يصبر إلى المنتهى، فإنه يخلص »

عرض يسوع على تلاميذه هذه التعاليم الخلاصية، وأخذ يكشف لهم عما سيحل بالمدينة المقدسة من خراب ودمار، وعلامات مجيئه الثانى عند نهاية العالم.

العلامات الخاصة بدمار أورشليم

إن يسوع كان قد سبق وتنبأ عن دمار أورشليم بقوله الموجه إلى المدينة قاتلة الإله : « إنها ستأتى أيام يحيط بك فيها أعداؤك بمترسة ويحاصرونك ويضيقون عليك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر »

وهنا يحدد يسوع زمن هذه الحوادث مصرحاً : « وإذا رأيتم أورشليم قد أحاطت بها الجنود فاعلموا أن خرابها قد اقترب ». علامة أخرى تدل على اقتراب خراب المدينة هى قيام الرجاسة فى المكان المقدس أى الهيكل : « فمتى رأيتم رجاسة

الخراب التى قيل عنها بدانيال النبي قائمة فى المكان المقدس ليفهم القارىء أن نهاية المدينة قد اقتربت .

أما رجاسة الخراب التى تنبأ عنها النبى دانيال فى ٩ : ٢٧ ، وقد ذكرها المسيح هنا ، فتشير إلى دسائس الغيورين ، ولاسيما جرائم القتل التى ارتكبوها فى الهيكل(١) وعليه فمتى رأى تلاميذ المسيح هذه العلامات فليهجروا المدينة ، بل والذين فى اليهودية جميعاً فليهربوا إلى الجبال : « لأنه سيكون حينئذ ضيق شديد لم يكن مثله منذ أول العالم إلى الآن ولن يكون »

وإذ كان التلاميذ يلحون على يسوع بسؤالهم . « متى يكون هذا » أجابهم قائلاً : « الحق الحق أقول لكم إنه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله »

هذه هى النبوات التى تنبأ بها يسوع عن مصير أورشليم ، تحققت عن آخرها ، بشهادة كل التواريخ الكنسية والمدنية معاً . بين شهود التاريخ المدنى نخص بالذكر يوسيفس المؤرخ اليهودى الذائع الصيت ، الذى كتب بالتفصيل عن هذا الحادث الشهير فى تاريخه عن الأمة اليهودية .

وهاكم الآن بايجاز تلك الوقائع الأكثر شهرة التى صحبت هذا الحدث العظيم فى تاريخ العالم :

إنَّ حصار أورشليم الذى تنبأ عنه يسوع المسيح وانتهى بدمارها كان فى السنة السبعين للميلاد .

ففى تلك السنة حاصر المدينة أعظم جيش فى العالم ، جيش الرومانيين محاصرة كاملة ، انتهت بسقوطها وهلاك ما ينوف على المليون نفس من اليهود .

أما السبب القريب لهذا الدمار المريع ، فكان تمرد شعب اليهود على قوات الرومانيين المحتلة للبلاد ، فقد تآمروا معاً على طردهم بالقوة من البلاد ، ابتداءً من أورشليم العاصمة ، منتهزين لذلك فرصة تجمُّع يهود الشتات إخوتهم فى المدينة المقدسة للاحتفال بعيد الفصح !

---

(١) الغيورون هم طائفة من الثوار كانت تريد أن تدير دفة الحكم بالقوة أثناء حصار المدينة .

غير أنَّ انتقام الرومانيين لم يطل عليهم ، فقد بعثت الامبراطورية لمعاقبة الثوار ، جيشاً جراراً طوّق المدينة تطويقاً . فلم يمض على حصارها بضعة أشهر ، وقد كان اليهود يخرجون موتاهم كل يوم أفواجاً متقاطرة ، بسبب أزمة الجوع التى حلت بهم !

وكانت ثمة رقابة شديدة على كل أطراف المدينة ، بحيث إنَ كل مَن حاول الفرار ، كان يؤخذ ويصلب صلباً !

ويتكلم المؤرخون عن غابات من الصلبان ، قد أقامها الجيش المحاصر حول المدينة ! !

فمن لا يرى فى هذا النوع من الميتة المشينة ، التى لحقت بكثير من اليهود ، انتقام العدل الالهى ، وقد بلغ حد التهكم ؟ ! لأنَّ الله يضحك من أعدائه ، ويستهزىء بهم (مز ٢ : ٤)

هذه كانت نهاية ذلك الشعب الذى لم يخشَ أن يقول : « دمه علينا وعلى بنينا » (مت ٢٧ : ٢٥)

أخيراً تمكن الجيش من فتح ثغرة فى سور المدينة وصل بها إلى الهيكل ، فأشعل أحد الجنود النار فيه ، وذلك رغم أوامر طيطس القائد العام المشددة ، الذى كان يروم إنقاذه من الكارثة ، لأنه أعجوبة من أعاجيب فن الهندسة ! فدكه الجند إلى آخره ، وسلبوا كل ثمين فيه ، فلم يبق فيه حجر على حجر ، وبذلك تحققت نبوة السيد المسيح حرفياً !

لم تكن لتختلف عاقبة المدينة ، وقد هلك فيها كل السكان : الوطنيون والغرباء . أما البقية الباقية فوقعت فى الأسر ، وقد تبددت فى كل أنحاء المعمور إلى يومنا هذا !

هكذا كان عقاب المدينة والشعب الذى جحد يسوع رب المجد ، مخلص العالم . عقاب بالحقيقة هائل مريع ، ومع ذلك فهو ليس إلا صورة مصغرة ضئيلة للعقاب الأعظم ، المعد لأعداء يسوع وقديسيه فى آخر الأيام .

الأحد من شهر النسىء

نبوة يسوع عن انقضاء العالم

فصل من إنجيل متى ٢٤ : ٢٣ — ٤٤

حينئذ إن قال لكم أحد إن المسيح ههنا أو هناك فلا تصدقوا . فسيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون علامات عظيمة وعجائب حتى إنهم يضلون المختارين لو أمكن . هاءنذا تقدمت فقلت لكم . فإن قالوا لكم ها إنه فى البرية فلا تخرجوا أو ها إنه فى المخادع فلا تصدقوا . مثلما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب كذلك يكون مجىء ابن البشر . فإنه حيث تكون الجثة فهناك تجتمع النسور . وعلى أثر ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لايعطى ضوءه والكواكب تتساقط من السماء وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن البشر فى السماء وتنوح حينئذ جميع قبائل الأرض ويرون ابن البشر آتياً على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين . ويرسل ملائكته ببوق وصوت عظيم فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع من أقاصى السماوات إلى أقاصيها . من التينة تعلموا المثل فإنها إذا لانت أغصانها وأخرجت أوراقها علمتم أن الصيف قد دنا . كذلك أنتم إذا رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم إنه لايزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان وكلامى لايزول . فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكة السماوات إلا الآب وحده . وكما كانت أيام نوح كذلك يكون مجىء ابن البشر . لأنه كما كانوا قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى يوم دخل نوح التابوت . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وذهب بالجميع كذلك يكون مجىء ابن البشر . حينئذ يكون اثنان فى حقل فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . واثنتان تطحنان على رحى فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . فاسهروا إذن لأنكم لاتعلمون فى أية ساعة يأتى الرب . واعلموا هذا أنه لوعلم رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . فلذلك كونوا أنتم مستعدين لأنه يأتى ابن البشر فى ساعة لاتعلمونها .

إنَّ انقضاء العالم ، ومجىء السيد المسيح على الأرض مرة ثانية بنوع منظور ، ليدين الأحياء والأموات ، لن يكون إلا بعدما يبشر بالإنجيل فى كل أنحاء المعمور وتدخل الشعوب جميعها فى طاعة الإنجيل . وهو مايبدو لنا واضحاً من قول يسوع هذا : « وسيكرز بإنجيل الملكوت هذا فى جميع المسكونة ، شهادة لكل الأمم ، وحينئذ يأتى المنتهى »

أما من جهة اليوم ، الذى ستتم فيه هذه الأمور المزمع وقوعها ، فغير معروف . قال يسوع : « فأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلمها أحد ، ولا ملائكة السماوات إلا الآب وحده » (مت ٢٤ : ٣٦) وفى مرقس نقرأ : « ولا الابن إلا الآب » .

ومعنى هذه الآية الأخيرة ، كما لايخفى ، هو أنّ يسوع ابن الله لايعرف ذلك اليوم وتلك الساعة بمعرفة يليق الإفضاء بها . وهذا نوع من التعبير جائز استعماله لإخفاء حقيقة ما ، لا يليق الإباحة بها ، يعرف فى علم اللاهوت بالتقييد العقلى استخدمه يسوع هنا فى صالحنا الروحى ، لكى نكون دوماً ساهرين ، وعلى أتم ما يكون من الاستعداد لمواجهة ذلك اليوم وتلك الساعة بحياة كلها بر وقداسة .

لأننا إذا غضضنا النظر عن هذا التقييد العقلى ، الذى كانت له أسبابه المشروعة ، فان يسوع يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة ، لا باعتباره إلهاً فحسب ، مساوياً للآب فى الجوهر ، بل وباعتباره إنساناً أيضاً . لأن يسوع نفسه بصفته إلهاً وإنساناً معاً ، هو الذى سيدين الأحياء والأموات فى اليوم الأخير ، ومن غير المعقول أن الديان نفسه لا يعرف يوم الدين .

* * *

العلامات الخاصة بدمار العالم :

إن السيد المسيح بعدما بين لتلاميذه العلامات الخاصة بدمار أورشليم ، كشف لهم عن بعض العلامات الخاصة بانقضاء هذا الدهر . ولكن دون أن يجعل أى فاصل معين بين الحدثين . لأن خراب أورشليم فى نظر يسوع ، ملك كل الدهور ، ليس إلا صورة ورمزاً لدمار العالم النهائى .

ولذلك نجد أن بعض العلامات مشترك بين الحدثين ، كالاضطرابات واضطهاد المؤمنين ، وظهور الأنبياء الكذبة. مع هذا الفرق البيّن إن الحروب والاضطرابات والفوضى التى ستسود تلك الأيام الأخيرة ستكون عامة شاملة ، تغمر كل

الشعوب والممالك بطغيانها . كما ولا شك أن الأنبياء والمسحاء الكذبة الذين سيظهرون فى آخر الأيام سيكونون أعظم سلطاناً وبالتالى أعظم فتكا بالأمم. لأنهم سوف « يعطون علامات وعجائب لكى يضلوا المختارين أيضاً إن امكن» (مر١٣:٢٢)

عن هؤلاء الأنبياء والمسحاء الكذبة لا نعلم عنهم ، سوى أنهم سيكونون عصابة واحدة يرأسها المسيح الدجال ، غايتها تضليل العالم واضطهاد المؤمنين !

وها كم بعض ماكتبه الرسول بخصوص المسيح الدجال : « يا إخوة : لايخدعنكم أحد بوجه من الوجوه ، أن قد قرب يوم الرب ، لأنه لابد أن .. يظهر إنسان الخطيئة ، ابن الهلاك ، المعاند ، المترفع فوق كل مايدعى إلهاً . . . ويكون مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبالعلامات والعجائب الكاذبة » (٢ تس ٢ : ٣-٩)

علامة من أخص علامات انقضاء الدهر ماسيحدث من انقلاب مخيف فى نظام الطبيعة . قال يسوع : « وفى تلك الأيام بعد ذلك الضيق تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، وتتساقط كواكب السماء وتتزعزع القوات التى فى السماوات » . ويكون « كرب على الأرض للأمم ، حيرة من عجيج البحر وجيشانه ، وتزهق الناس من الخوف وانتظار ما يأتى على المسكونة » (لو ٢١ : ٢٥)

علامات إذن غير عادية سترافق تلك الأيام ، فى طاقة العالم والجاهل إدراكها وتمييزها عما سواها من حوادث . تحقيق وقوعها ينذر باقتراب النهاية . وعليه فلا عذر لأهل الضلال الذين سينخدعون ، هؤلاء الذين — على حدّ قول الرسول — لم يقبلوا محبة الحق ليخلصوا (٢ تس ٢ : ١٠)

مما تقدم يظهر أنّ انقضاء العالم ، وبالتالى يوم الدينونة العامة ما زال بعيداً ، وربما كان من الضرورى مرور ألوف السنين قبل أن يكون ذلك اليوم .

ومع ذلك ، فيجب القول إنّ ذلك اليوم ليوم محتوم ، لا بد للجميع من الظهور فيه لإعطاء الحساب . وعليه فلا شىء فى الدنيا يمكنه أن يعفينا من أن نأخذ من الآن ، فى الاستعداد لمواجهة ذلك اليوم ، يوم الحشر العظيم !

ومما لا شك فيه ، إن العالم ينتهى بالنسبة لكل إنسان يوم خروجه من هذا

العالم بالموت : ففى نفس اليوم ، بل وفى نفس الساعة ونفس اللحظة التى فيها تفارق النفس الجسد تظهر أمام الديان العادل لتعطى حساباً مدققاً عن كل أعمالها !

فإن وُجدت أهلاً للفردوس السماوى ، أُدخلت من فورها أفراح ربّها ؛ أما إذا وجدت فى حال الخطيئة المميتة فتزج لساعتها فى جهنم النار لتلقى عذاباً أبدياً. ويلقى بها فى سجن المطهر ، إلى ما شاء الله ، متى وجدت فى حال النعمة ، ولكن عليها بعض الديون للعدل الالهى ، لم تكفَّر عنها بالتمام فى الدنيا .

لذا فإن مصير الإنسان من حيث الخلاص أو الهلاك — ولا عبرة هنا للمطهر ، لأن صاحبه مهما طال عليه العقاب فهو على رجاء من الخلاص وخلاص أكيد — يثبتُ فيه بمجرد مفارقته الحياة ، دون انتظار الدينونة العامة ، التى لن تكون سوى مجرد إعلان لما قد تم فى الدينونة الخاصة ، التى كما سبق القول تتبع الموت فوراً !

وينبىء بدنو مجىء الرب واقتراب الدينونة ، ظهور الصليب ، فى أعالى السماء علامة ابن البشر الخاصة ، التى بها أكمل سر الفداء .

يظهر الصليب ، وتنوح كل قبائل الأرض : الأشرار تحسراً ولهفة ، وقد أضاعوا زمنهم فى الدنيا بالباطل ، والأخيار استبشاراً وسروراً لعلمهم بقرب افتقادهم . حينئذ « يرون ابن البشر — يسوع المسيح — آتياً على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين » تحيط به أجواق الملائكة القديسين ، صارخة فى أبواقها بصوت عظيم ، لجمع الشعوب كافة الأحياء والأموات للدينونة .

إن هذه الدينونة ، رغم دقتها ، ستتم فى وقت نسبى وجيز ، لأن الديان العادل سيميز الأخيار والأشرار بعضهم عن بعض ، بنفس السهولة والسرعة ، التى يميز بها الراعى الخراف عن الجداء !

يتبع الدينونة ، الحكم وتنفيذه . وهو سماء أبدى للصالحين ، وجهنم أبدية للطالحين .

ويختم يسوع نبواته هذه بقوله : « السماء والأرض تزولان ، وأما كلامى

فلا يزول » معلناً بذلك أن كل هذه النبوات سوف تتم جميعها فى أوانها المحدد لها.
لنسهرنَّ إذن ولنكونن على حذر لئلا يطبق علينا ذلك اليوم ونحن نيام : « اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت . وما أقوله لكم فللجميع أقوله . . اسهروا وصلوا فى كل حين ، لكى تستأهلوا أن تنجوا من جميع هذه المنتظر أن تكون ، وأن تقفوا بين يدى ابن البشر »

الأحد الخامس من الستة الأشهر الأولى

مثلا البرج والملك المحارب

(الإنجيل : أنظر الأحد الثالث من هاتور صفحة ٤٤)

إن سيدنا يسوع المسيح بعدما علمنا أننا لانستطيع أن نكون تلاميذ له ، مالم نحبه محبة سامية كلية ، فوق محبتنا لأعز المخلوقات كالأب والأم .. لا بل وفوق نفوسنا ذاتها ، ونكون مستعدين ، فى سبيل محبته لكل تضحية ، شاء أن يعلمنا بمثلى البرج والملك المحارب ، الثبات فى محبته ، وإتباعه إلى النفس الأخير .

وذلك بحمل صليبنا اليومى بصبر وأناة ، بل وبشجاعة عظيمة ، وإلا لحق بنا العار ، وأضحينا موضوع سخرية للناس أجمعين .

مثل البرج :

فى مثل البرج ، يعلمنا يسوع أنه من المحال أن نقوم بمهمة إتمام بناء برج الكمال المسيحى ، وهو برج شامخ ، كل حجر فيه ، فضيلة مسيحية مكتسبة بعناء كثير ، من غير أى إحتياطى ، والتزود بما لابد منه لبلوغ هذه الغاية النبيلة .

أما الاحتياطى الضرورى لبناء هذا البرج الأشم ، الذى يجب أن نضع على ذروته محبة الله ومسيحه ، فهو « النعمة » : النعمة المبررة كاساس لابد منه لكل عمل صالح يفيدنا للحياة الأبدية . والنعمة الفعلية كعضد من جهة الله لابد منه ، وإلا فعبثاً نحاول تجنب الشر وعمل الخير . فقد قال الرب يسوع : « بدونى لاتستطيعون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥)

وعلى الرغم من أن النعمة — الفعلية —[1] هى فى حد ذاتها قوة عظيمة جداً، فانها تضحى كلا شىء، مالم نتزود من جهتنا بعزم صادق وإرادة حاسمة على مقاومة كل أعدائنا وما يعوقنا عن إتمام بناء كمالنا الروحى.

وحيث إن مايعوقنا عادة عن المضى فى إتمام برج الكمال المذكور، هو حبنا المفرط للمخلوقات، وحبنا غير المرتب لأنفسنا، وهذه هى عين الفخاخ، التى ينصبها لنا العدو أى الشيطان لهلاكنا، فقد حثنا المسيح على انكار هذه المخلوقات كلها جمعاء، حتى الأعز لدينا كالأب والأم.. فيما لو اعترضت سبيلنا إلى الكمال.

كما وحثنا على الكفر بالذات، وهجر كل مافى العالم من مال وعقار ولذات فانية، قلما يكون قلبياً. قال: «إن كان أحد يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وبنيه وإخوته وأخواته، بل ونفسه أيضاً، فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً. ومن لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً. وكذلك كل واحد منكم، إن لم يرفض جميع أمواله، فلا يستطيع أن يكون لى تلميذاً»

مثل الملك المحارب:

أما مثل الملك المحارب، فيعلمنا أن المسيحى يجب أن يكون، على الدوام، مدججاً بأسلحة مختارى الله، ألا وهى الصلاة والسهر، وبالتالى على أهبة تامة لمنازلة كل أعدائه الروحيين والانتصار عليهم.

وما من شك فى أن المسيحى الساهر، الذى يلجأ دوماً إلى الصلاة، هو فى الحقيقة ملك قدير. إذ شاء فكل قوات الجحيم لاتستطيع أن تقوى عليه، لأن تحت يده وفى متناولها أسلحة قوية لا تغلب.

إن ماينقص المسيحى عادة هو الإرادة الصالحة، الإرادة القوية، الإرادة الحازمة، غير المترددة، التى تأخذ هذه الأسلحة القوية فتنزل الهزيمة بالعدو.

وعلى ذلك فالمسيحى الذى يتهاون فى الاستعداد للطوارىء ومحاربة عدوه

---

(١) إن النعم الفعلية « الضرورية للخلاص » يهبها الله لجميع الناس دون استثناء. لأنه تعالى يريد إرادة صادقة « أن جميع الناس يخلصون ويبلغون إلى معرفة الحق » (١ تى ٢ : ٤)

على الرغم من معرفته بضعفه الذاتى ، وقوة شكيمة العدو ، فهو أشبه مايكون بملك جاهل ، ليس لديه إلا عشرة آلاف محارب ، قبل أن يشاور نفسه ، يلقى برجاله فى معمعة الغوى ، ضد عدو جاء لمنازلته بعشرين ألف مقاتل !

فى المثل الآنف الذكر يتصرف تصرفاً حكيماً ذلك الملك الذى يطلب سلماً ، متى تحقق من ضعفه وقوة العـــدو ، وذلك تلافياً للخسارة وسفك الدماء دون جدوى .

بخلاف هذا يجب أن يكون تصرف المسيحى ، الذى لايجوز له فى حال من الأحوال ، أن يطلب مثل هذا السلم . إذ لاسلام ممكن ، على الإطلاق ، بين أبناء النور وأبناء الظلمة .

وعليه فالمسيحى الذى يترك الكفاح ، لأنه يريد أن يكون فى سلام مع عدوه ، فقد خسر المعركة مقدماً ، وأضحى أسيراً فى قبضة إبليس الحديدية ألدّ أعدائه .

ولا معذرة له فى ذلك ، لأن المسيحى كما سبق القول ، ملك مقتدر ، له فى نعمة الله القوة الكافية ، لقهر كل أعدائه والانتصار عليهم النصر المبين .

وختم يسوع المثلين بقوله هذا : « الملح جيد ، ولكن إذا فسد الملح ، فبماذا يملح . إنهُ لايصلح للأرض ولا للمزبلة ، بل يطرح خارجاً »

إن الملح هنا يرمز للحكمة . فملح جيد هو المسيحى الحكيم ، الذى يعمل بوصايا معلمه الإلهى . وملح فسد هو المسيحى الجاهل ، الذى لايعمل بهذه الوصايا . إن جهله هذا يجعله غير صالح ، لا للأرض أى السماء ، بتوبة نصوح تفرح الملائكة . ولا للمزبلة أى الأرض الدنيا ، فيفيد نفسه وبنى جنسه بأعماله الصالحة .

وحيث إنه قد أصبح عديم المنفعة ، لايصلح لشيء بتاتاً ، فهو يطرح خارجاً إلى الظلمة البرانية ، أى إنه يزج فى جهنم النار حيث البكاء وصريف الأسنان .

فتأمل وانظر إن كانت هذه استعداداتك ، وإلا فأنت مسيحى بالاسم فقط ، يخشى عليك كملح فسد ، أن تطرح خارجاً !

الأحد الخامس من الستة الأشهر الأخيرة

أعجوبة تكثير الخبز

(الإنجيل : أنظر الأحد الثالث من أبيب صفحة ١٨٥)

صنع يسوع هذه الأعجوبة ليعلمنا عملياً أن كل من يطلب باجتهاد الخبز الروحى، فيعطى له فضلا عن ذلك الخبز الضرورى لحفظ الجسد أيضاً .

وعلى ذلك فقد أوصانا قائلا : « أطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذا كله يزاد لكم » (مت ٦ : ٣٣) . أى ليطلب الإنسان قبل كل شىء ، وفوق كل شىء الحياة الأبدية ، ثم فليحيا حياة النعمة والبرارة التى تؤهله من الحصول على تلك الحياة والسعادة الخالدة ، وليتوكل بعد ذلك على الله مطمئناً ، على أتم مايكون من الثقة . . . فانه عز وجل لن يبخل عليه بشىء من ضروريات الجسد ومقتضيات الحياة الحاضرة .

ومن الواضح إنّ هذه الثقة والاعتماد على عناية الله ، والسعى قبل كل شىء لخلاص النفس ، ليس معناهُ إهمال بعض واجبات حالتنا الراهنة ، أو ماهو أدهى من ذلك ، تعاطى الخمول والكسل . إذ من البديهى أن من ترتب عليه أن يكون كاملا ، وجب عليه أن يقوم بكل واجباته ، وإن بدت بعض هذه الواجبات صغيرة بالقياس إلى غيرها . وأن يتحاشى كل مامن شأنه أن يعرض حياة النعمة لخطر الخسران . وليس هناك خطر على حياة النعمة أعظم من خطر البطالة والكسل وهما أصل كل الرذائل ، ولا سيما رذيلة الدنس .

ومن هذا الباب يظهر لكم ، كم هو جدّ خطير واجب العمل . تلك السنة والشريعة المقدسة ، التى فرضها الله على آدم ، وفى شخص آدم ، على كل الجنس البشرى ، عقاباً عن الخطيئة ، حيث قال : « بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أُخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود » (تك ٣ : ٩)

غير أن هذا العقاب العادل ، لم يكن فى قصد الله الحكيم مجرد عقاب ، بل وقبل كل شىء واسطة تكفير عن الخطايا ، وملجأ أميناً نعوذ به من شر البطالة ،

أكبر محرضات الرذيلة ، وعليه فالغنى كالفقير يجب أن يشتغل ، وليس بالضرورة لكسب المعيشة ، بل للقيام بهذا الواجب الخطير ، ألا وأعنى به واجب التكفير وهرباً من البطالة .

والعمل ضرورى من عدة وجوه ، منها : إنه يخفف من وطأة البؤس بين الطبقات الفقيرة ، ويفيدنا نشاطاً وترويحاً للنفس ، حتى لا نمل الحياة والقديس بولس يقول صراحة : « إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل » (٢ تس٣: ١٠)

وعليه يأكل بدون استحقاق ، ولو كان غنياً ، ويعد هارباً من الوصية ، كل من لا يجدّ ويشغل نفسه بما يلائمه من الشغل . إذ على الجميع كأعضاء أسرة واحدة ، ألا وهى الألفة البشرية ، أن يتعاونوا معاً ، كل على قدر طاقته ، للعمل على رفاهية المجتمع ، وبناء صرح حياة يسودها المحبة والوئام والحرية والسلام .

* * *

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا المقام ، إن الحياة الروحية أى حياة النعمة ، التى تتهددها عوامل الشر من الداخل والخارج تريد الفتك بها ، كحياة الجسد تحتاج إلى عناية وتغذية صالحة ، وإلا مااستطاعت التغلب على عوامل الشر المذكورة .

إنما حياة المسيحى على الأرض هى جهاد ، وجهاد مرير ، لا ضدّ اللحم والدم فحسب ، بل وضد الرئاسات والسلاطين وولاة هذا العالم عالم الظلمة والأرواح الشريرة فى السماوات (أف ٦ : ١٢)

وطبيعى أن النصر ، فى هذا الصراع الهائل ، هو حليف الأقوياء لا الضعفاء وغير الراسخين فى الفضيلة .

من هنا ضرورة السهر لئلا نقع فى التجربة ونخاخ العدو . والاهتمام بتغذية أرواحنا غذاءها الكافى لئلا تسقط وتخور .

إن الجسد الذى لا يأخذ نصيبه من الغذاء يصبح عرضة للمرض والموت ، كذلك النفس التى لا تأخذ كفايتها من الغذاء الروحى تذبل وتضوى ، لا بل وتموت لا محالة عن حياة النعمة .

وكما أن الجسد الذى لايتغذّى ، إلا بنوع معين من الطعام يعد مريضاً ، كذلك النفس التى لاتستعمل كل الأطعمة التى أعدت لتغذيتها تعد مريضة أيضاً

غذاء النفس هو : الصلاة والصوم ؛ ثم إماتة الحواس والأميال المنحرفة ؛ التعمق أكثر فأكثر فى معرفة كلمة الحق ، وعلى الخصوص التقدم من الأسرار المقدسة ، ولا سيما سر القربان الأقدس ، ذلك الخبز السماوى ، الذى تضمن كل لذّة ، والذى كانت ترمز اليه أعجوبة تكثير الخبز .

عيـــد النيروز

(رأس السنة القبطية)

يسوع يكرز بسنة الرب المقبولة

فصل من إنجيل لوقا ٤ : ١٤ — ٣٠

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل وذاع خبره فى جميع الناحية ، وكان يعلم فى مجامعهم ويمجد من الجميع . وأتى إلى الناصرة حيث نشأ ودخل كعادته إلى المجمع يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر أشعيا النبى . فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه . إن روح الرب على ولأجل ذلك مسحنى وأرسلنى لأبشر المساكين وأشفى منكسرى القلوب . وأنادى للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر وأطلق المهشمين إلى الخلاص وأكرز بسنة الرب المقبولة ويوم الجزاء . ثم طوى السفر ودفعه إلى الخادم وجلس وكانت عيون جميع الذين فى المجمع شاخصة إليه . فجعل يقول لهم اليوم تمت هذه الكتابة التى تليت على مسامعكم . وكان جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمة البارز من فيه ويقولون أليس هذا هو ابن يوسف . فقال لهم لاشك إنكم تقولون لى هذا المثل أيها الطبيب أشف نفسك. كل ما سمعنا أنك صنعته فى كفرناحوم اصنعه أيضاً ههنا فى وطنك . وقال لهم الحق أقول لكم إنه ليس نبى مقبولا فى وطنه . فى الحقيقة أقول لكم إن أرامل كثيرات كن فى اسرائيل فى أيام إيليا حين أغلقت السماء ثلاث سنين وستة أشهر وحدث جوع عظيم فى الأرض كلها . فلم يبعث إيليا إلى واحدة منهن إلا إلى صرفت صيدا إلى امرأة أرملة . وإن برصاً كثيرين كانوا فى اسرائيل فى عهد أليشع النبى ولم يطهر أحد منهم إلا نعمان السورى . فلما سمع هذا الذين فى المجمع امتلأوا كلهم غضباً . فقاموا وأخرجوه إلى خارج المدينة واقتادوه إلى قمة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه عنها . أما هو فجاز فى وسطهم ومضى .

وجاء يسوع إلى مدينة الناصرة حيث نشأ ليبشر مواطنيه ببشرى الخلاص واقتراب ملكوت السماوات منهم . وكان ذلك بعد أن ذاع صيته وخبر أعماله المجيدة فى جميع أنحاء الجليل .

غير أن أهل الناصرة لم يكرموا وفادته ولم يؤمنوا برسالته ، بل وأبدوا له معارضة شديدة ، لأنه لم يصنع فى مدينتهم ماصنع من عجائب فى المدن الأخرى .

فكانوا يقولون له بلهجة الساخر المستهزىء : أيها الطبيب أشف نفسك . كل ماسمعنا أنك صنعته فى كفر ناحوم اصنعه أيضاً ههنا فى وطنك .

وكانوا يشكون فيه بسبب نسبه ذى المظاهر المتواضعة ، فكانوا يقولون أليس هذا هو ابن النجار ؟ أليست أمه تسمى مريم ، وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أوَ ليست أخواته [1] كلهن عندنا ؟ فمن أين له هذا كله ؟

ومع ذلك فإن أعماله المجيدة ، والقوات التى كانت تجرى على يديه ، وحكمته الفائقة . . . كل هذه كانت تبهرهم ، فكان جميعهم يشهدون له ، ويتعجبون من كلام النعمة الخارج من فيه .

ولكن ما هذا الخلط والتناقض العجيب ؟ ! كلا ، إن يسوع لا يحابى ، إنما يطلب التواضع والإيمان ، فهو يسكب نعمته على المتواضع ، ولا يظهر قوته إلا لمن يتقرّب إليه بإيمان . إنكم أيها الناصريون ، لم تؤمنوا ولم تتواضعوا ، ثم تطلبون بعد ذلك أن يخصكم يسوع بعجائبه ؟ !

وما بالكم تشكون فيه ، ألأنكم رأيتموه صغيراً ثم شاباً يافعاً يحترف النجارة فى دكان يوسف النجار ؟ ترى هل فى الأمر ما ينافى هذه الحكمة التى أبهرتكم ، وتلك القدرة التى أعجبتم بها ؟

وكيف فاتكم أن هذه الأعمال المجيدة عينها ، وتلك الحكمة السامية ، ثم هذه القدرة والسيطرة التامة على المخلوقات كافة ، هى هى التى تدل على أرومة منبته وأصله الحقيقى ، وهى هى نفس العلامات التى سبق أن وصف بها الأنبياء المسيح المخلص ؟ !

* * *

(١) المراد هنا باخوة يسوع وأخواته بعض أقربائه . فقد كان من عادة اليهود أن يسموا أقرباءهم إخوة ، كما فى قول سيدنا ابراهيم للوط ابن أخيه : لا تكن خصومة بينى وبينك . انما نحن رجلان إخوان (تك ١٣ : ٨)

وكان يعقوب (وهو الصغير) ويهوذا ويوسى وسمعان وهم إخوة ، أبناء خالة يسوع ، فقد ذكر متى فى ٢٧ : ٥٦ أن بين المريمات اللواتى حضرن صلب المسيح كانت أيضاً مريم أم يعقوب ويوسى ، وهى ولاشك نفس مريم التى قال عنها يوحنا فى ١٩ : ٢٥ إنها امرأة كلوبا وأخت أم يسوع . هذا إذا فهمنا كلمة أخت بحصر المعنى .

ومن المصادفات العجيبة ، أو بالحرى كان بتدبير عناية الله أن يفتح يسوع السفر فى اجتماع السبت ليقرأ ، فإذا به تجاه نبوة أشعيا ٦١ : ١ — ٢ التى بها يعلن المسيح المخلص رسالته ، وهى :

« إن روح الرب علىَّ ، ولأجل ذلك مسحنى وأرسلنى لأبشر المساكين ، وأشفى منكسرى القلوب ، وأنادى للمأسورين بالتخلية ، وللعميان بالبصر ، وأطلق المهشمين إلى الخلاص . وأكرز بسنة الرب المقبولة ، ويوم الجزاء »

إن يسوع المسيح ، وهو الكاهن والنبى والملك ، مخلص العالم المنتظر ، لم يمسح بزيت أرضى كما كان يمسح الكهنة والأنبياء والملوك قديماً ، بل بمسحة روحية مسحه بها الآب الأزلى عندما أرسله إلى العالم ، ليبشر المساكين ، وهم كل من يحملون أوجاعهم بصبر وشجاعة مستسلمين لأمر ربهم ، ببشرى الخلاص والفداء .

ويشفى منكسرى القلوب ، الذين لوهنهم وضعفهم الفطرى لا يقوون على صنع الخير الذى يشتهونه . وينادى للمأسورين عبيد الخطيئة وعبيد شهواتهم أن زمن افتقادهم قد حان ، وأنهم بانقيادهم لأوامر المسيح المخلص يخلصون من عبوديتهم المشينة .

وينادى للعميان القلوب ، الذين لا يميزون بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، بالبصر ومشاهدة النور . ويطلق المهشمين ، الذين أسرهم إبليس ، إلى الخلاص وحرية أبناء الله .

وبالعموم ليكرز بسنة الرب المقبولة ، أى باقتراب زمن الرحمة والخلاص لجميع الناس ، أخياراً وأشراراً . ويكرز بيوم الجزاء ، وهو اليوم الذى سيهزم فيه يسوع فادينا الكريم كل أعدائنا الروحيين والجسديين ، دون استثناء الموت . بحيث لا يكون بعد موت ولا نوح ولا صراخ ولا وجع ، لأن ما كان سابقاً قد مضى (رؤ ٢١ : ٤)

ولكن الناصريين لم يفطنوا إلى هذه المصادفة والتدبير الإلهى . وحين أعلن لهم

يسوع أن هذه الآيات تنطبق عليه تماماً ، وبالتالى أنه المسيح المخلص ، بقوله لهم : « اليوم قد تمت هذه الكتابة التى تليت على مسامعكم » هاجوا وماجوا . لأنه كبر عندهم أن يكون ابن النجار المسيح مخلص العالم .

وحين فاتحهم معترضاً بقوله : « إنه ليس نبى مقبولا فى وطنه » وبالتالى أنه سيضع كل قدرته وحكمته فى خدمة غيرهم ، وأن نعمه الجزيلة سيسبغها على الغرباء دونهم ، هكذا كما فعل النبيان إيليا وأليشاع :

فإن الأول لما اشتدت أزمة الجوع فى وطنه بسبب القحط الذى اعترى البلاد ، مدة ثلاث سنين طوال وستة أشهر ، لم يبعث إلى أرامل اسرائيل ، بل إلى « صرفت صيدا » المدينة الوثنية ، لإغاثة امرأة أرملة غريبة ، كانت ولا شك ، أكثر استحقاقاً من هؤلاء .

أما أليشاع فإنه بالرغم من كثرة المصابين بمرض البرص فى إسرائيل ، فلم يمنح نعمة الشفاء إلا لنعمان السورى ، لأن هذا القائد الوثنى الغريب أظهر إيماناً أعظم من إيمان مواطنى النبى .

وإذ علموا بنيات يسوع ، وكيف أنه يفضل الغرباء عليهم ، استشاطوا غضباً ، وهبُّوا كأنهم رجل واحد ، وأمسكوا بتلابيبه ، ثم اقتادوه إلى أعلى قمة من الجبل ، الذى كانت تقوم عليه مدينتهم ليطرحوه إلى أسفل !

ولكنهم حين همُّوا بالقائه إلى الهوة السحيقة ، إذا بيسوع يمرّ وسطهم مرّ الكرام ، دون أن يستطيع أحد أن يعترض طريقه أو أن يمسّه بأذًى . وبذا فقد أعطاهم برهاناً ملموساً آخر عن قدرته وسيطرته التامة المطلقة على الأشياء والناس .

عصمة مريم من وصمة الخطيئة الأصلية

فصل من إنجيل لوقا ١ : ٢٦ ـ ٢٨

وفى الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة فى الجليل تسمى ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم . فلما دخل إليها الملاك قال السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت فى النساء .

إنَ عيد الحبل بلا دنس هو أحد الأعياد الكبرى ، الذى تحتفل به الكنيسة المقدسة بكل مظاهر الفرح والبهجة إكراماً للبتول والدة الإله ، التى حُبل بها دون دنس الخطيئة الأصلية . ولا نعنى بذلك أنَّ هذا الحبل الفريد لم يتم حسب أصول نواميس الطبيعة ، إنما نعنى فقط أنه قد تم دون أن تتدنس مريم ، مختارة الله وصفيته ، بدنس تلك الخطيئة الأصلية ، خطيئة آدم أصل كل الجنس البشرى .

تلك الخطيئة التى ، فيما عدا السيدة العذراء ، نولد جميعاً موصومين بوصمتها ، إذ كما يقول الرسول : « الجميع خطئوا فى آدم » (رو ٥ : ١٢)

وقد استثنى الله مريم من طوفان الخطيئة الأصلية لقصد رحيم بالبشرية ، فقد اصطفاها منذ الأزل لتكون أُماً لابنه الحبيب ، الكلمة المتجسد ، مخلص العالم . فمن أجل هذا الشرف السامى ، الذى يجعل من مريم أُماً حقيقية لله ، ونظراً لاستحقاقات المسيح المخلص ابنها ، أُوقفت مياه الخطيئة ، فعبرت مريم طاهرة نقية ، دون أن تمسَّها تلك المياه الملوثة القذرة بأذًى .

أجل ، إن بعض الأنبياء أمثال أشعيا وأرميا ويوحنا المعمدان قد بُرّروا

من جريرة الخطيئة الأصلية ، وهم ما زالوا فى بطون أمهاتهم ، ومن ثم فقد وُلدوا فى حال البرارة والقداسة .

لكن الميزة التى تفرّدت بها مريم أم المخلص ، دون سائر البشر ، هى إنها منذ أول لحظة من وجودها كانت طاهرة نقية من كل دنس خطيئة ، بل وممتلئة نعمة ، أكثر من آدم وحواء فى الفردوس الأرضى ، وأفضل من الملائكة قبل سقوط الأشرار منهم .

هذا بخلاف هؤلاء الأنبياء القديسين ، الذين وإن قدسوا فى أحشاء أمهاتهم فقد لزمتهم الخطيئة حيناً قبل تبريرهم . ومن ثم فقد ترتب على كل ذى جسد ، باستثناء العذراء والدة الإله ، أن يقر معترفاً مع النبى المرتل القائل : « إنى فى الإثم وفى الخطيئة حبلت بى أمى » (مز ٥٠ : ٧)

١ — شهادة الليتورجيا بعصمة مريم

واعتقاد الكنيسة هذا بعصمة مريم والدة الإله من جريرة الخطيئة الأصلية ، لايستند إلى وهم باطل ، بل إلى ما فصله الكتاب المقدّس من آيات بينات ، وإلى تعليم الآباء القديسين الواضح ، مما لا يترك للشك سبيلا .

هذا علاوة على ما جاء فى الكتب الطقسية ، ولاسيما فى كتب كنيستنا القبطية ، من صلوات وتماجيد خاصة بالعذراء ، نعتتها بأجمل النعوت والألقاب ، التى لايمكن تخصيصها بحال ، إلا بمن كانت منزهة حقاً من كل عيب ودنس خطيئة ، منذ أول لحظة من كيانها .

فهذه الكتب ، التى تعبر تعبيراً صادقاً عن اعتقاد الكنيسة الصحيح فى كل الأجيال ، ولاسيما الأولى منها ، لم تترك تشبيهاً يدل على نقاوة العذراء مريم وطهارتها ، إلا واستخدمته إعلاناً لبراءتها من كل دنس خطيئة ، وجمال نفسها الفريد .

فتارة تشبهها بالقبة التى هى قدس الأقداس ، وتارة أخرى بالتابوت المصفح بالذهب المصنوع من خشب غير قابل للفساد ، ومرة بالمجمرة أو المنارة الذهبية ،

ومرة أخرى بالحمامة الحسنة الكاملة الجمال ، إلى غير ذلك من تشابيه واستعارات لا شك فريدة فى نوعها ومغزاها .

ثم إن مريم بشهادة هذه الكتب ، هى الدائمة الطوبى ، البريئة من كل عيب ، خلاص آدم ، وتهليل حواء ، فخر إسرائيل ومجده ، بل وفرح الأجيال وفخر جنسنا . ثم هى المخلوقة التى ارتفعت أكثر من السماوات وكل المخلوقات ، فهى أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من الساروفيم .

لا جرم أن شهادة هذه الكتب هى من القوة والوضوح مما لا يحتاج معه إلى مزيد ، وان مثل هذه الشهادة تكفى وحدها لإفحام كل مكابر عنيد . لأنه كيف يعقل أن تلقب مريم بالدائمة الطوبى والبريئة من كل عيب ، وينسب إليها عيب من أفظع العيوب، ألا وهو عيب الخطيئة الأصلية ، التى بسببها يولد الإنسان مجرداً من النعمة المبررة وتحت اللعنة . ثم كيف يعقل أن تكون مريم أكرم من الشاروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من الساروفيم ، وقد كانت يوما عبدة ذليلة للشيطان الرجيم ولو إلى دقائق معدودات ؟ !

٢ – شهادة الكتاب المقدس ببرارة مريم :

غير أن اعتقاد الكنيسة بعصمة والدة الإله من الخطيئة الأصلية لا يستند إلى هذا التقليد الجدير بكل إجلال فحسب، بل وإلى آيات الكتاب المقدس، وأشهرها تلك الآية الشريفة التى يعد بها الله آدم وذريته بإرسال المسيح المخلص لفدائه .

ففى هذه الآية الكريمة يعلن الله صراحة ، أن المخلص ، وهو الذى سيسحق رأس إبليس سحقاً ، سيولد من امرأة تخالف كل بنى آدم وبناته ، لأنها لا تنتمى إلى حزب الشيطان ، بل وستكون عدوته الأولى ، لأنه تعالى سيميزها ، دون سائر البشر ، بخلقه إياها طاهرة نقية من كل دنس خطيئة .

ومثل هذا التفسير ليس بمستغرب إذا علمت أن الصداقة مع إبليس قوامها الخطيئة ، بعكس ذلك تنشأ وتقوم العداوة معه بالعصمة من الخطيئة . وحيث إن الآية تقول صراحة إن الله هو الذى سيقيم العداوة بين الحية أى إبليس ، وبين

مريم أم المخلص ، ينتج عن ذلك أن الله تعالى سيخلق مريم بريئة من دنس تلك الخطيئة الأصلية ، التي بسببها يحبل ويولد بنا أعداء لله وأصدقاء لإبليس اللعين .

وإليك الآن نص هذه الآية ، وفيها يهدد الله إبليس الحية القديمة بالدمار ، وأن نصره على الإنسانية لن يدوم طويلا . قال تعالى : « وأجعل عداوة بينك وبين المرأة (مريم) وبين نسلك (الخطيئة) ونسلها (نسل المرأة أى المسيح المخلص) فهو ، أى المسيح ، يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه » وذلك بتهييج اليهود عليه حتى صلبوه . (تك ٣ : ١٥)

هذه هى شهادة العهد القديم تعلن بجلاء ، وذلك منذ فجر الإنسانية ، بأن مريم أم المخلص الموعود هى بريئة من دنس الخطيئة الجدية منذ أول لحظة من كيانها .

أما العهد الجديد فينبأنا بأكثر من ذلك ، إذ يشهد بأن مريم منذ تلك اللحظة الأولى التى خلقها فيها الله ، لا أنها بريئة من كل دنس خطيئة فحسب ، بل وممتلئة نعمة أيضاً .

وقد جاءت هذه الشهادة على لسان جبرائيل ، وهو الملاك المرسل من قبل الله ليبشر مريم بالحبل الإلهى ، فقد حياها قائلا : « السلام عليك ، ياممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء » (لو ١ : ٢٨)

تحية هذه ولا شك فريدة فى معناها ومغزاها ، ولاسيما أنها الوحيدة من نوعها فى كل الكتاب المقدس . فهل فى هذه التحية والسلام الملائكى ما يشير ولو عن بعد ، إلى معنى الحصر أو التقييد ، بل أوَ ليس فيه بعكس ذلك كل معنى العموم والإطلاق ؟

بلى ، إنه كلام عام ولا يمكن تقييده بحال ، يعلن بصراحة وعلى وجه الإطلاق بأن مريم ممتلئة نعمة ، وأن الرب معها ، وأنها مباركة فى النساء .

وبناء عليه فان مريم هى ممتلئة نعمة لا فى زمن بعينه ، بل فى كل زمان ، وبالتالى منذ أول لحظة من كيانها . إذن فهى بريئة من جريرة خطيئة آدم . وحيث

إن الله مع مريم، وهو معها لا فى زمن معين بل على الدوام ، وبالتالى منذ اللحظة الأولى التى حُبل بها فى أحشاء والدتها القديسة حنة ،إذن فهى بريئة من دنس الخطيئة الجدية . وبما أنه تعالى ميزها على كل نساء العالمين فى كل شىء ، فهى المباركة فى النساء ، فقد ميزها عليهم أيضاً بأن خلقها معصومة من الخطيئة الأصلية .

٣ — صوت التقليد وشهادة الآباء

وإليك الآن شهادة بعض الآباء القديسين بصدد عصمة العذراء من الخطيئة الأصلية . قال القديس أغوسطينوس : « إن والدة المسيح قد استمرت عذراء لا فى جسدها فقط ، بل وفى روحها أيضاً .. فانها وإن اشتركت مع الجنس البشرى بالولادة المعتادة ، لم تشترك معهم فى الخطيئة » . وفى كتابه عن النعمة والطبيعة يقول: « إنه يلزم إقصاء كل خطيئة عن البتول مريم إجلالا لله ، لأننا نعلم أنها أعطيت من النعم لتنتصر على الخطيئة بكل أنواعها ، أكثر مما استحقت لتحبل وتلد من لا خطيئة فيه »

والقديس امبروذيوس يقول : « إن مريم العذراء كانت على الدوام رهناً للمسيح وخاصة به ، حتى وهى فى أحشاء أمها » وبالتالى فهى بشهادة هذا القديس العظيم أيضاً ، بريئة من الوصمة الأصلية فى كل حين . ويخاطبها القديس سابا قائلا: « أنت التى لم تعرف الخطيئة أبداً ، أنت رجاءى ، وليس أحد غيرك منزهاً عن الدنس ، أنت البريئة من كل خطيئة » وبالتالى من الخطيئة الأصلية أيضاً . وحيث إن الأطفال هم منزهون عن الخطيئة الفعلية ينتج عن قوله : « وليس أحد غيرك منزهاً عن الدنس » أن هذا القديس ، ينزهها لا عن دنس الخطيئة الفعلية فحسب ، بل وعن الأصلية أيضاً .

ويتساءل القديس كيرلس الاسكندرى قائلا : « هل يعقل أو هل سمع قط أن مهندساً يشيد منزلا لنفسه ثم يسلمه لعدوه لكى يكون أول من يمتلكه ويسكنه » وبذا فهو يشير إشارة واضحة إلى أن مريم، تلك المرأة التى أعدها الله المهندس الأعظم

لسكنى ابنه الحبيب مدة تسعة أشهر كاملة، لم تكن قط فى يوم من الأيام، مذخلقها تحت سلطة إبليس وفى أسره بسبب الخطيئة الأصلية.

ويدعو القديس اثناسيوس الرسولى مريم بلقب «حواء الجديدة أم الأحياء الحقيقة» ويحييها القديس باسيليوس الكبير قائلا: «السلام عليك يا وسيطة الصلح بين الله والبشر». وهذه أقوال يستدل منها ولا شك، على براءة مريم من دنس الخطيئة الأصلية، لأنه من غير المعقول أن تلد الأحياء بالروح من ماتت مرة بالروح، وأن تكون وسيطة الصلح من هى فى حاجة إلى مثل هذا الصلح.

ومن ثم فلا عجب أن نرى قداسة البابا بيوس التاسع، بناء على كل هذه البراهين والشواهد الإلهية والبشرية المتصله حلقاتها حتى الرسل، وبناء على تعليم عموم الآباء ومعلمى الكنيسة وعلمائها وأئمتها، وبناء على إجماع كلمة الشعب المسيحى شرقاً وغرباً، يعلن بسلطانه السامى المعصوم عن الغلط هذه الحقيقة كحقيقة إيمانية موحى بها.

وكان إعلان هذه الحقيقة الإيمانية فى اليوم الثامن من شهر ديسمبر سنة ١٨٥٤ فى براءته «الله الذى لا يوصف» حيث قال: «إن العذراء مريم كانت منذ أول دقيقة من الحبل بها معصومة من دنس الخطيئة، وذلك بانعام إلهى خاص نظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح ابنها فادى الجنس البشرى. وهو تعليم موحىً يلزم جميع المؤمنين أن يعتقدوا به بثبات»

ومن الطريف أن تؤيد البتول غير الدنسة هذه الحقيقة نفسها فى سنة ١٨٥٨، أى أربع سنوات من إعلان قداسة البابا لها، بظهورها بمدينة «لورد» بفرنسا للراعية الصغيرة برنرديت، معلنة بالعجائب الخارقة، التى مازالت تبذلها بسخاء حتى يومنا هذا، أنها حقيقة هى العذراء أمّ الله التى حبل بها دون دنس الخطيئة الأصلية.

وعلى ذلك نقول إن الفداء الذى عمّ البشرية كلها جمعاء، إذ كما يقول الرسول بولس إن يسوع المسيح «بذل نفسه فداء عن الجميع» (١تى ٢: ٦)، قد

شمل مريم أيضاً ، ولكن بنوع أشرف وأكمل . إذ بينما يبرر الناس جميعاً بعد السقوط فى الإثم والخطيئة ، بُررت مريم قبل السقوط فيهما . ومعنى ذلك أن سرّ الفداء كان لنا علاجاً ودواء ، فى حين أنه كان لمريم حماية ووقاية . وبذا كان لمريم أم المخلص الحظ الأكمل والنصيب الأوفر فى سر الفداء .

براءة مريم من كل خطيئة أصلية وفعلية :

وكما إن السيدة العذراء عصمت من الخطيئة الأصلية ، هكذا بانعام خاص عصمت من كل خطيئة فعلية أيضاً . ولهذا لم تعرف مريم الخطيئة قط ، ولم يوجد فيها عيب مطلقاً . حتى إن الروح القدس يصفها فى سفر نشيد الأناشيد قائلا : « كلك جميلة ياخليلتى ولا عيب فيك » (٤ : ٧)

غير أن مريم ليست بريئة من كل دنس خطيئة فقط ، بل وممتلئة نعمة أيضاً . فقد حباها الله بكل نعمة وموهبة صالحة مقدسة ، بحيث ، كما قال بعض الآباء ، إن الله تعالى مع أنه على كل شىء قدير ، لم يخلق ولن يخلق أعظم وأقدس من مريم .

ولا نرى فى هذا الرأى مبالغة ، لأن حكمة الله الأزلية تقضى بمنح مواهبها للخليقة بقدر ماتكون هذه أقرب إليه . والحال انه ليس هناك أقرب إليه من مريم ، وهى المرأة التى اختارها تعالى لتكون أماً له .

من أجل ذلك فقد رفعها تعالى فوق كل مافى السماوات وعلى الأرض ، بل وفوق كل طغمات الملائكة الأطهار وصفوف العلويين . فهى بحق ملكة السماء والأرض .

وهى بحق زينة البشرية التى تنتمى إليها ، وفخر جنسنا ، ومجد إسرائيل الروحى أى الكنيسة .

فيا للحكمة الإلهية ! بامرأة كان هلاكنا ، وبامرأة صار خلاصنا . بحواء خسرنا النعمة والحق فى الحياة الأبدية ، وبمريم ربحنا النعمة المفقودة وأُرجع لنا الحق فى تلك الحياة الأبدية . حواء أعطتنا من ثمرة المعصية المريرة ، وأما مريم فقد أعطتنا ثمرة بطنها اللذيذة ، يسوع المسيح مخلصنا !

* * *

إن مريم البريئة والمنزهة عن كل عيب ودنس خطيئة ، والممتلئة نعمة وقداسة ، كانت تزداد يوماً بعد يوم نعمة على نعمة ، وبراً على بر ، واستحقاقاً على استحقاق.. ونحن الذين حبل وولد بنا فى حال الخطيئة والإثم ، أنزداد يوماً بعد يوم شراً على شر ، وخطيئة على خطيئة ؟!

لا جرم أن عار خطيئة أصابنا لعظيم ، ولكن أعظم من هذا العار ، الذى لا ذنب لنا فيه ، هو أن نرتكب نحن أنفسنا الخطيئة ، جامعين هكذا عيباً على عيب وعاراً على عار .

ولكن ليست هذه إرادة الله فينا ، إنما إرادته تعالى هى أن نكون قديسين . قال تعالى : « إنى أنا الرب إلهكم فتقدسوا ، وكونوا قديسين فإنى أنا قدوس » (أح ١١ : ٤٤) . ويوصينا السيد المسيح قائلا : « كونوا كاملين كما أن أباكم السماوى هو كامل » (مت ٥ : ٤٨)

وليس معنى ذلك أنه فى استطاعتنا أن نرتقى كمالا غير متناه ، لا طاقة لنا به ، أو أن نكون قديسين فى درجة مساوية لقداسة الله جل جلاله ، وهذا محال . إنما المقصود هو أن نصور — فى دائرتنا المحدودة — أنفسنا على صورته تعالى ، وهو عين الكمال والقداسة التى يجب أن نصبو إليها بكل جوارح قلوبنا . إذ لابد لنا من أن يكون بيننا وبين أبينا السماوى بعض الشبه ، فندعوه عن جدارة واستحقاق : « أبا أيها الآب » (رو ٨ : ١٥)

بلا مراء ، إن مريم هى المخلوقة المختارة التى صوّرت فى ذاتها الصورة الإلهية على الوجه الأكمل . وعليه فهى فى هذا المضمار المثال الأعلى — بعد يسوع المسيح — الذى يجب أن نحذو حذوه ، ونقتفى آثاره للبلوغ إلى هدف الكمال المنشود .

ومن الجلى أن اقتداءنا بمريم وحرصنا على كسب الكمال والقداسة يؤهلاننا من أن نكون فى زمرة أبنائها الأحباء ، الذين تخصهم هذه الأم الرؤوم بشفاعتها المقتدرة . وهذا ولا شك ، أجمل تكريم نقدمه لقلبها الكلى الطهر والقداسة .

متعنا الله بجميل شفاعتها ، لها المجد والطوبى من الآن وإلى الأبد . أمين .

عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح

تسبحة الملائكة

فصل من إنجيل لوقا ٢ : ١ — ٢٠

وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب جميع المسكونة . وجرى هذا الاكتتاب الأول تحت ولاية كيرينيوس على سورية . فانطلق الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته . وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية مدينة داود التى تدعى بيت لحم لأنه كان من بيت داود ومن عشيرته . ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما كانا هناك تمت أيام ولادتها . فولدت ابنها البكر فلفته وأضجعته فى مذود لأنه لم يكن لهما موضع فى المنزل . وكان فى تلك الناحية رعاة يبيتون فى البادية يسهرون على رعيتهم فى هجعات الليل . وإذا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الله أشرق حولهم فخافوا خوفاً عظيماً . فقال لهم الملاك لا تخافوا فهآءنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . إنه قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح الرب فى مدينة داود . وهذه علامة لكم . إنكم تجدون طفلا ملفوفاً مضجعاً فى مزود . وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون . المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة . فلما انطلق الملائكة من عندهم إلى السماء قال الرعاة بعضهم لبعض لنمض إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذى أعلمنا به الرب . وجاءوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً فى المذود . فلما رأوه أخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى . فكل من سمعوا تعجبوا مما قال لهم الرعاة . وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتفكر به فى قلبها . ورجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم .

« المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

ها هى تسبحة جديدة سبّح بها الملائكة فى هدوء الليل وسكينته ، مازالت الكنيسة ترددها ، من جيل إلى جيل ، بفرح وتهليل عظيمين ، ذكرى لميلاد عروسها الإلهى ، يسوع المسيح مخلص العالم .

هذه الأنشودة التى أنشد بها الملائكة فى سماء بيت لحم ، مسبحين ومهللين ، تصف لنا واقع الحال بأفصح لسان .

فما من شك فى أن تجسد ابن الله هو أحد أعمال الله المجيدة ، الذى تجلت فيه

كل حكمته تعالى ومحبته السامية للبشر ، لا بل وهو أكمل أعماله على الإطلاق : فخر الخليقة وإكليل مجدها ، والحلقة الأخيرة التى تصلها بخالقها العظيم .

فمن المقرر الثابت ، أن الإنسان هو حلقة الاتصال بين الخلائق السفلية والعلوية، بين المادة والروح ، فقد حوى فى ذاته هذين العنصرين اللذين يتكون منهما ذلك الكون العظيم : المادة فى جسده والروح فى نفسه . وبذا فهو « عالم صغير » على حد تعبير الفلاسفة .

ومن المقرر الثابت أيضاً أن يسوع المسيح ابن الله المتجسد ، هو وليس هناك سواه ، الحلقة الأخيرة ، التى تصل سلسلة الخلائق بخالقها العظيم ، فقد جمع فى ذاته القدوسة باتحاد عجيب الطبيعتين الإلهية والإنسانية معاً .

وبذلك فقد أضحى يسوع ، وهو « بكر كل خلق » حسب كلمة الرسول البليغة ، الوسيط الطبيعى والأول بين كافة المخلوقات والله خالقها .

غير أن تجسد ابن الله ليس هو أكمل أعمال الله وذروة مجدها فحسب ، بل وهو أعظم ماصنعت يداه الرحيمتان من أجل البشر : فقد سُرَّ تعالى أن يكون تجسد ابنه هذا ، أعجوبة وخلاصة كل أعماله ، مبدأ خلاصنا أيضاً .

وكشف لنا يسوع عن هذه الحقيقة فى كلمة خالدة ، هى ولا ريب ، مفتاح الإنجيل ، بحيث من فهمها فقد فهم الإنجيل كله ، وكل من لم يفهمها فقد بات بالفشل. قال : « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد — الكلمة المتجسد — لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦)

والحال وقد تضمن ميلاد يسوع المسيح كل هذه الأمور العظيمة ، التى تمجد الله تمجيداً كاملا كلياً ، فقد حق للجند السماويين أن يرنموا متهللين أنشودة الفرح والتمجيد هذه قائلين : « المجد لله فى العلى »

وحيث إن تجسد ابن الله وظهوره كبشر مثلنا هو أيضاً سرّ سلام لنا ، فقد أردف الملائكة على قولهم « المجد لله فى العلى » هذه البشرى قائلين « وعلى الأرض السلام »

وهذا السلام الذى جاء يسوع لينشر لواءه فى العالم ، ويشرك فيه كل من يؤمن به ، لا يختلف فى جوهره عن السلام الذى كنا فقدناهُ بسبب الخطيئة . إذن فهو السلام الناتج عن ضمير صالح ، فى كل نفس تكون فى حالة النعمة والبرارة تتمتع بالبنوة الإلهية . لأن الذين قبلوا يسوع فقد « أعطى لهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله ، للذين يؤمنون باسمه » (يو ١ : ١٢)

ولا شك مطلقاً فى مقدرة يسوع على رد هذا السلام لنا ، وهو الوسيط الأول وشفيعنا الأعظم، الذى به تتم مصالحتنا مع الله ، والمعلم الإلهى الذى يرشدنا إلى طريق البر والاستقامة ، وهما شرطان أساسيان للاشتراك فى سلامه السعيد . ذلك السلام الذى لا يعرف جزعاً ولا اضطراباً . بل والذى يضع الإنسان فى حالة ثابتة من الهدوء والطمأنينة ، هى كل ما يمكن أن يصبو إليه المسيحى هنا فى دار الغربة .

ثم إن ظهور يسوع ملك السلام بين الناس هو موضوع سرور ومسرة ، وأى سرور وأية مسرة ، فقد استحق لنا بتجسده النعمة ، والحق فى وراثة الملكوت السماوى .

وقد تنازل ابن الله ولبس طبيعتنا ليرفعنا إليه . وقد رفعنا إلى درجة سامية ، ما كانت لتخطر على قلب بشر ، إلى درجة أبناء الله : « أنظروا أية محبة منحنا الآب حتى ندعى ونكون أبناء الله » (١ يو ٣ : ١)

وعليه فقد حق للملائكة أن يسبحوا الله قائلين : « المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

أجل ، إن سر تجسد وميلاد الرب يسوع هو سر سلام ومسرة للناس كافة ، لأننا بيسوع المسيح نلنا النعمة وكل موهبة صالحة ، بحيث لا توجد نعمة واحدة ، سواء أكانت روحية أم جسدية ، إلا وتعطى لنا بيسوع المسيح فادى البشر .

ومع ذلك نقول إنا لا نستطيع أن نشترك اشتراكا فعالا فى السلام والمسرة اللذين جاء بهما المسيح المخلص ، مالم نكن من الناس أصحاب السيرة والسريرة

الطاهرة النقية . إذ أن معنى « فى الناس المسرة » حسب تفسير أكثر الآباء القديسين ، هم الناس أصحاب النية السليمة والإرادة الصالحة المستقيمة ، الذين يقصدون الخير ويجدون فى طلبه .

لنعملن إذن لنكون فى جملة هذه النفوس صاحبة النية الحسنة السليمة والإرادة الصالحة المستقيمة . ولنتعلمن من الطفل الإلهى الوداعة والتواضع ، والازدراء بخيرات هذا العالم الزائلة .

فنجنى بذلك ثمار النعم والمواهب الجليلة ، التى استحقها لنا يسوع المسيح بتجسده وميلاده ، ولاسيما موهبة السلام التى لا تثمن بثمن ، تلك الموهبة بداية وعربون ذلك السلام السعيد الأبدى ، الذى أعده الله لمحبيه الأمناء فى الحياة الآخرة . « المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

اسم يسوع

فصل من إنجيل لوقا ٢ : ٢١
ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الصبي ، سمي يسوع كما سماه
الملاك قبل أن يحبل به في البطن .

اسم يسوع هو ذلك الاسم الذي يفوق كل اسم ، حتى إن لاسم يسوع تجثو كل ركبة ، مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض (في ٢ : ٩ — ١٠). كيف لا ؟ وهو الاسم الذي إنطوى على كل معاني العظمة والقداسة والجلال ، التي تحيط بشخص المسيح المخلص ، هذا الذي أنبأ عنه جبرائيل قائلا : إنه « سيكون عظيماً وابن العلي يدعى . وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ، ويملك على آل يعقوب — الروحي أي الكنيسة — إلى الأبد . ولا يكون لملكه إنقضاء » (لو ١ : ٣٢ و ٣٣)

فإلى معاني العظمة والجلال هذه ، بل وإلى ألوهية المسيح الفادي يشير إشارة واضحة صريحة اسم « يسوع » الذي تفسيره « الإله المخلص » . وبذا فهو يعبر تعبيراً صادقاً عن عظمة حامله ، ورسالته الفدائية في العالم .

وكفى اسم يسوع عظمة ، إنه أضحى بعد موت الفادي وقيامته المجيدة ، عنوان حياة ، ورمز خلاص للبشرية قاطبة . وهو ما يعلنه لنا الرسول بطرس بقوله : « لأنه ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس ، به ينبغي أن نخلص » (أع ٤:١٢)

لا جرم ، أن بين أسماء الرجال أسماء لامعة تبهر الأبصار . بيد أن كل أسماء العظماء ، بل والأنبياء والقديسين معاً ، لا تكاد تذكر بإزاء اسم يسوع المسيح « ضياء مجد الله الآب وصورة جوهره » (عب ١ : ٣)

وعليه فان اسم يسوع يشير إلى أسمى عظمة ، يمكن العقل أن يتصورها ، ألا وأعني بها عظمة الإله المتأنس ، الذي تدعوه الكتب : الإله القدير الجبار ، الذي به كل شيء كان ، وبدونه لم يكن شيء مما كون ؛ نور العالم ومبدىء الحياة ، الصديق

الذى لم يوجد فى فمه مكر ولا غش ؛ حمل الله الحامل خطايا العالم . . . عمانوئيل الذى تفسيره الرب معنا ؛ المدبر الذى يرعى شعب اسرائيل ؛ الألف والياء ، البداية والنهاية .

هذا وقد حوى اسم يسوع ، فى ملخص عجيب كل الأمور العظيمة ، التى صنعها هذا الفادى الكريم فى سبيل خلاصنا : فهذه الاضطهادات وتلك الآلام المروعة التى احتملها من بيت لحم حتى الجلجة ، حيث مات معلقاً على خشبة العار ، لينقذنا من عار عبودية إبليس ويستحق لنا السماء .

ثم هذه الآيات البينات والمعجزات الباهرات ، التى أظهر بها يسوع سلطانه المطلق على المخلوقات كافة ، لا بل وعلى الحياة والموت أيضاً . ثم هذه التعاليم السماوية التى لم يسبقه إليها فيلسوف ولا نبى . وتلك الآداب السامية وما كان لها من أثر محسوس فى تقدم المجتمع وتوجيهه الوجهة الصحيحة نحو الرقى والعمران وحب الفضيلة وقوة الأخلاق . كل هذه يذكرنا بها اسم يسوع ، الاسم الذى تضمن كل لذة ، والذى لم يخشَ القديس برناردوس أن يصفه بأنه : شهد على الشفتين ، وموسيقى شجية فى الآذان ، وطرب وبهجة للقلوب النقية .

إذن فما اسم يسوع ، ذلك الاسم العجيب والمحبوب للغاية سوى خلاصة كل ما هو عظيم وجميل . وكامل وقدير . وبالتالى فهو الاسم الذى « يفوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماوات وعلى الأرض وتحت الأرض » (فى ٢ : ٩ و ١٠)

* * *

وإن فاتتنا أشياء ، فلا يجب أن يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام ، ما لهذا الاسم العجيب من قوة خارقة فى السماوات وعلى الأرض ، وفى الجحيم تحت الأرض .

أما فى السماء فان مجرد ذكر اسم يسوع ، يزيد الملائكة والقديسين غبطة على غبطة وسروراً على سرور : فقد استحق يسوع للفريق الأول علاوة فى المجد ، ولفريق القديسين الخلاص وكل ما يتمتعون به من سعادة ونعيم .

ثم إننا باسم يسوع يمكننا أن نسأل السماء كل ما نحتاج إليه من نعم بثقة

مطلقة فنستجاب : « فكل ماتسألون الآب باسمى فأنا أفعله ليتمجد الآب فى الابن » (يو ١٤: ١٣) . ذلك إن كرامة يسوع ابن الله بالطبيعة هى ، دون جدال ، فوق كل كرامة ، وعليه فمهما سألنا بحق هذا الاسم فاننا نناله بكل تأكيد ومن أقرب الطرق .

أما قوة اسم يسوع على الأرض فهى ، ولا شك ، أعظم قوة تعمل لبناء الإنسانية وخيرها لا الروحى فحسب ، بل والجسدى أيضاً . فكم من خروف ضال وجد باسم يسوع النور والهدى ؛ وكم من نفس معذبة وجدت فيه التعزية والبلسم الشافى لكلومها ! كيف لا ؟ وهو الاسم الذى تنعته كتبنا الطقسية بأنه : « حياتنا كلنا ، وخلاصنا كلنا ، ورجاؤنا كلنا ، وشفاؤنا كلنا ، وقيامتنا كلنا » (١)

ثم إننا باسم يسوع يمكننا أن ننتصر دوماً على الشيطان وكل تجاربه المضلة . إذ يكفى أن نذكر بثقة وإيمان هذا الاسم ليهرب المجرب وتبيد كافة أباطيله .

وإليك الآن خبر أول أعجوبة صنعت بقوة اسم يسوع كما دونها سفر الأعمال « كان رجل أعرج من بطن أمه ... عند باب الهيكل .. فلما رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلا الهيكل سألهما صدقة . فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال أنظر إلينا ، فاصغى إليهما مؤملا أن يأخذ منهما شيئاً . فقال بطرس ليس لى ذهب ولا فضة ، ولكن أعطيك ما عندى . باسم يسوع المسيح الناصرى قم وأمشِ . وأمسكه بيده اليمنى وأنهضه ، ففى الحال تشددت ساقاه ورجلاه ، فوثب وطفق يمشى ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشى ويثب ويسبح الله » (أع ٣ : ٢ — ٨)

والآن وقد ظهرت لنا صفات اسم يسوع الإلهية ، علينا بإكرام ومحبة هذا الاسم المسجود له . ولندعه بكل ثقة وإيمان حى ، عاملين بوصية الرسول القائل : « ومهما أخذتم فيه من قول أو فعل ، فليكن الكل باسم الرب يسوع المسيح شاكرين الله الآب » (كو ٣ : ١٧)

ولاسم يسوع العجيب فى عظمته ، والمسجود له فى قوته ، المجد والكرامة من الآن وإلى الأبد : آمين .

---

(١) صلاة أوشية الإنجيل .

عيد الغطاس

(الظهور الإلهى)

عماد سيدنا يسوع المسيح

فصل من إنجيل يوحنا ١ : ١٨ — ٣٤

الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو أخبر . وهذه هى شهادة يوحنا إذ أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت . فاعترف ولم ينكر واعترف إنى لست المسيح . فسألوه إذن ماذا أإيليا أنت فقال لست إياه . ألنبى أنت أجاب كلا . فقالوا له فمن أنت لنرد الجواب على الذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك . فقال أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبى . وكان المرسلون من الفريسيين . فسألوه وقالوا له فلم تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى . أجابهم يوحنا وقال أنا أعمد بالماء ولكن بينكم من لستم تعرفونه . هو الذى يأتى بعدى وقد جعل قبلى الذى أنا لا أستحق أن أحل سير حذائه . وكان ذلك فى بيت عنيا فى عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد . وفى الغد رأى يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم . هذا هو الذى قلت عنه إنه يأتى بعدى رجل قد جعل قبلى لأنه أقدم منى . وأنا لم أكن أعرفه لكن لكى يظهر لإسرائيل جئت أنا أعمد بالماء . وشهد يوحنا قائلا إنى رأيت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء واستقر عليه . وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو قال لى إن الذى ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذى يعمد بالروح القدس . وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله .

لكل عيد عبرة وتعليم .

أما عبرة عيد الغطاس ، ذكرى عماد السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان فى نهر الأردن ، فهى ولا شك ، عبرة وتعليم التواضع الذى ليس بعده تواضع .

أجل ، إن سيدنا يسوع يعلمنا فضيلة التواضع هذه ، منذ أول لحظة من دخوله العالم ، وذلك بتجسده فى الحشا البتولى ، وكان فى إمكانه أن يدخل العالم كآدم الأول مثلا كامل السن والقامة .

ويعلمنا هذه الفضيلة باختياره حالة الفقر المدقع ، لا فى ميلاده فحسب — فقد

رأى النور فى مغارة حقيرة ، وكان مهده قليلا من التبن فى مزود للبقر — بل وطوال حياته أيضاً ، بحيث لم يكن له حجر يسند إليه رأسه .

ويعلمنا هذه الفضيلة عينها ، بقبوله أن ينسب إليه الضعف ، بهربه أمام أعدائه ومضطهديه فى بعض المناسبات ، ولاسيما وهو طفل بعد ، إلى أرض مصر إتقاء شر الطاغية هيرودس .

وقد تواضع فى الناصرة مدة ثلاثين سنة بخضوعه التام للقديس يوسف ومريم أمه كمرؤوس لهما ، هو سيدهما وخالقهما ! كما أن احترافه مهنة النجارة المتواضعة طوال هذه المدة ، كان لتعليمنا فضيلة التواضع الغالية .

غير أن أعظم مثل تواضع يقدمه لنا يسوع ، فهو من غير جدال ، عندما أتى من الناصرة إلى ضفاف الأردن ، وكان عمره إذاك ثلاثين سنة ، وطلب من يوحنا أن يعمده كأى خاطىء آخر . وهنا ولاشك منتهى الدعة والتواضع .

لأنه كيف يتواضع من هو القداسة بالذات إلى هذا الدرك من الضعة ، فيجعل نفسه فى مصاف الخطأة ، فيطلب معمودية التوبة كالمحتاج إلى تطهير ؟ ! ولذا فلاعجب أن يجزع يوحنا عندما يتقدم يسوع إليه بهذا الطلب الغريب ، ويمانع بشدة فى ذلك قائلا : « أنا المحتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى إلى » ؟ !

وقد طلب يسوع أن يعمد من يوحنا لاليظهر اعتباره لمعمودية سابقه فحسب ، التى كانت ترمز إلى معمودية الروح القدس التى كان المخلص مزمعاً تأسيسها ، بل وليزيد من سلطان يوحنا فى نظر اليهود ، وليحثّ الجميع بمثله خطاة وأبراراً على التوبة وانسحاق القلب .

كما وشاء لاسمه السجود أن يحصى بين الأثمة والخطاة ليشير إلى أنه حمل الله الحامل خطايا العالم . الحمل الحقيقى الذى لابد له من أن يكفر عن خطايا العالم جميعها كأنها خطاياهُ الشخصية . هذا هو معنى جواب يسوع على تمنع يوحنا : « دع الآن فهكذا ينبغى لنا (أنا بقبولى المعمودية ، وأنت بتعميدى) أن نتم كل بر »

وهنا غطس يسوع فى الأردن فعمده يوحنا مضطراً غير مختار . وكان من

نتيجة تواضع يسوع أن تقدست المياه بملامسة جسده الطاهر ، وأضحى لها قوة منح الميلاد الجديد الروحى فى المعمودية المسيحية المقدسة . التى كما إرتأى كثير من الآباء ، ولاسيما الشرقيون منهم ، والمجمع التريدنتى المقدس ، تمَّ تأسيسها فى تلك اللحظة المباركة .

وحدث بعد صعود السيد المسيح من الماء ، وفيما هو يصلى أن انفتحت له السماوات فرأى هو ويوحنا واليهود الحاضرون ، روح الله فى صورة جسمية نازلا مثل حمامة وحالا عليه . وإذا صوت من السماء قائلا : « أنت ابنى الحبيب ، بك سررت »

قوة الصلاة المقرونة بالتواضع :

وهنا خليق بك أيها القارىء الحبيب ، أن تتأمل قليلا عظمة تلك الصلاة المقرونة بالتواضع . فهذه الرؤية الفريدة ، وهذا الظهور الإلهى العجيب ، كانا ولا شك ، أجمل رد للسماء على قبول هذه الصلاة الصادرة عن قلب وديع ومتواضع حقاً ، قلب فادينا العظيم .

تواضع يسوع فمجده الآب بمجد لا يسامى ، إذ أعلنه من السماء للملأ أنه ابنه الحبيب ، موضوع سروره . وصلى بتذلل فقبلت صلاته بالرضى . وقد أبدت السماء رضاها هذا بانجلائها عن أعظم وأبدع ، وأجل وأروع مشاهدها ، ألا وهو مشهد تجلى الثالوث الكلى القداسة !

هكذا أنت أيها الأخ الحبيب ، فإنك إن وضعت نفسك ، فسوف يمجدك الآب السماوى بمجد لايفنى ولا يبلى « لأن كل من وضع نفسه ارتفع » . ويجب أن تكون على أتم مايكون من الثقة من أن صلاتك ستحظى بالقبول والرضوان متى كانت مصحوبة بروح التواضع .

قلنا إن يسوع بقبوله معمودية يوحنا التى كانت للتوبة ، قد وضع نفسه فى مصاف الخطاة ، مقدماً ذاته عن طيبة خاطر ، ذبيحة عن خطايا البشر كافة ، ولذا فلا عجب ، أن تظهر مفاعيل ذبيحته هذه الخلاصية ، بافتتاح تلك السماوات التى

ظلت مغلقة فى وجه الإنسان منذ السقطة الأولى فى الفردوس الأرضى. أما حلول الروح القدس على يسوع ، تحت شكل حمامة ، فيشير إلى ذلك السلام الذى جاء به المخلص للإنسانية ، وبالتالى إلى تلك المصالحة التى ستتم على يديه بين الله والبشر .

ومن المحقق أن حلول الروح القدس عليه ، لم يكن لحاجته إلى بر وتقديس ، وهو المملوء نعمة وحقاً منذ أول لحظة من كيانه كإنسان ، بل لإظهاره للملأ أنه المسيح المخلص ابن الله ، كما تنبأت عنه الكتب ، ولاسيما سفر المزامير . وعلى ذلك فقد شهد المعمدان قائلا بصراحة : « وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو قال لى : إن الذى ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذى يعمد بالروح القدس »

وقد أيد الآب الأزلى من السماء شهادة الروح القدس هذه بقوله ليسوع بصوت واضح سمعه جميع الحاضرين . « أنت ابنى الحبيب ، بك سررت » . وهو قول يستفاد منه أن يسوع هو ابن الله حقيقة ، لا بالتبنى مثلنا بل بالطبيعة ، لأنه يحمل فى ذاته طبيعة اللاهوت ، التى تجعل منه صورة جوهرية لأبيه السماوى ، الذى يرى فيه صلاحه وكل كمالاته . من أجل ذلك فهو موضوع حبه وسعادته « أنت ابنى الحبيب ، بك سررت »

ظهور الثالوث الأقدس :

ويسمى عيد الغطاس بعيد الظهور الإلهى ، لأن فى مثل هذا اليوم المبارك ظهر الله للبشر بجلاء عظيم ، معلناً لهم عن حقيقة وجوده وسر كيانه كإله واحد فى ثلاثة أقانيم متميزين : آب وابن وروح قدس . ذلك السرّ الذى وإن فاق إدراك طور كل عقل مخلوق ، فهو مع ذلك حقيقة أكيدة . شاء الله فى رحمته غير المتناهية أن يوحيها لنا بطريقة محسوسة ملموسة ، لا يمكن أن يتطرق الشك إليها . وكان ذلك لأول مرة فى تاريخ البشرية ، بمناسبة ظهور يسوع للعالم منذراً ومبشراً بإنجيل الخلاص .

أما الآب فقد أظهر نفسه باعلانه من السماء بصوت واضح جهورى أن يسوع هو ابنه قائلا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

أما الابن فهو الذى عمده يوحنا كإنسان فى الأردن ، وقد شهد له الآب إنه ابنه الحبيب وموضوع مسراته ، وقد شهد له يوحنا بعد هذه الرؤية قائلا : « وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله »

أما الروح القدس ، وهو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، فقد أظهر نفسه بنزوله من السماء وحلوله على يسوع تحت شكل حمامة رآها يوحنا وكل الحاضرين . وليس من الغريب أن يأخذ الروح القدس شكل حمامة ، وقد جاء فى سفر التكوين : « وروح الله (كان) يرفرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢)

ويشير ظهور الثالوث الأقدس فى معمودية سيدنا يسوع المسيح ، أن المعمودية التى أسسها بنزوله مياه الأردن سوف تمنح للمؤمنين باسم الثالوث الأقدس : الآب والابن والروح القدس .

ومن تعاليم الإيمان المعزية أن نفس الظهور الإلهى ، الذى تمَّ عند عماد يسوع فى نهر الأردن ، يتجدد ولو بطريقة غير منظورة عند عماد كل مؤمن بالمسيح . فهذه النفس المؤمنة تصبح بعد المعمودية هيكلا حياً للروح القدس ، وابنة للعلى ، وأختاً للسيد المسيح ، لها الحق فى ميراث الحياة الأبدية .

* * *

إننا لانعرف إلا القليل عن حياة يسوع فى الناصرة ، ولكننا نعرف أنه بعد معموديته على يد المعمدان ، بدأ حياة جديدة : فقد ترك تلك العزلة التى دامت ثلاثين عاماً ، وظهر للعالم ينذر بالإنجيل ويبشر باقتراب الملكوت . وكان يصوم ويصلى كثيراً ، فيقضى الليالى الطوال فى مناجاة أبيه السماوى ، ويعمل بجد وغيرة نادرتين على خلاص النفوس ومجد الله العظيم .

على مثال السيد المسيح يجب على المسيحى الذى اعتمد بمعمودية المسيح أن يموت على الماضى ، ويبدأ حياة جديدة ، فيخلع الانسان العتيق مع أعماله ، ويلبس

الجديد ، الذى يتجدد فى البر والقداسة على صورة خالقه .

ثم يجب عليه أن يعمل بجد ونشاط لخلاص نفسه وخلاص القريب ، وذلك بممارسته الفضائل المسيحية كلها جمعاء ، ولاسيما الوداعة والتواضع والغيرة على مجد الله ، مقتفياً فى ذلك آثار معلمه وفاديه الإلهى يسوع المسيح ، الذى مع الآب والروح القدس يليق به كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد .

عيد دخول المسيح الهيكل

تطهير السيدة العذراء

فصل من إنجيل لوقا ٢ : ٢٢ — ٣٥

ولما تمت أيام تطهيرها بحسب ناموس موسى صعدا به إلى أورشليم ليقدماه للرب . على حسب ما كتب فى ناموس الرب من أن كل ذكر فاتح رحم يدعى مقدساً للرب . وليقربا ذبيحة على حسب ماقيل فى ناموس الرب زوجى يمام أوفرخى حمام . وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان وهو رجل صديق تقى كان ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه . وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لايرى الموت حتى يعاين مسيح الرب . فأقبل بالروح إلى الهيكل وعندما دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا له بحسب عادة الناموس . حمله هو على ذراعيه وبارك الله قائلا . الآن تطلق عبدك أيها الرب على حسب قولك بسلام . فإن عينى قد أبصرتا خلاصك . الذى أعددته أمام وجوه الشعوب كلها . نوراً ينجلى للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل . وكان أبوه وأمه يتعجبان مما يقال فيه . وباركهما سمعان وقال لمريم أمه ها إن هذا قد جعل لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل وهدفاً للمخالفة . وأنت سيجوز سيف فى نفسك حتى تكشف أفكار من قلوب كثيرة .

بموجب الشريعة القديمة ، التى أبطلت الآن ، كانت النفساء تعتبر نجسة مدة أربعين يوماً إن ولدت ذكراً ، وثمانين إن ولدت أنثى . وكان لا بد لتطهيرها ، بعد إنقضاء هذه المدة الشرعية ، من مثولها بين يدى الكاهن بهيكل أورشليم وتقدمة حمل حولى محرقة ، وفرخ حمام أو يمامة ذبيحة خطاء . هذا إذا كانت غنية .

أما إذا كانت فقيرة ، فكان يكفى أن تقدم يمامتين أو فرخى حمام (أح ١٢ : ٦) وقد إكتفى الإنجيلى بذكر تقدمة الفقراء هذه ، لأنها التقدمة التى قدمتها العذراء أم الله ، التى لم تساعدها حالتها الاقتصادية على تقدمة الأغنياء !

ومما كانت تأمر به الشريعة أيضاً ، تكريس الأبناء الذكور الأبكار لخدمة الله . ولكن لما اختار الله سبط لاوى لخدمة الكهنوت ، عدلت هذه الشريعة واستعيض عنها بتقدمة الابن البكر للرب ، ثم إفتدائه بخمسة أثقال من الفضة ، وهى ما تعادل عشرين قرشاً مصرياً تقريباً .

وغنى عن البيان أن مريم ، وهى التى حبلت وولدت بطريقة فائقة الطبيعة ، بقوة الروح القدس ، وبتوليتها مختومة ، قد كانت منزهة عن كل دنس ونجاسة ، ولو ناموسية محض . ولذلك فلم تكن ملتزمة بحفظ شريعة التطهير المذكورة .

كما وأن يسوع ابنها ، وهو ابن الله بالطبيعة ، لم يكن فى حاجة ليقدم لله أبيه السماوى ، ولا لفداء وهو المخلص الموعود ، الذى جاء لفداء العالم .

إذن فقد شاء كل من يسوع ومريم بخضوعهما للشريعة ، أن يقدّما لنا مثل تواضع ، وطاعة للشرائع المقررة ، هو من أروع الأمثال وأنجعها .

تسبحة سمعان الشيخ :

وكان فى أورشليم رجل صديق اسمه سمعان ، كان قد أوحى إليه الروح القدس أنه لن يرى الموت حتى يعاين مسيح الرب . فأقبل بإيحاء الروح القدس إلى الهيكل ، وبإيحاء نفس الروح عرف أن الطفل الذى جاءت مريم ، فى تلك اللحظة ، مع يوسف لتقدمه للرب بحسب عادة الناموس ، هو المسيح المخلص .

وعليه فقد حمله على ذراعيه وأخذ يسبح الله قائلا : « الآن ، يا سيدى ، تطلق عبدك بسلام حسب قولك . فإنّ عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام كل الشعوب ، نوراً استعلن للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل »

سبّح سمعان تسبحته التى بثّ فيها كل لواعج حبه وامتنانه لمشاهدته المسيح الرب الذى جاء ليخلص اليهود والأمم على حد سواء . وبعدما بارك العروسين القديسين ، التفت إلى مريم وحدها وقال لها متنبأ : « ها إنّ هذا (أى يسوع) قد جعل لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ، وهدفاً للمخالفة . وأنت سيجوز سيف فى نفسك حتى تكشف أفكار من قلوب كثيرة »

وإنك لتفهم تماماً كيف أن بيسوع المسيح سيخلص كثيرون ، فهو المخلص الذى جاء ليطلب ما قد هلك . ولكن لِمَ سيكون يسوع سبباً فى هلاك كثيرين ؟ فالجواب هو ولا شك ، لا لرذل سابق من جهة الله ، بل لعدم الإيمان وقسوة القلوب . فالبعض ممن دُعوا إلى دخول الملكوت قد رفضوا الدعوة ، والبعض

الآخر لم يكتف بذلك ، بل وقاوم تعاليم يسوع واضطهده اضطهاداً . وأبلغ مثل فى هذا الصدد مثل اليهود معاصرى يسوع الذين أبوا الإيمان به وصلبوه ، فكانت عاقبتهم الهلاك والدمار .

وما حدث فى الماضى ، يحدث اليوم وإلى انقضاء الدهر . فإنه سيوجد فى كل زمان ومكان أناس منتفخون يرفضون الطاعة للإنجيل وتعاليم الكنيسة المقدسة ، بل وانّ بين الذين لبُّوا دعوة الإيمان نجد كذلك من يسىء إستخدام النعمة ويحيا كمن لا ربّ له ولا عقيدة ! هذا إلى عدد الخارجين على الإيمان والمنافقين من كل صنف ، الذين أضحوا نقمة على المسيحية والمسيحيين ، والمسيحية منهم براء .

أما معنى الكلمات : « وسيكون هدفاً للمخالفة » فهو إن يسوع سيكون على الدوام ، موضوع جدال وخصومة بين الأخ وأخيه . وحول شخصه التاريخى الفريد سيبدى البشر الأحكام والعواطف الأكثر مناقضة : فمن ناحية حزب الذين يخلصون له الطاعة والمحبة ، ومن ناحية أخرى حزب الذين يضمرون له البغض والعداء !

« وأنت سيجوز سيف فى نفسك » ، يشير إلى سيف الآلام الذى سيطعن به قلب مريم عندما ستشاهد استشهاد يسوع ابنها الحبيب على عود الصليب .

« حتى تكشف أفكار من قلوب كثيرة » يعنى أن الخلاف القائم حول شخصية يسوع ، سيظهر حقيقة قلوب البشر ، فيعرف مَن هم أحباء الله ومن هم أعداؤه .

فمن أى حزب أنت أيها القارىء الحبيب ؟ أمن حزب الذين يؤمنون بألوهية السيد المسيح ويعملون بتعاليمه ، أم من حزب الكفرة والذين يزدرون بتعاليمه الإلهية ؟

ثم إعلم أنه لا يمكن البقاء على الحياد ، فقد قال يسوع بصريح العبارة : « من ليس معى فهو على ، ومن لا يجمع معى فهو يفرق » (مت ١٢ : ٣٠)

فإن كنت من حزب المسيح حقاً ، فاظهر ذلك بأعمالك الصالحة وتوبتك النصوح ، وانقيادك لكل تعاليم الإنجيل الخلاصية . إذ كما يقول الرب : « من ثمارهم تعرفونهم » (مت ٧ : ١٦) ثم إن كنت مخلصاً للمسيح حقاً ، فيجب عليك أن تسد آذانك فلا تسمع للأكاذيب والأراجيف ، التى يراد بها تشويه سمعة الكنيسة ، سواء أكانت ضد رجال الإكليروس أم المؤمنين .

أخيراً ، وليس آخراً ، عليك بمحاربة التعاليم الملتوية المعوجة ، تعاليم الشيوعية والكفر والإلحاد . قال يسوع : « لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ، لكن على المنارة لينير على كل من فى البيت هكذا فليضىء نوركم قدام الناس ، ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات » (مت ٥ : ١٥ و ١٦)

عيد الفصح المجيد

لقد قام المسيح وهو باكورة الراقدين

(الإنجيل : أنظر أحد القيامة صفحة ١٣٣)

إن قيامة سيدنا يسوع المسيح ، باكورة كل الراقدين فى الرب ، هى علامة وعلة ومثال وعربون قيامتنا المجيدة فى اليوم الأخير .

١ — قيامة يسوع علامة لقيامتنا :

إن قيامة سيدنا يسوع المسيح المجيدة من بين الأموات هى علامة أكيدة لقيامتنا المجيدة عند انقضاء العالم فى اليوم الأخير ، ولكن بشرط أن نموت معه الآن . قال الرسول : « إن متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٨)

ولا عجب ، فإن التدبير الإلهى هو أن الحياة لا توهب إلا بعد موت . وإن شئت مثلا ، فتأمل البذرة فى بطن الأرض ، فإنها لا تحيا ولا يمكن أن تأتى بثمر مطلقاً ، مالم تمت من قبل . كذلك القيامة ، وهى ملء الحياة وذروة مجدها ، لا تكون إلا بالموت .

أما الموت المطلوب منا ، فهو أن نموت على العالم وتعاليمه الكاذبة ، وعلى الجسد وشهواته الرديئة ، وعلى الشيطان وغواياته المضلة . فإن نحن ضحينا وقبلنا مثل هذا الموت الروحى ، طائعين مختارين ، كانت العاقبة الحياة الأبدية ، وإلا فهلاكاً أبدياً لا محالة .

هذا هو تعليم المسيح الثابت ، ولا سبيل لمقاومته أو الشك فيه . قال بصريح العبارة : « من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن أهلكها يحييها » (لو١٧ : ٣٣)

وعلى ذلك فالحياة وما يتبعها من قيامة مجيدة هى للصديقين ، والذين يجاهدون فى سبيل البر والاستقامة حتى الموت ، لا للأشرار والكسالى والساخرين ، الذين لا قيامة لهم فى هذا المعنى ، بشهادة قول المرتل : « لا يقوم المنافقون يوم الدين ، ولا الخطاة فى جماعة القديسين » (مز ١ : ٥) . إذ لا يمكن ، كما يقول الرسول ، أن يرث الفساد — وقد عنى بهم جماعة الأشرار أهل الفساد — ما ليس بفساد (١ كور ١٥ : ٥)

٢ — قيامة يسوع علة لقيامتنا :

إن قيامة يسوع المسيح هى علة وسبب لقيامتنا ، ما فى ذلك شك . فقد استحق لنا المخلص كل مافقدناهُ بسبب الخطيئة ، وبالتالى القيامة أيضاً ، وبها تستأنف النفس إتحادها بالجسد . ذلك الإتحاد الذى لم تفصم عروته إلا بسبب الخطيئة ، التى كان من جرائها دخول الموت إلى العالم .

ويظهر جلياً أن يسوع استحق بموته الفدائى وقيامته المجيدة نعمة القيامة لنا أيضاً ، من قول الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنتس(١٥:١٦..) « إن كان الأموات لايقومون فالمسيح إذن لم يقم . وإن كان المسيح لم يقم فإيمانكم باطل ، وأنتم بعد فى خطاياكم .. لكن الحال أن المسيح قد قام من بين الأموات ، وهو باكورة الراقدين » إذن فالأموات فى الرب يقومون لا محالة : « لأنه بما أن الموت كان بانسان (آدم) ، كذلك قيامة الأموات فهى بانسان » أيضاً . وهذا الإنسان هو يسوع المسيح مخلص العالم .

وقد قام يسوع المسيح أولا باعتباره الباكورة ، أما الذين له وجميع أتباعه فيقومون عند مجيئه الثانى المجيد ، عند انقضاء الدهر .

٣ — قيامة يسوع مثال لقيامتنا :

ثم إن قيامة الرب يسوع هى « مثال » لقيامتنا فى اليوم الأخير . وهو مايبدو من قول الرسول : « ومتى ظهر المسيح الذى هو حياتنا ، فأنتم أيضاً تظهرون حينئذ معه فى المجد » (كو ٣ : ٤)

إن هذا المجد الذى سيظهر فيه تلاميذ المسيح عند مجيئه الثانى هو مجد القيامة ، الذى ستتحد فيه نفوس الأبرار بأجسادها . لأن يسوع « سيغير — إذّاك — جسد تواضعنا ليكون على صورة مجده » (فى ٣ : ٢١)

وعليه فكما لبس المسيح المجد فى جسده بعد قيامته من الموت ، كذلك يلبس الأبرار بقوة الله فى اليوم الأخير أجساداً نورانية ممجدة ، يمتاز بعضها عن بعض فى البهاء والمجد ، كل واحد حسب استحقاقه ومجاوبته على النعمة فى هذه الحياة .

إذ كما يقول الرسول ممثلا النفوس بالكواكب : « ومجد الشمس نوع ومجد القمر نوع آخر ، ومجد النجوم نوع آخر ، لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد » (١ كور ١٥ : ١٤)

٤ — قيامة يسوع عربون لقيامتنا :

ثم إن قيامة يسوع المسيح هى أيضاً « عربون » قيامتنا . بحيث إنّ يسوع ليدعى وهو فى الحقيقة « باكورة الراقدين » الذين يموتون فى حال النعمة والبرارة . وأى عجب أن تتصف قيامة يسوع بهذه الصفة ، وهو لنا بمثابة الأخ الأكبر ، الذى اشترك فى طبيعتنا ، والذى جعله الله « بكر كل خلق » ، واختاره ليكون « رأساً للكنيسة » ؟ إذن فكل ما أعطى للمسيح يعطى أيضاً لإخوته وأعضاء جسمه السرى . إذن كما قام المسيح يقوم أيضاً تلاميذه وعبيده الأمناء .

* * *

مما تقدم يظهر أن القيامة هى أمر أكيد لا ريب فيه . غير أنه وإن قام البشر أجمعون ، فلن يقوموا جميعاً بهيئة واحدة : لأنه بينما يضىء الأبرار كشموس فى ملكوت أبيهم السماوى (مت ١٣ : ٤٣) ، يلبس الأشرار أجساداً مظلمة لاصورة لها ولا بهاء . يقوم الأخيار ليتمتعوا نفساً وجسداً بما أعد لهم من سعادة أبدية ، والأشرار ليعذبوا عذاباً أليماً لانهاية له . قال الكتاب : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية ، وبعضهم للعار والرذل الأبدى » (دا ١٢ : ٢)

فيا أيها الحبيب ، لنجعل إذن كما يوصينا الرسول بطرس ، دعوتنا وانتخابنا ثابتين بالأعمال الصالحة ، مقتفين على الدوام أثر معلمنا الإلهى يسوع المسيح الذى لم يدخل مجده إلا بعد صعوده الجلجلة وموته على الصليب ، فنحظى بالميراث السعيد الذى أعدّه الله لمحبيه الأمناء قبل تأسيس العالم .

عيد العنصرة المجيد

حلول الروح القدس على التلاميذ

(الإنجيل : أنظر أحد العنصرة صفحة ١٥٧)

وعد يسوع تلاميذه فى مناسبات مختلفة ، أنه يرسل لهم معزياً آخر يقيم معهم إلى الأبد : « روح الحق » ، الذى يرشدهم إلى جميع الحق . وكان آخر وعد قطعه لهم بذلك ، قبيل صعوده إلى السماوات ، فى آخر ظهور له . فقد أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب . لأنهم سيعمدون بالروح القدس بعد أيام غير كثيرة (أع ١ : ٤ - ٥)

وكان اليوم العاشر لصعود الرب ، قبيل الساعة الثالثة صباحاً — وهى التاسعة حسب توقيتنا الحديث — والرسل بعد فى العلية مواظبين على الصلاة بنفس واحدة وإذا بأعجوبة المعمودية التى أنبأ عنها يسوع تتمّ ، فيحظى الرسل بموعد الآب .

* * *

وإليك الآن تفصيل هذا الحادث العظيم والأمر الخطير، الذى يعد بصواب، نقطة تحول فاصلة فى تاريخ الكنيسة، بل وفى تاريخ البشرية جمعاء.

لقد جاء فى سفر الأعمال (٢ : ١ — ١٣): «ولما حل يوم الخمسين من قيامة الرب يسوع، كانوا كلهم أى الرسل والتلاميذ والنسوة ومريم أم يسوع، جميعهم نحو مائة وعشرين شخصاً، فى مكان واحد» هو على الأصح علية صهيون، فى جنوب أورشليم، حيث أسس يسوع سر القربان الأقدس.

«فحدث بغتة صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف، وملأ كل البيت الذى كانوا فيه». إن هذه الريح العاصفة التى ملأت أرجاء البيت جلبة وصريراً، كانت إيذاناً باعلان الحادث العجيب، حتى لا يشك عاقل فى صحة حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح.

ولا عجب، أن تصحب الريح حلول الروح القدس، وهى التى كثيراً ما تشير فى الكتاب المقدس إلى حضور روح الله. وقد شبه يسوع عمل الروح القدس بالريح التى تهب حيثما تشاء، وتسمع صوتها، إلا أنك لست تعلم من أين تأتى (يو ٣ : ٨)

«وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، فاستقرت على كل واحد منهم». إن هذه الألسنة، التى كان لها شكل ومنظر النار، والتى استقر منها لسان واحد على كل واحد من الحاضرين، كانت ترمز إلى الفصاحة الملتهبة الموهوبة للرسل، تلك الفصاحة التى ستسبى العقول والقلوب على السواء.

كما أنها كانت تشير إلى قوة التطهير الكامنة فى تعاليم الإنجيل الإلهية، والتى بها سيلد الرسل العالم ميلاداً روحياً جديداً.

«فامتلأوا من الروح القدس». إن هذه العبارة تدل على وفرة مواهب النعمة والقداسة، والحكمة والعلم، التى أعطيت للرسل.

غير أن الإنجيلى لوقا، كاتب سفر الأعمال، لم يذكر من هذه المواهب على وجه التصريح سوى موهبة معرفة اللغات. تلك الموهبة التى كان لابد منها للرسل،

ليستطيعوا أن يبشروا بالإنجيل كل أمم الأرض. قال: « وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى » غير لغتهم. بيد أنه لا يستفاد من ذلك أنهم أُعطوا جميعاً، معرفة جميع اللغات، بل كل منهم اللغة أو اللغات الضرورية لرسالته، بحسب دعوة نفس الروح « وكما أتاهم أن ينطقوا ».

بين المواهب التى حظى بها الرسل بحلول الروح القدس عليهم، والتى لم ير القديس لوقا أنه فى حاجة إلى ذكرها لوضوحها، موهبة العلم: فهؤلاء الصيادون الأميون الذين لم يكونوا يحسنون فهم الأمور العادية، تنفتح عقولهم فى لحظة، لفهم أسمى حقائق الدين: فيفسرون آيات الكتاب الأكثر غموضاً وأسرار الفداء العويصة بأجلى بيان!

إنهم لم يتعلموا أصول الخطابة المعقدة، ومع ذلك فهاهم بحكمة الصليب « الذى هو عار عند اليهود وجهالة عند الأمم » يستطيعون أن يكسبوا لدعوة الإنجيل كل ممالك الأرض!

وأن بطرس زعيمهم يقوم فى الجمهور خطيباً، لا كباقى الخطباء يضرب على وتر حساس للوصول إلى مأربه، بل مؤنباً الضمائر، ومع ذلك فما إن فصاحته الخشنة والجديدة فى نوعها تجذب إلى دعوته ثلاثة آلاف نفس يطلبون لساعتهم المعمودية.

وبالإيجاز فإن حكمة الرسل وتعاليمهم السماوية تستطيع فى عشرات السنين أن تحطم فلول الوثنية وترفع على أطلالها راية الصليب المظفر.

ومن المواهب البارزة التى نالها الرسل بحلول الروح القدس عليهم « القوة » بحيث إن هؤلاء الجليليين الجبناء يصبحون، بين عشية وضحاها، مثال الإقدام والشجاعة، فيبشرون بيسوع المسيح فى ساحات أورشليم، بل وفى الهيكل نفسه، دون أن يخشوا غضبة غاضب، ولا تهديد رؤساء الكهنة.

لقد أمروهم ألا ينطقوا باسم يسوع ... لكنهم لم يمتنعوا عن المناداة بالإنجيل ولم يبحّ لهم صوت، وهم يعلنون على رؤوس الأشهاد: إن الله أحق من

الناس بأن يطاع ، حتى أن جرأتهم وسداد أجوبتهم أذهلت نفس أعدائهم . وحينما جلدوهم خرجوا من المحفل فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسم يسوع !

روحك القدوس الذى أرسلته ، يارب ، على تلاميذك القديسين ورسلك الكرام فى الساعة الثالثة ، هذا لا تنزعه عنا أيها الصالح ، لكن جدده فى أحشائنا : روح القداسة والاستقامة ، والقوة والعدالة ، روح الحكمة والفهم نسألك أيها المسيح إلهنا ، أن تجدده فى داخلنا آمين .

عيد قلب يسوع الأقدس(١)

فى عبادة قلب يسوع

فصل من إنجيل يوحنا ١٩ : ٣١ — ٣٧

ثم إذ كان يوم التهيئة فلئلا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سوقهم ويذهب بهم . فجاء الجند وكسروا ساق الأول والآخر الذى صلب معه ، وأما يسوع فلما انتهوا إليه ورأوه قد مات لم يكسروا ساقيه . لكن واحداً من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء . والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم . لأن هذا كان ليتم الكتاب إنه لا يكسر له عظم . وقال أيضاً كتاب آخر سينظرون إلى الذى طعنوا .

نبذة تاريخية :

إن عبادة قلب يسوع الأقدس هى من العبادات العريقة فى المسيحية ، بحيث يمكن القول إنها قد نشأت مع عبادة يسوع المصلوب ، وهو معلق على الصليب ، عندما طعنه لونجينوس فى جنبه بالحربة التى نفذت حتى أعماق قلبه .

وقد عرف عبادة قلب يسوع ومارسها ، على مر السنين وكر الأيام ، لا القديسون

---

(١) تحتفل الكنيسة كل سنة بعيد قلب يسوع الأقدس فى أول يوم جمعة يقع بعد عيد جسد الرب بثمانية أيام . ويقع عيد جسد الرب فى يوم الخميس الثانى بعد عيد العنصرة .

العظام فحسب ، أمثـــال القديس أغوسطينوس وبرنردوس وبوناونتورا ، والقديسات جيرترودة وماتيلدة وكاترينا السيانية ، هؤلاء الذين تعمقوا فى معرفة أسرار هذه العبادة الجليلة ، بل ويمكن القول إنه لم توجد نفس مؤمنة واحدة منذ نشأة المسيحية ، لم تمارس هذه العبادة فى موضوعها الروحى ، ألا وأعنى بذلك إكرام حب الكلمة المتجسد .

غير أن عبادة قلب يسوع ، كما نفهمها اليوم ، هى ولاشك ، جديدة فى الكنيسة . وقد حفظها الله بعنايته للأجيال الحديثة خاصة ، ليذكى فيها نار المحبة ، التى فترت وقد كادت تخمد فى قلوب الكثيرين من المسيحيين . قال البابا بيوس الحادى عشر الطيب الذكر : « إنه لما فترت المحبة فى قلوب المؤمنين عرضت المحبة الإلهية ذاتها لتكرم بعبادة خاصة .. وذلك عن طريق العبادة التى نكرم بها قلب يسوع الأقدس ، المكنون فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ... فى هذه الأزمنة الكثيرة الاضطرابات . . . أظهر يسوع لشعوب الأرض قاطبة قلبه الأقدس ، رمز سلام ومحبة ، ممهداً أمامه طريق النصر والظفر »

قلنا إن كثيرين من القديسين ، ولاسيما فى العصور الوسطى كانوا قد تعمقوا فى معرفة هذه العبادة ، ولكن كنوز الحكمة والقداسة التى اقتبسها هؤلاء عنها ، ظلت خفية على عامة الشعب المسيحى ، إلى أن شاء الله وأوحى بهذه العبادة السنية إلى عبدته ماريا مرغريت ألاكوك . وقد كشف لها لا طريقة هذه العبادة وأسرارها فحسب ، بل وبين لها فى الوقت نفسه عن رغبته فى نشرها بين كل طبقات الشعب المسيحى ، وما تجلبه من نعم وبركات غزيرة على كل من يمارسها بعبادة وحرارة قلب .

ومن ذلك الحين أخذت عبادة قلب يسوع تمتد وتنتشر فى كل الأمصار المسيحية ، ولا سيما الكاثوليكية ، وذلك بتأييد الكنيسة والأحبار الرومانيين . ولكنها صادفت فى بادئ الأمر ، معارضة شديدة ومقاومة عنيفة من هؤلاء الذين يدّعون العلم والغيرة على الكنيسة ، وهم فى الواقع ليسوا على شىء من العلم الصحيح والغيرة الحقيقية .

ومن الواضح أن عبادة قلب يسوع ، وهى عبادة كاثوليكية عريقة فى القدم لا تستند فى مبدأها على ظهور السيد المسيح للقديسة مرغريت مريم ، بل قبل كل شىء وفوق كل اعتبار ، على سلطة الكنيسة وعلم اللاهوت والإنجيل وتقليد الكنيسة العام .

ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أن ذلك الظهور المتعدد للقديسة ، قد أفاد هذه العبادة ثباتاً ، بل وانتشاراً بين أفراد الشعب المسيحى ، كما أنه ألبسها لباساً جديداً ، لباس الجاذبية وسهولة الممارسة ، صابغاً إياها بصبغة خاصة ، بحيث يمكننا القول إن عبادة قلب يسوع ، كما نمارسها اليوم ، هى عبادة مرغريت مريم .

موضوع هذه العبادة :

إن عبادة قلب يسوع ، مع مرغريت مريم ، تنظر إلى قلب يسوع كمركز لمحبته غير المحدودة نحونا ، مقدمة لنا حبه هذا كحب مجروح بسبب خطايانا ونكراننا جميله . بدليل أن السيد المسيح فى ظهوره الأول للقديسة ، بعد ما وصف لها محبته غير المتناهية لنا بلهجة تنم على الحزن والأسى ، أخذ يشكو من الإهانات العديدة التى يوجهها إليه البشر الذين جحدوا جميله .

لقد قال لها مشيراً إلى قلبه الأقدس : « هذا هو القلب الذى أحب البشر حباً فائقاً ، فغمرهم بسيل من النعم الغزيرة جداً وهو مقابل ذلك لا أنه لا يحصل على الشكر والحمد ، بل ويقاسى الأمرين من الإهمال وأنواع الإهانة . ويحدث ذلك أحياناً حتى من قبل تلك النفوس الملتزمة إلتزاماً خاصاً بمحبتى » . من أجل هذا فإن أهم أفعال العبادة التى نحرّض على تقديمها للقلب الإلهى مع مرغريت مريم ، هى الحب والتكفير .

قلنا إن عبادة قلب يسوع صادفت فى بدء نشأتها مقاومة شديدة . وما ذلك إلا لجهل المبادىء اللاهوتية الصحيحة : لقد أخذوا يستغربونها ، وما هى فى الواقع بغريبة ، لأنها تستند على الإنجيل وتقليد الكنيسة الثابت . كيف لا ؟ وإن غايتها الأولية هى أن نعرف محبة يسوع لنا فنبادله محبة بمحبة .

وأيضاً أليس إن كل أعضاء السيد المسيح ، حسبما يعلمنا اللاهوت هى جديرة بالعبادة ؟ فبأولى حجة إذن قلبه الأقدس ، الذى يذكرنا بحبه السامى لنـــا . فمما لامراء فيه ، إننا نعبد يسوع المسيح ونكرمه بعبادة « لاترية » أى بنفس العبادة السامية التى نكرم بها الله نفسه ، لاباعتباره إلهاً فحسب ، بل وباعتباره إنساناً أيضاً وذلك لإتحاد الناسوت باللاهوت ذلك الإتحاد الجوهرى العجيب ، الذى تدعوه الكنيسة بكل صواب بالإتحاد الأقنومى ، لأنه تم فى أقنوم الكلمة الأزلى .

وعلى الرغم من أن كل أعضاء جسد الكلمة المتأنس جديرة بالعبادة السامية لإتحادها أقنومياً بشخص الكلمة الإلهى ، فمع ذلك لايليق بنا عمليا أن نعبد عضواً ما من ناسوته المقدس عبادة خاصة مالم يوجد داع خاص يوجب هذه العبادة .

إن هذا الداعى الذى يوجد بالنسبة لجسد المسيح ودمه ، يوجدكذلك بالنسبة إلى قلبه الأقدس باعتباره الرمز الطبيعى لمحبة يسوع غير المحدودة .

ومن الواضح أننا لا نعبد قلب يسوع كجزء منفصل عن يسوع ، لأن فى ابن الله الحى لا يوجد أى إنفصال ألبتة ، ولاسيما بعد قيامته المجيدة من بين الأموات .

بناء عليه فإن القلب الذى نعبده هو قلب حى ، متحد جوهرياً بنفس حية ، هى نفس الكلمة المتجسد ، وهو متحد ككل أعضاء ناسوت السيد المسيح باللاهوت فى أقنوم الكلمة . إذن فالعبادة التى نكرم بها القلب الأقدس هى عبادة موجهة فى النهاية إلى يسوع نفسه .

وخلاصة القول إن موضوع هذه العبادة القريب هو قلب يسوع الطبيعى اللحمى ، نعبده حياً ومتحداً إتحاداً أقنومياً بالكلمة ، من حيث إنه رمز محبته غير المتناهية . أما موضوع هذه العبـــادة البعيد ، لو جاز هذا التعبير ، فهو شخص فادينا الكريم بذاته ، موضوع الحب الذى تحثناهذه العبادة على محبته .

ومما هو جدير بالملاحظة إن المحبة التى يرمز إليها القلب الأقدس ، ليست هى المحبة المخلوقة فقط ، بل والغير المخلوقة أيضاً . ينجم عن ذلك أنه يجب علينـا أن

نكرم محبة يسوع كإله وإنسان معاً بفعل واحد ، حيث لايوجد إنفصال بين محبته كإله وإنسان ، بقوة الإتحاد الأقنومى . وبذا فنحن نكرم محبة يسوع الأزلية والزمنية معاً .

كما ويجب أن نكرم محبة يسوع المسيح لا من حيث إنها محبة لنا ، أى من حيث إتجاهها نحونا فحسب ، بل ومن حيث إتجاهها نحو موضوعها الأصلى والأول ، نحو الله ، الذى به تكمل كل محبة .

أخيراً نقول إننا بعبادة قلب يسوع الأقدس لانريد أن نكرم هذا أو ذاك المظهر العجيب لحب ابن الله المتجسد ، بل نريد أن نكرم كل حب يسوع فى ذاته وبجملته نحو الله والبشر إخوته ، وذلك فى كل مظاهره على حد سواء .

والنتيجة هى إننا بعبادة قلب يسوع الأقدس ، نعبد ونكرم يسوع المسيح نفسه ، وذلك فى أخصّ وأبرز صفاته ، أى فى محبته غير المحدودة ، لله عز وجل ولنا نحن معشر البشر إخوته .

الأفعال التى نكرم بها قلب يسوع الأقدس :

إن أهم هذه الأفعال ، فيما عدا واجب السجود والحمد والتسبيح والشكران ، هى : أن نمارس فضيلة المحبة ، لاعملياً بحفظنا كل وصاياه تعالى فحسب ، بل وبانعطاف إرادتنا الشامل وكل جوارح قلبنا نحوه تعالى . ولاسيما بالاقتداء بسيرته القدوسة والتخلق بأخلاقه ، وهو الذى قال : « تعلموا منى أنى وديع ومتواضع القلب » .

ومن أخص الأفعال التى توجبها علينا عبادة القلب الأقدس : التكفير عن الخطايا . وذلك كنتيجة مؤكدة لمحبتنا ليسوع ، حتى نعوضه عن الإهانات الكثيرة التى يهينه بها البشر بتعديهم على وصاياه ونكران جميله .

قال البابا بيوس الحادى عشر فى رسالته التعويض لقلب يسوع : إن المسيح بفيض فدائه قد غفر لنا جميع زلاتنا كل الغفران . بيد أن ترتيب الحكمة الإلهية العجيب قد أوجب علينا أن نتمم فى أجسامنا « ما ينقص من شدائد المسيح لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤) . فإلى التسابيح والتعويضات ، التى قدمها

المسيح لله باسم الخطاة ، يمكننا نحن ، بل يجب علينا أن نضيف تسابيحنا وتعويضاتنا الخاصة . ولكن ينبغى دائماً أن نتذكر أن قوة التكفير كلها مصدرها ذبيحة المسيح الدموية الوحيدة التى تجدد دون انقطاع على مذابحنا بطريقة غير دموية .. لأجل ذلك ينبغى أن تتحد ، بذبيحة الأوخارستية المجيدة ، ضحية الكهنة وسائر المؤمنين ، حتى إنهم هم أيضاً يقربون ذواتهم « ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله » (رو١٢:١)

وتنشأ عن المحبة والتعويض تلك الثقة العظيمة بالسيد المسيح ، وهى الثقة التى تجعلنا نلجأ إلى قلبه الأقدس كالى ملجأ حصين .

وإليك الآن بالخصوص أهم الأفعال التى نكرم بها القلب الأقدس ، وهى : فعل التكريس ، به نقدم نفوسنا وخيراتنا وكل مالنا لقلب يسوع ، معترفين أن كل هذا هو من فيض جوده العميم .

إن فعل التكريس ، وهو فعل بسيط يمكن إبرازه بكلمات معدودات ، يجب تجديده مراراً . ويا حبذا لو لفظناه يومياً ، أو على الأقل فى الأعياد السيدية حتى لا ننسى أننا بجملتنا مكرسون لقلب هذا الفادى الرحيم .

ثم فعل الترضية أو التعويض أو التكفير ، هو كل فعل تقوى ، أو ممارسة فضيلة ما صنعت بنية تكفيرية أى « لتعويض الحب غير المخلوق مما يعتدى به على حقوقه من الإغفال والتهاون والنسيان ، أو عما يناله من الإهانة » .

وبكلام آخر هو كل فعل يقصد به « استرضاء الله المنتقم لما ارتكبناه من الذنوب العديدة والإهانات ولما أهملناه من الواجبات »

ثم بين الممارسات التقوية التى أوصى بها يسوع نفسه ، والتى يجب صنعها بنية تكفيرية : المناولة المقدسة ، وساعة السجود التى إعتاد المؤمنون الاحتفال بها فى ليلة الجمعة من أول كل شهر . ولاسيما التسع المناولات ، فى كل أول يوم جمعة من الشهر ، المرتب عليها نوال الخلاص والحيـــاة الأبدية حسب وعد السيد المسيح للقديسة مرغريت مريم .

وإليك الآن نص هذا الوعد الخلاصى العظيم :

الوعد الخلاصى العظيم

لكل الذين يمارسون الفصح الجمع

« فى رحمة قلبى غير المتناهية ، إنى أعدكِ بأن حبى القدير على كل شىء ، يهب كل الذين يتناولون فى أول يوم جمعة من الشهر ، لمدة تسعة أشهر متوالية ، نعمة الثبات الأخير : فلن يموتوا خالين من نعمتى ، ولا بدون قبول الأسرار ؛ وقلبى سيكون لهم فى تلك الساعة الأخيرة ، ملجأ حصيناً »

إن هذا الوعد الخلاصى العظيم هو تاريخى ، كباقى مواعيد القلب الأقدس ، وقد حفظ نصه الأصلى فى دير راهبات الزيارة بمدينة « ديجون » بفرنسا ، حتى سنة ١٧٩٢ . إلا أن الجميع تآمروا على إخفائه والسكوت المطلق حوله ، فظل مجهولاً من الشعب المسيحى حتى سنة ١٨٦٩ ، وهى السنة التى فيها اكتشفه الأب فرنسوا وأخذ فى نشره وإشاعته .

أما سبب إخفائهم هذا الوحى النادر الفريد فى نوعه ، فكان الخوف من عدم إمكان إثباته لاهوتياً ، وألا يكون داعياً للشطط ونشر الفتور بين المسيحيين !

عن هذه المخاوف الباطلة والمزعومة قد أعطى علماء اللاهوت جواباً مفحماً لم يفه من بعده أصحاب الأوهام ببنت شفة .

وعليه فلا يجوز الشك فى هذا الوعد بوجه من الوجوه ، ولاسيما بعد تأييد الكنيسة العام لكل المواعيد ، وبنوع خاص لهذا الوعد الأخير ، وإثباتها إياه بصفة رسمية . فقد قدم لفحص جمعية الطقوس فصادقت عليه ، وقررت صحته التاريخية بنوع خاص .

تعليق هام على الوعد الخلاصى :

إن الثبات الأخير ، أو بكلام آخر الموت فى حال النعمة والبرارة ، جوهر هذا الوعد الخلاصى العظيم ، يمنح لكل الذين يتناولون تسع مناولات فى أول يوم جمعة من الشهر لمدة تسعة أشهر متوالية .

وعليه فإن الشروط الضرورية لنيل هذا الإنعام بكل تأكيد هى : أن تكون التسع المناولات : ١ — فى يوم جمعة ٢ — وفى أول يوم جمعة من الشهر . ٣ — وأن تكمل فى تسعة أشهر على التوالى .

وعلى ذلك نقول إن إبدال يوم الجمعة بيوم آخر من الأسبوع مما يبطل الإنعام على الأكثر إحتمالا . كذلك الحكم فى تغيير الأسبوع ، فلو تناول المتعبد فى الأسبوع الثانى مثلا أو الثالث بدلا من الأسبوع الأول من الشهر فيفقد كذلك الإنعام .

ومما لا ريب فيه إن عدم التتابع فى هذه المناولات الشهرية ، ولو بدون ذنب يلغى الإنعام المذكور : وعلى المتعبد إذاك أن يبتدىء من جديد سلسلة التسع المناولات للاشتراك فى الإنعام .

إن التسع المناولات يجب أن تكون مصنوعة بنية تكريم القلب الأقدس والاشتراك فى هذا الإنعام. وتكفى النية بالقوة ، وهى التى يبديها المتعبد عند ابتداء المناولات ولم يرجع عنها .

شرط هام لنيل الإنعام هو ألا تكون المناولات المذكورة نفاقية ، أى مصنوعة فى حال الخطيئة المميتة ، بل مصنوعة فى حال النعمة . أما الخطايا المميتة المرتكبة بين مناولة وأخرى ، فلا تلغى الإنعام على شرط أن يعترف بها قبل المناولة التى تلى .

إن الشىء الموعود هنا هو الموت فى حال النعمة ، وبالتالى الخلاص الأبدى ، لا دخول السماء حالا وتواً بعد الموت . وعليه فالمرور على المطهر والإقامة به مدة طويلة أو قصيرة بحسب الأعمال ، فهو غير مستثنى .

أما من جهة أخذ الأسرار فى الساعة الأخيرة (ونعنى بالأسرار هنا، الاعتراف والمناولة ومسحة المرضى) ، فيمكننا أن نكون على ثقة بأننا لن نموت دون قبولها متى كانت ضرورية لإرجاع النفس إلى حالة النعمة .

ثم إن إعادة سلسلة التسع المناولات المذكورة مراراً عديدة فى الحياة لأمر ممدوح ومستحب للغاية ، يجب أن يحث عليه الجميع لجعل الإنعام أكثر تأكيداً .

لأنه وإن جاز لكل مسيحى أكمل التسع المناولات على النمط المشروح آنفاً ، أن يكون على ثقة تامة من جهة أمر خلاصه ، فمع ذلك فان تأكيدنا من جهة صنع كل المناولات باستحقاق هو تأكيد أدبى ، ولذا فيمكن توكيده أكثر باعادة سلسلة التسع المناولات وتكرارها مراراً عديدة .

ويا حبذا لو إتبع المسيحى عادة التناول فى كل أول يوم جمعة من الشهر إلى آخر نسمة من حياته . فانه علاوة على الانعام المذكور ، ينال من القلب الأقدس مالايحصى من النعم والمواهب فى هذه الحياة ، ولاسيما فى ساعة الموت الأخيرة

* * *

حقاً إن عبادة قلب يسوع الأقدس ، كما وصفها قداسة البابا بيوس الحادى عشر ، هى خلاصة كل مافى الدين ، وقاعدة حياة سامية الكمال تقتاد النفوس بأقرب الطرق ، إلى التضلع من معرفة يسوع المسيح تضلعاً أتم ، وتجذبها جذباً فعالا إلى درجة سامية من الهيام بحبه والاقتداء به تعالى .

عيد الرسل

نصر الإنجيل على الوثنية

فصل من إنجيل متى ١٠ : ١ — ١٥

ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة لكى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وهذه أسماء الاثنى عشر رسولا . الأول سمعان المدعو بطرس ثم أندرراوس أخوه . ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه وفيلبس وبرتلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفى وتداوس . وسمعان القانوى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه . هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأمرهم قائلا إلى طريق الأمم لاتتجهوا ومدن السامريين لاتدخلوا . بل انطلقوا بالحرى إلى الخرفان الضالة من آل إسرائيل . وإذا ذهبتم فاكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السماوات . اشفوا المرضى أقيموا الموتى طهروا البرص أخرجوا الشياطين . مجاناً أخذتم فجاناً أعطوا . لاتقتنوا ذهباً ولافضة ولانحاساً فى مناطقكم . ولا مزوداً للطريق ولاثوبين ولاحذاء ولاعصا لأن الفاعل مستحق طعامه . وأية مدينة أو قرية دخلتموها فاسألوا فيها عمن يستحقكم وكونوا هناك حتى تخرجوا . وإذا دخلتم البيت فسلموا عليه قائلين السلام لهذا البيت . فإن كان ذلك البيت مستحقاً فسلامكم يحل عليه وإن كان غير مستحق فسلامكم يرجع إليكم . ومن لايقبلكم ولايسمع كلامكم فإذا خرجتم من البيت أو من المدينة فانفضوا غبار أرجلكم . الحق أقول لكم إن أرض سدوم وعمورة ستكونان أخف حالة من تلك المدينة فى يوم الدين .

كان فى طاقة سيدنا يسوع المسيح ، وهو ابن الله القدير على كل شىء ، والمخلص الذى أعطى له كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، أن يخضع العالم أجمع لسلطان تعاليمه الإلهية ، فى لحظة ، بل وفى أقل من لحظة .

لكن حكمته الأزلية ، التى تبلغ من غاية إلى غاية بالقوة وتدبر كل شىء بالرفق » (حك ٨ : ١) ، شاءت أن يستخدم لهذا الغرض إثنى عشر صياداً خاملى الذكر ، ملأهم من قوة روحه القدوس ، فكانوا له شهوداً فى أورشليم وجميع اليهودية وفى السامرة وإلى أقصى الأرض ، شهوداً صادقين أثبتوا شهادتهم بالدم .

وقد إستطاع الرسل بتأييد الروح القدس أن يغزوا فى بضعة سنوات ممالك الأرض كلها ، ويخضعوا شعوبها لطاعة الإنجيل . حتى إن الرسول بولس كتب يهنىء مؤمنى

كنيسة روما ، لأن إيمانهم يبشر به فى العالم كله (رو ١ : ٨)

وكان هذا النصر المبين ، نصر الإنجيل على الوثنية ، لا بقوة السلاح ، ولا بحكمة بشرية ، ولا بإغراء الناس بالمال والمواعيد الخلابة ، لأن الرسل كانوا فقراء .. بل بقوة كلمة الله ، وهى أمضى من كل سيف ذى حدين (عب ٤ : ١٢) . ثم بقوة تلك العجائب والآيات الباهرات التى كانت ترافق على الدوام ، الكلمة التى كان ينذر بها الرسل .

على أنه بالرغم من تأييد السماء الملموس لرسل المسيح ، وبالرغم من العجائب الباهرة التى كان يصنعها هؤلاء إحقاقاً لحق الإنجيل وإزهاقاً لباطل الوثنية . فإنهم لم يتغلبوا على كل عوامل الشر ، إلا بعد جهاد مرير .

ومن ثم فهاهم منذ فجر البشارة يعلنون حرباً لاهوادة فيها ، ضد الرذيلة وفساد الآداب والأخلاق الوثنية . ثم ضد الكفر والإلحاد الضارب أطنابه على ربوع الأمم ، التى ضلت سواء السبيل ، بحيث إنهم أخذوا يعبدون كل شىء ، ماعدا الإله الحقيقى !

ثم هى حرب شعواء ضد الأرواح الشريرة لانتزاعها السيادة ، التى إكتسبتها على العالم بسبب الخطيئة ، وردها للمسيح المخلص .

ولم يخش الرسل من منازلة الملوك الطغاة ، وولاة هذا العالم الظلمة ، لا ليسلبوهم سلطاناً هم فى غير حاجة إليه ، بل ليترك هؤلاء حرية الضمير لشعوبهم .. ولا يقفوا حجر عثرة دون إنتشار الإنجيل ، كلمة الحق ، ويقودوا رعاياهم بالحق والعدل .

وقد خاض الرسل كذلك معارك حامية الوطيس ضد إخوتهم وبنى جلدتهم اليهود الجاحدين ، وذلك لا ليستنزلوا عليهم اللعنات التى إستحقوها بأعمالهم الشريرة ، ولاسيما بقتلهم ابن الله ، بل ليشركوهم بالإيمان بالمسيح فى المواهب السنية ، التى وعد بها الله آباءهم إبراهيم واسحق ويعقوب .

* * *

على مثال الرسل الأطهار يجب أن نعلن ، نحن معشر بنى المسيحية ، حرباً

شعواء ضد الرذيلة وفساد الأخلاق، ضد الكذب والغش والرياء والظلم، والغيبة والنميمة ... وكل ما يشتم منه رائحة الوثنية الكريهة.

ثم علينا أن نشهر حرباً مقدسة ضد كل أعدائنا الروحيين: ضد الجسد وشهواته الدنسة، والعالم وأباطيله وأمثاله الرديئة. وعلى الخصوص يجب أن نسهر لئلا نقع فى فخاخ إبليس الحية القديمة، فنضحى فريسة باردة بين يديه، وقد شبهه الرسول بطرس بالأسد الزائر يجول ملتمساً من يبتلعه. قال: «اصحوا واسهروا فان إبليس خصمكم كالأسد الزائر يجول ملتمساً من يبتلعه» (١ بط ٥ : ٨)

ولا نكتفى بذلك، بل وينبغى أن نكون مسيحيين اسماً وفعلا فلا نخشى أبداً من أن نظهر مسيحيتنا للملأ، دون خوف أوخجل، لأن المسيح قال: «فكل من يعترف بى قدام الناس، أعترف أنا به قدام أبى الذى فى السماوات ومن ينكرنى قدام الناس أنكره أنا قدام أبى الذى فى السماوات» (مت ١٠ : ٣٢ — ٣٣)

بل ويجب أن نكون على مثال الرسل رائحة المسيح الذكية ننشر من حولنا طيب الفضائل المسيحية. ورسل سلام ومحبة يعملون على الدوام، لهداية القريب وخير القريب، حتى يسود السلام والعدل والمحبة.

بيد أن السر فى نجاح الرسل، كما فى نجاحنا فهو أن نتمسك بأهداب الفضائل الإلهية، ألا وأعنى بها الإيمان والرجاء والمحبة. فبالايمان والرجاء غلب الرسل العالم وكل قوات الجحيم. وبمحبتهم السامية ليسوع المسيح احتملوا كل اضطهاد وإهانة، بل والموت نفسه بكل فرح واشتياق عظيم!

نحن أيضاً باسلحة الإيمان والرجاء والمحبة نستطيع أن نتغلب على كل أعدائنا الروحيين والجسديين. إذ لا الحكمة البشرية، ولا الإتكال على البشر، ولا الاستعباد للمخلوقات يمكنها أن تهبنا النصر.

إنما النصر يكون بالإيمان بالله، ورجاء مواعيده الثابتة، ومحبته تعالى فوق كل شىء.

تجلى السيد المسيح على جبل طابور

فصل من إنجيل مرقس ٩ : ١ — ٩

وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا فأصعدهم إلى جبل عال على إنفراد وتجلى قدامهم . وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج حتى لا يستطيع قصار على الأرض أن يبيض مثلها . وترآءى لهم موسى وإيليا وكانا يخاطبان يسوع . فأجاب بطرس وقال ليسوع يارب حسن لنا أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا . ولم يكن يدرى مايقول لما كان بهم من الرعب . وظللتهم سحابة وخرج صوت من السحابة يقول هذا هو ابنى الحبيب فله اسمعوا . ونظروا حولهم بغتة فلم يروا أحداً بعد إلا يسوع وحده معهم. وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم ألا يخبروا أحداً بما رأوا إلا متى قام ابن البشر من بين الأموات. فكتموا هذا الكلام فى نفوسهم سائلين بعضهم بعضاً ما معنى إذا قام من بين الأموات .

ستة أيام بعد إعتراف بطرس ، ووعد السيد المسيح له بإعطائه مفاتيح ملكوت السماوات ، أخذ يسوع بطرس رئيس الكنيسة العتيد ، ويوحنا التلميذ الحبيب وأخاه يعقوب ، وهو أول من سينال إكليل الشهادة بين الرسل ، إلى جبل عال على إنفراد ليصلى .

• هذا الجبل الذى انفرد فيه يسوع للصلاة هو ، حسب تقليد قديم يرجع إلى الجيل الرابع ، جبل طابور الواقع على بعد عشرة كيلومترات جنوب شرقى مدينة الناصرة والبالغ من الارتفاع ٧٨٠ متراً على سطح بحيرة طبرية .

صعد التلاميذ الثلاثة الجبل بمشقة فناموا مبكرين . أما يسوع فأخذ يحي ليله فى مناجاة أبيه بالصلاة والتأملات الروحية العميقة . وفيما هو يصلى ، إذا بمنظر وجهه يتغير ، ويضىء كالشمس ، وتصير ثيابه بيضاء كالثلج ، حتى لايستطيع قصار أن يبيض مثلها .

فما أعظمه ، وما أبهاه منظراً حلواً جذاباً ! منظر يسوع المعلم الإلهى ملتحفاً بالمجد والجلال . حتى إن بطرس ، وقد أخذته هزة الطرب ، طلب من يسوع أن

يقيم ثلاث مظال ، ليتمتع بتلك الرؤية السماوية والظهور الإلهى إلى ما شاء الله .

ولكن ما بالك ، يا بطرس ، تريد أن يسكن من لا تسعه السماوات والأرض مساكن صنعتها أيدى بشرية ؟ وكيف تريد أن تبقى فى طابور وأنت لم تصعد بعد الجلجلة ؟ إن بطرس كان يهذى ولم يدر ما يقول .

غير أن تجلى يسوع وظهوره ملتحفاً بالمجد والبهاء ، وإن عجيباً فى حد ذاته ، فهو ليس كذلك بالنسبة لشخصه السامى المقام ، إذ أنه بقوة إتحاد اللاهوت والناسوت فى أقنومه الإلهى الواحد ، كانت نفسه تتمتع بمشاهدة الله الطوباوية على الدوام ومنذ أول لحظة من كيانها . تلك المشاهدة التى يتبعها كنتيجة حتمية تمجيد الجسد أيضاً .

غير أن يسوع ليكمل عمل فدائنا طبقاً لتدبير الحكمة الإلهية ، التى شاءت أن لا يكون هذا الفداء ، إلا بآلامه وموته ، لم يسمح أبداً لجسده ، أن يشترك فى المجد الذى كانت تتمتع به نفسه ، إلا هذه المرة التى أذن فيها أن يغمر المجد كل جسده . فكان ذلك التجلى ، والظهور العجيب ، الذى أبهر الرسل وجعلهم يتمتعون لحظة بأنوار الأزلية .

وبالحقيقة ما نور طابور ، إلا قبس من نور المجد المزمع أن يتجلى فينا . وهو برهان جلى على مفعول الصلاة والنعمة الخفى العجيب فى النفس .

ظهور موسى وايليا :

تجلى يسوع وإذا برجلين يخاطبانه ، هما موسى وإيليا ، قد تراءيا فى مجد ، وكانا يتكلمان معه عن خروجه من هذا العالم بواسطة آلامه ، وموته الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم .

إن إحضار هذين الشخصين الجليلين ، وهما أبرز شخصيات العهد القديم ، دليل قاطع على أن يسوع هو رب جميع الأحياء والأموات . فيمثل إيليا الذى لم يمت ، بل إختطفه الله حياً فى مركبة نارية ، جماعة الأبرار الأحياء . بينما يمثل موسى ، كل خدام الله الأمناء الذين رقدوا فى الرب .

وحيث إن موسى يمثل أيضاً الشريعة ، ويمثل إيليا الأنبياء ، فإن ظهورهما هذا يدل على أن يسوع هو المسيح المخلص ، الذى من أجله كان الناموس وكانت الأنبياء . أما مثولهما بين يديه تعالى ، فيشير إلى خضوع الشريعة والنبوة للإنجيل .

ومن الواضح أن ظهور موسى مشترع الشريعة العتيقة العظيم ، يشهد على أن يسوع لم يأت لينقض تلك الشريعة ، بل ليكمل نقصها . كما وأن ظهور إيليا ، رجل الله الذى امتاز بغيرته المتقدة على مجد العلى ، يشهد على أن يسوع لا يجدف ، كما زعم اليهود ، حينما يعلن مساواته لله الآب قائلا : « أنا والآب واحد » .

* * *

ولما أفاق بطرس واللذان معه ، ورأوا يسوع فى مجده ، يحيط به موسى وإيليا ، تعجبوا ولم يصدقوا أعينهم من شدة الفرح . وإذ همّ كل من موسى وإيليا بالإنصراف ، خاف بطرس ومن معه ، أن يفقدوا بذهابهما النعيم الذى هبط عليهم طائعاً منقاداً .

ومن أجل هذا قال ليسوع : يامعلم ، حسن لنا أن نكون ههنا . وأخذ يقول من غير أن يفطن لقوله : وإن شئت فلنصنع ثلاث مظال ، واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيليا .

وفيما هو يقول ذلك جاءت سحابة منيرة فظللتهم ، فخافوا عند دخولهم السحابة . أما سبب خوفهم فلأن السحابة المنيرة كانت تشير إلى حضور الله ، وكان اعتقاد الرسل كاعتقاد عامة اليهود ، أن من رأى أو سمع الله فإنه يموت لا محالة

وكان صوت من السحابة ، وهو صوت الآب ، يقول : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت فله اسمعوا . إن هذا الصوت الذى سمع للمرة الأولى على نهر الأردن ، معلناً أن يسوع هو ابنه موضع حبه وسروره ، والذى سيسمع للمرة الثالثة ، قبيل آلام يسوع معلناً نفس الحقيقة ، يعلن هنا أن يسوع هذا ، ابنه الحبيبَ وموضعَ مسراته ، هو المشترع الأعظم ، الذى يجب على الجميع أن يؤمنوا به ويطيعوه ليفوزوا بالخلاص والحياة الأبدية . قال موصياً : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت فله اسمعوا »

عيد الانتقــال

إنتقال مريم العذراء إلى السماء بالنفس والجسد

(الانجيل : أنظر الأحد الثالث من كيهك صفحة ٥٨)

إن انتقـال مريم العذراء إلى السماء كان فى بادىء الأمر بالنفس فقط ، ثم بالنفس والجسد معاً . [١] ولذا فان هذا العيد يذكرنا بأربعة أشياء ، وهى : ١ — نيـاحة السيدة العذراء . ٢ — قيامتها المجيدة من بين الأموات . ٣ — صعودها إلى السماوات . ٤ — تكليلها بالمجد .

---

(١) لقد أعلن قداسة البابا بيوس الثانى عشر ، المالك سعيداً ، فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، بحضور أكثر من ثمانى مئة أسقف ، ومئات ألوف من المؤمنين ، بأن عقيدة انتقال سيدتنـا والدة الاله القديسة مريم إلى السماء بالنفس والجسد هى عقيدة من عقائد الوحى الالهى التى يجب الايمـان بها . قال : « نصرح ونعلن بسلطاننا الرسولى الخاص ، ونحدد كعقيدة أنزلها الله أن والدة الاله الطاهرة مريم العذراء قد رفعت فى نهاية حياتها الأرضية بالنفس والجسد إلى المجد السماوى » .

نياحة العذراء :

إن نياحة أو موت مريم العذراء ، أم سيدنا يسوع المسيح ، نظراً لظروفه الخاصة ، ولاسيما كرامته الثمينة للغاية ، دعته الكنيسة بصواب إنتقالا لا موتاً . وفى الحقيقة لم يكن موت تلك البريئة ، إلا بمثابة إنتقال من دار الغربة والفناء ، إلى الوطن العزيز ، دار البقاء والسعادة الأبدية .

ماتت مريم ، ولكن لا كما يموت باقى الناس عقاباً على الخطيئة ، بل تشبهاً منها بابنها ووحيدها يسوع المسيح ، ولكى نتعلم نحن معشر المؤمنين ، كيف يموت القديسون . فهى العروس والحمامة النقية المختارة التى عصمها الله ، دون جميع البشر من كل وصمة ودنس خطيئة سواء أكانت أصلية أم فعلية .

وعلى ذلك فإن موت مريم وإن كان موتاً حقيقياً ، لم يكن موتاً طبيعياً بل فائق الطبيعة ، حيث لم تمت بسبب مرض ، أوبداعى إنحلال قوى الجسد الطبيعى ، لأنها وإن عمرت إثنان وسبعون سنة ، حسب رأى كثير من الآباء ، فمع ذلك لم تعترها أية علامة من علامات الشيخوخة .

بل كان ذلك الموت العجيب من جراء حبها المضطرم نحو الله ، وهى التى كانت تصبو بكل قواها وجوارح قلبها إلى الإتحاد التام به تعالى . وقد بلغ من شدة هذه الرغبة الصادقة ، التى لم تكن تفارقها قط طيلة حياتها ، ولاسيما بعد صعود ابنها إلى السماوات ، أن أودت بها فى آخر الأمر إلى انفصال نفسها عن جسدها ، لتتحد الإتحاد الأكمل بالله موضوع حبها وغاية مناها .

إن هذا الموت الفريد فى نوعه ، والعجيب فى كل ظروفه ، هو الوحيد ولاشك ، الذى كان يليق بعظمة أم الله القديسة ، ومحبته الحقيقية ، التى فاق حبها له تعالى حب الخليقة المنظورة وغير المنظورة كلها جمعاء .

قيامتها المجيدة من بين الأموات :

على أن موت مريم لم يتبعه أى إنحلال أو فساد فى القبر ، ولم تمض إلا أيام قلائل على وفاتها ، وقد إتحدت نفسها الطوباوية بجسدها الطاهر من جديد ، محيية إياه حياة الأجساد الممجدة . وكان ذلك بقوة الله واستحقاقات السيد المسيح الذى

أراد بحكمته غير المتناهية ، أن لا يترك ذلك الجسد الطاهر ، الذى كان آلة لتجسده فى القبر حتى يوم القيامة العامة .

وقد جاءت قيامة مريم ، وماتبعها من صعود مجيد إلى السماوات بالنفس والجسد تحقيقاً لأمنية غالية ورغبة صادقة حارة ، طالما أعرب عنها الملائكة والجند السماويون بترديدهم قول المرتل : « قم يارب ، إلى راحتك أنت وتابوت قدسك » (مز ١٣١ : ٨)

من أجل هذا فقد لاق بالرب يسوع بعدما أكمل عمل سر فدائنا ، أن يدخل راحته الأبدية ، أى السماء ، مصطحباً معه تابوت قدسه الحى مريم الكلية القداسة ، التى قدمت له من أحشائها الطاهرة مسكناً طاهراً مدة تسعة أشهر كاملة .

بُعثت مريم بقدرة الله ، وإذا بها تفتح عينيها فتشاهد يسوع حبيبها ، ابن الله وابنها ، فى أهبة مجده ، تحيط به آلاف الملائكة فرحين متهللين ، قد جاءوا جميعاً وعلى رأسهم السيد الرب يسوع المسيح لنقلها حية بالنفس والجسد إلى الأخدار السماوية ، حيث الخلود والسعادة الكاملة .

ودعا يسوع أمه بصوت كلى العذوبة قائلا لها : « قومى ياخليلتى ياجميلتى وهلمى فان الشتاء قد مضى والمطر فات وزال » (نش ٢٣ : ١٠ و ١١) « هلمى معى من لبنان أيتها العروس » (نش ٤ : ٨)

صعودها الى السماوات :

وعندما أخذ يسوع بيد أمه لتصعد معه إلى ملكوته الأبدى السعيد ، هتفت الملائكة للمليك والملكة إيذاناً بالرحيل ، وإذا بالأجواق السماوية تصدح بأهازيج الفرح والتهليل والتكبير ، فتصعد الملكة مستندة على حبيبها حتى أعالى السماوات .

وإذ شاهدتها الأرواح السماوية من ملائكة وقديسين فى أهبة المجد والجلال غبطوها قائلين : « من هذه المشرقة كالصبح ، الجميلة كالقمر ، المختارة كالشمس ، المرهوبة كصفوف تحت الرايات » (نش ٦ : ٩)

وكأنهم غير مصدقين إعينهم ، إذ رأوا هذه الملكة والعروس المدللة تستند على حبيبها يسوع منية الآكام الدهرية ، قالوا متسائلين : « من هذه الطالعة من القفر كعمود من بخور ، معطرة بالمر واللبان ، المستندة على حبيبها » (نش٣ : ٦)

وهنا طفق الملائكة والقديسون يسبحونها بمديح أفضل من مديح اليهود ليهوديت قائلين : « كلك جميلة ، يامريم ، أيتها العروس المختارة والملكة المرهوبة ، ولاعيب فيك » (نش ٤ : ٧) « أنت مجد أورشليم ، أنت فرح اسرائيل وفخر شعبنا » (يهو ١٥ : ١٠)

تكليلها بالمجد :

والآن من يستطيع أن يصف لنا المجد الذى رفعت إليه مريم أم الله القديسة ؟ إن كل مايمكن أن يقال فى هذا الصدد هو إنه مجد لايدانى . وإن مجد كل القديسين بل ومجد كل الطغمات السماوية أيضاً هو دون هذا المجد . فكما أن مجد ربة البيت يفضل ولاشك مجد عبيدها ، كذلك يفضل مجد مريم أم الله مجد سائر الملائكة والقديسين .

وأيضاً إن صدق أن الله يجازى كل واحد حسب أعماله ، فصادق أيضاً أن مريم ، وقد فاقت استحقاقاتها استحقاقات جميع الملائكة والبشر ، قد رفعت إلى اسمى مراتب المجد السماوى .

إن الرسول يعلمنا أن فى سماء القديسين « نجم يتميز على نجم » . لكن مريم فى هذه السماء الروحية هى البدر المنير الزاهى أو بالحرى الشمس الساطعة فى رائعة النهار

ومن تعاليم الرسول بولس أيضاً أن الله يوزع مواهبه على أنواع مختلفة . وعليه نرى أن لكل قديس ميزة خاصة به تميزه عن غيره : فمنهم من كان متقداً غيرة رسولية ، ومنهم من كان شغوفاً بمناجاة إلهه فى عزلة تامة عن العالم ، ومنهم من سطع بأنواره فكان علماً فى فهم الإلهيات ، ومنهم من تفرد فى ممارسة فضيلة التواضع أو المحبة ، وآخر فى أخرى .

أما مريم ، وهى التى ملأها الله نعمة ، وميزها فوق نساء العالمين ، فقد تسامت فى

ممارسة الفضائل كافة ، بحيث إن القديسين بأسرهم ينظرون إليها كعميدتهم ، لا بل وكسلطانتهم وملكتهم ، والمثل الأعلى بعد السيد المسيح الذى يجب أن نحذو حذوه وعليه فليس من يضاهى مريم فى المجد والقداسة وعظمة المحبة .

فهى بحق ، كما تدعوها الكنيسة ، سلطانة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى .. الملكة التى أخضع لسلطانها كل مافى السماوات والأرض ، والتى نصب عرشها عن يمين عرش الملك الأعظم ، فقد جاء : « قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب موشًّى بذهب ، مزينة بأنواع شتى » (مز ٤٤:٨)

* * *

أحبائى ، إن مريم ، هذه الملكة العظيمة ، الملكة المقتدرة ، أم يسوع الملك الأعظم ، هى أمنا نحن أيضاً . وهى شفيعتنا التى أعطاها لنا المخلص نفسه وهو معلق على الصليب ، حين قال ليوحنا الحبيب مشيراً إلى البتول : « هذه أمك » ثم لمريم مشيراً إلى يوحنا : « هذا هو ابنك » . فقد كان يمثل يوحنا فى تلك اللحظة ، كما علم آباء الكنيسة ، جميع البشر ولاسيما المؤمنين .

لنخلصنّ إذن الحب لهذه الأم الرؤوم ، محبة البشر الحقيقية ، وشفيعتنا المقتدرة لدى يسوع ابنها الحبيب .

وليكن حبنا لمريم حباً عملياً فنقتدى بمثالها ، وذلك بممارستنا بنشاط وحرارة كل الفضائل المسيحية ، ولاسيما التواضع ومحبة الله والقريب .

لنكرمنّ هذه البتول فخر جنسنا ، بالتجائنا إليها فى كل شدائدنا بثقة بنوية كاملة فهى ملجأ المسيحيين الأمين . لنكرمنّ مريم ولنبالغ فى تكريمها فهى المخلوقة المختارة الجديرة بكل مجد وكرامة .

كرموها أيها المؤمنون . بقدر طاقتكم بالصلاة والصوم وكل عمل صالح ، ولاتخشوا لومة لائم . واعلموا أن المتعبدين لمريم أم الله يستحيل أن يحل بهم العطب أو الهلاك .

إن مريم ملكتنا ، وهى التى إئتمنها الله على كل كنوز النعمة ، بحيث لاتوجد

نعمة واحدة يفيضها تعالى على البشر من غير أن تمرّ بيدى مريم ، حسب تعليم الكنيسة الثابت ، هى الملكة الوحيدة التى لاترهق عبيدها بالأحمال والأثقال . فتسلط عليهم لا للإفادة والمنفعة ، بل للسهر على مصلحتهم والعمل على إسعادهم فى الدنيا والآخرة ، وذلك بسكب النعم والآلاء الإلهية الغزيرة عليهم ، وإشراكهم فى استحقاقاتها الخاصة واستحقاقات يسوع ابنها .

وعليه فمهما طلبنا من مريم أو بواسطتها ، فاننا ولا شك نستجاب . ولكن ماذا نطلب من مريم ؟ أنطلب الخيرات الفانية ؟ بل غير الفانية والتى تعود إلى خلاصنا حتى إذا اسلمنا أرواحنا فى يدى الله بسلام ننتقل من دار الغربة إلى الوطن العزيز، حيث الخلود والسعادة الحقيقية .

وهو ما أتمناهُ لكم ولى باستحقاقات تلك التى نقلت حية بالنفس والجسد إلى الفردوس السماوى لها المجد والكرامة . آمين .

عيد يسوع الملك[1]

الملك الأعظم ملك الملوك ورب الأرباب

فصل من إنجيل يوحنا ١٨ : ٣٣ — ٣٧

فدخل أيضاً بيلاطس إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له . أأنت ملك اليهود . أجاب يسوع أمن عندك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى . فأجاب بيلاطس ألعلى أنا يهودى . إن أمتك ورؤساء الكهنة هم أسلموك إلى فما الذى صنعت : أجاب يسوع إن مملكتى ليست من هذا العالم ولوكانت من هذا العالم لكان خدامى يحاربون عنى لئلا أسلم إلى اليهود . والآن فإن مملكتى ليست من هنا . قال له بيلاطس أفلك أنت إذن . أجاب يسوع أنت قلت إنى ملك إنى لهذا ولدت ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق فكل من كان من الحق يسمع صوتى .

إن هذا العيد الحديث ، الذى يذكرنا بحقيقة ثابتة عريقة فى القدم ، حقيقة مملكة المسيح المخلص ، التى بشر بها الأنبياء مئات السنين قبل مجيئه ، هذا العيد ، رسمته الكنيسة لتشعر العالم ، الذى ضلّ سواء السبيل ، باحتياجه الملح إلى يسوع المسيح ، الملك الأعظم ، ملك كل الدهور ، الذى قال عنه دانيال النبى : إنه « أوتى سلطاناً ومجداً وملكا ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدى لا يزول ، وملكه لا ينقرض » (٧ : ١٤) . والذى وصفه ومُلكه أشعيا النبى بقوله : « ودعى اسمه عجيباً مشيراً ، إلهاً جباراً ، أبا الأبد ، رئيس السلام . لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ، ليقرها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن وإلى الأبد » (٩ : ٦ و ٧)

ومامن شك ، أن بانضواء العالم أجمع ، أفراداً وجماعات ، تحت لواء يسوع المسيح ، « ملك الملوك ورب الأرباب » (رؤ ١٩ : ١٦) ، يمكن الإنسانية البائسة التى تتخبط اليوم ، على غير هدى ، فى جحيم من الأفكار الزائغة الثورية ، أن تجد أخيراً ضالتها المنشودة ، وماتصبو إليه من طمأنينة وسلام . إنما يسوع هو الطريق

---

(١) يحتفل بهذا العيد ، الذى رسمه قداسة البابا بيوس الحادى عشر فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ، فى يوم الأحد الأخير من شهر أكتوبر من كل سنة .

الأمين المؤدى إلى سعادة أكيدة ، وهو الحق الذى كل من تبعه فلا يمشى فى الظلام (يو ٨ : ١٢) . وهو الحياة التى أشرقت من العلاء ، والتى تدوم إلى الأبد دون أن يتبعها أفول . فقد قال : « أنا الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦)

يسوع ملك شرعى :

لنتأملن الآن كيف أن يسوع هو ملك شرعى ، يجب أن يملك على الجميع ، بسيطرته التامة على العقول والقلوب ، كما يملك حقيقة وفعلا فى كنيسته التى تدوم إلى الأبد .

على أن يسوع هو ملك شرعى ، لا باعتباره إلهاً مساوياً لأبيه فى الجوهر فحسب ، بل وباعتباره إنساناً أيضاً . فباعتباره إلهاً يتمتع يسوع بملكية كاملة مطلقة ، لا على الناس فقط ، بل وعلى الملائكة أيضاً وسائر المخلوقات . لأن كل ما فى الكون يدين له بالكيان والحفظ فى الوجود ، فهو الخالق والسيد والإله الأزلى ، الذى كل به كوّن ، وبغيره لم يكن شىء مما كوّن » (يو ١ : ٣)

أما أساس ملك يسوع المطلق ، باعتباره إنساناً ، على الخليقة كلها جمعاء ، فيأتيه من إتحاد ناسوته بلاهوته فى أقنوم الكلمة الأزلى . ذلك الاتحاد العجيب الذى يفوق كل وصف ، والذى ترتب عليه إعطاءه الملك والمجد والسلطان . ولذا فلا عجب أن يخاطبه الآب الأزلى على لسان المرتل قائلا : « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك . سلنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك » (مز ٢ : ٧و٨) . وأيضاً : « عرشك إلى الدهر وإلى الأبد . صولجان ملكك صولجان إستقامة . أحببت البر وأبغضت الإثم ، لذلك مسحك إلهك بدهن البهجة أفضل من شركائك » (مز ٤٤ : ٧ و ٨)

وعلى ذلك لم يخشَ يسوع أن يعترف أمام بيلاطس البنطى ، ممثل أعظم سلطة فى ذلك الحين ، قائلا له : « أنت قلت إنى ملك ، إنى لهذا ولدت ، ولهذا أتيت إلى العالم » (يو ١٨ : ٣٧) . وقد أعلن يسوع — قبيل صعوده إلى السماوات —

عن ملكه وسلطانه هذا غير المحدود ، بقوله بصريح العبارة : « إنى قد أعطيت كل سلطان فى السماء والأرض » (مت ٢٨ : ١٨)

ويبدو أن يسوع المسيح يتمتع بسلطان مطلق على الناس أجمعين ، سواء أكانوا مؤمنين أم غير مؤمنين ، وعلى الملائكة والمخلوقات كافة ، إذا تأملنا أن يسوع قد أضحى بسر التجسد ، بشهادة الرسول بولس : « بكر كل خلق .. والمبدأ البكر .. والأول فى كل شىء » (كو ١ : ١٨) . لأنه أعطى كمال النعمة والحكمة والقداسة ، كما يعلن لنا ذلك بوضوح الإنجيلى يوحنا قائلا : « وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً » (١ : ١٤) . وبذا فهو بحق المثال الكامل الأعلى للخليقة الكاملة فى عقله وقلبه ، وفى كل حركاته وسكناته .

ثم إن يسوع هو الملك الأعظم الذى ينبغى له مطلق المجد والكرامة والإذعان والطاعة بوصفه المخلص الرحيم الذى افتدانا بثمن دمه الكريم ، والذى « رضى الآب أن يحل فيه الملء كله ، وأن يصالح به الجميع لنفسه ، مسالماً بدم صليبه ما على الأرض وما فى السماوات » (كو ١ : ١٩ و ٢٠)

كذلك يستحق يسوع كل مجد وكرامة بصفته محسن البشرية العظيم ، الذى قضى على هذه الأرض بين الناس ثلاث وثلاثون سنة ، وفيض نعمه وحسناته يعم جميع طبقات الشعب ، من أغنياء وفقراء ، وصالحين وخطاة . وهو الذى جاءنا بتعاليم الحكمة الأزلية والخلاص ، تعاليم الإنجيل الوضاحة ، نوراً وهدى وحياة أبدية للعالمين .

هذا إلى سيرة يسوع التى تشع طهراً وقداسة ، والتى جاءت مطابقة كل المطابقة لتعاليمه وآدابه السامية الخلاصية . تلك السيرة التى هى نور وحرارة تضىء وتحيى كل الذين يقتفون آثار ذلك المعلم الإلهى .

يسوع ملك كل الدهور :

إن يسوع المسيح هو ملك شرعى يملك فعلا فى العالم ، ولاسيما فى كنيسته التى تدوم إلى الأبد . تلك الكنيسة ، ملكوت المسيح على الأرض ، التى يجب

على جميع البشر ، دون استثناء ، أن يدخلوا حظيرتها ليحظوا بالسلام واستتباب الأمن ، وما ينشدون من سعادة فى الدنيا والآخرة . إن ملكوت يسوع هذا ، هو اليوم كأمس وإلى الآبد ثابت كالصخره الصلدة لا يتزعزع لأنه تعالى وعد كنيسته قائلا : « وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨)

وما من شك فى أن شخصية يسوع ملكت على الشعوب والحوادث جميعها ، قوية الجانب معززة ، فى كل زمان ومكان . ففى العصور الخالية ، مذ وعد الله الأبوين الأولين بالمخلص ، وها إن انظار جميع الشعوب تتجه نحو هذا الفادى مبدع خلاصهم ، ومحط آمال البشرية الكبار .

وهذا الاتجاه لا يفقد ، مع مر السنين ، شيئاً من قوته ، بل ويضحى اشتياقاً وتلهفاً إلى ذلك المجىء المرتقب ، مجىء المسيح المخلص رجاء جميع الشعوب والأجيال قاطبة .

أجل إننا لا ننكر عظمة بعض الرجال الذين لفتوا إليهم الأنظار فى حياتهم ، وتركوا اسماً خالداً بعد موتهم . ولكن مَن مِن الرجال لفت إليه الأنظار قبل ميلاده منذ صدر البشرية ، مثل السيد المسيح ، منتظراً ومشتهى ، ومدعواً بالقاب المخلص ، وملك السلام ، وأبى الدهر ، الذى يجب أن تخضع له كل شعوب الأرض ؟

فحقاً إن يسوع المسيح ، ابن الله وابن البشر ، هو المركز والمحور الأول والوحيد ، الذى يدور حوله تاريخ البشرية ، بل والخليقة كلها جمعاء . فكل مافى الوجود وجد به ومن أجله .

على أن يسوع يسيطر على العالم بعد موته ، أكثر مما سيطر عليه فى حياته الأرضية ، وقبل ظهوره . وقد تنبأ عن اتجاه العالم العجيب هذا نحو شخصه الإلهى بقوله : « وأنا إذا ارتفعت عن الأرض جذبت إلىَّ الجميع » (يو ١٢ : ٣٢)

« فمذ صلب ومات جذب إليه الجميع : أخذ قائد المئة يقول ، بالحقيقة كان هذا

ابن الله . وقد أصبح صليبه أثمن وأجل مافى العالم ، يفاخر الملوك والكبراء بحصولهم على ذخيرة منه ولو طفيفة صغيرة .

ثم إنه بعد صعوده إلى السماء زادت قلوب تلاميذه شغفاً به حتى أصبحوا يرون العذاب فى سبيله حظاً وسعادة لهم . وانتشروا فى الأرض كلها ينادون بتعاليمه ويؤيدون شهادتهم لها بدمهم .. فمات الرسل كلهم محافظة على عهود حبهم ليسوع .

ومن بعد الرسل نهج المسيحيون نهجهم فى سبيل الرب يسوع ، فاستشهد عدد كبير منهم على توالى الأجيال ، مفضلين أن يضحوا بحياتهم وأن يقاسوا أمرّ الأعذبة على أن ينكروا اسم الرب يسوع . أحبه النساك والمتعبدون فهجروا الدنيا الغرور وملذاتها الخداعة ، ليتفرغوا لحب يسوع العذب . لقد أحبه العالم بأسره ، حتى أصبح محبوه وعابدوه يؤلفون السواد الأعظم فى كل البلاد الراقية . فما عرفه بشر إلا أحبه »

ملكوت يسوع على الأرض :

لقد أسس يسوع ملكوتاً روحياً ، غايته قيادة النفوس إلى ثغر الحياة الأبدية ، يدوم إلى الأبد ، مافى ذلك شك . وهذا الملكوت هو الكنيسة المقدسة . قال الملاك جبرائيل : « ويملك (يسوع) على آل يعقوب — الروحى أى الكنيسة — إلى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء » (لو ١ : ٣٢ و ٣٣)

ولذا فلا عجب ، أن نرى الكنيسة المجاهدة ، تلك العذلاء ، إلا من سلاح كلمة الله وقوة الحق ، تخرج من جميع تجاربها القاسية مكللة باكليل النصر والظفر . فهى العذراء الحكيمة التى غلبت قوة الجبابرة ، فدفنت الوثنية العاتية ، وخفضت من كبرياء الولاة والطغاة الظالمين ، وأغلقت أفواه الخارجين على الإيمان من منشقين وهراطقة .

وهى التى استطاعت بتعاليم الحق ، ودماء الشهداء الذكية ، أن تمدن الشعوب البربرية ، وتنتصر على كل الثورات العدائية ، والمؤامرات الدنيئة التى كانت تدبر سراً وعلناً لسحقها وإبادتها !

وبينما نحن نرى الممالك والتيجان تهوى فتبيد ويندثر ذكرها معها ، نشاهد الكنيسة بشيرة الملك الأعظم ترفع عالياً لواء السلام والوئام . والمحبة والإخاء بين الناس فى كل أرجاء المسكونة .

واجبنا نحو يسوع الملك الأعظم :

وحيث إن يسوع المسيح هو الملك الأعظم الذى يجب أن تخضع له الرقاب طراً . فمن واجبنا نحوه ، نحن معشر المسيحيين ، أن نكون له عبيداً أمناء ، يخلصون له المحبة والولاء ، يتفانون فى خدمته وحفظ جميع وصاياه . فقد قال : « إن أحبنى أحد يحفظ كلمتى » (يو ١٤ : ٢٣)

وهذه المحبة العملية ليسوع مليكنا المحبوب ، توجب علينا كذلك أن نفضل مجده الربانى العظيم على مصلحتنا الشخصية الحقيرة . وذلك بأن نطلب فى كل أعمالنا صغيرها وكبيرها ذلك المجد وما يرضيه تعالى : له العز والسجود والبركة من الآن وإلى الأبد : « لملك الدهور الذى لايموت ولايرى .. كل كرامة ومجد » آمين

عيد جميع القديسين

تطويبات السيد المسيح

فصل من إنجيل متى ٥ : ١ — ١٢

فلما رأى يسوع الجموع صعد إلى الجبل . ولما جلس دنا إليه تلاميذه . ففتح فاه يعلمهم قائلا . طوبى المساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات . طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض . طوبى للحزانى فإنهم يعزون . طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون . طوبى للرحماء فإنهم يرحمون . طوبى للأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله . طوبى لفاعلى السلامة فإنهم بنى الله يدعون . طوبى للمضطهدين من أجل البر فإن لهم ملكوت السماوات . طوبى لكم إذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من أجلى كاذبين . إفرحوا وابتهجو فإن أجركم عظيم فى السماوات .

إن الثمانية التطويبات التى علمنا إياها سيدنا يسوع المسيح ، حكمة الآب الأزلية ، على الجبل ، هى ثمانى حكم عالج فيها مسألة السعادة : تلك المسألة العسيرة ، التى عبثاً حاول الفلاسفة من قبل حلها .

وقد جاء حلّ يسوع لهذه المسألة ، من الوجهتين النظرية والعملية ، حلاً موفقاً صحيحاً يضمن لنا سعادة الدارين .

وعلى ذلك فالثمانى الحكم المذكورة ، علاوة على أنها تبيّن لنا ما هى سعادة الإنسان الحقيقية ، ترشدنا إلى الوسائل الفعالة ، التى تؤدى بنا إلى تلك السعادة .

إن السعادة المطلقة لا يمكن الحصول عليها فى هذه الدنيا ، بل فى الآخرة بامتلاك الله ينبوع كل الخيرات إمتلاكا مطلقاً كليًّا ، ومشاهدته تعالى وجهاً لوجه .

أما فى هذه الدنيا فلا يمكننا أن نطمح إلا إلى سعادة نسبية ، ركنها الأساسى وحجر زاويتها ، الطمأنينة الناشئة عن الضمير الصالح والابتعاد عن سبل الإثم .

وهذه السعادة التى تتمتع بها النفس الباطنة ، لا تمنع الإنسان الروحانى من أن يشعر بثقل الجسد ، الذى يجذبه دوماً نحو الأرض ، وبالصعاب التى تعترض سبيله للوصول إلى الكمال !

على أن الاستقرار فى هذا النوع من السعادة عربون السعادة الأبدية ، والنمو فيه هو بنسبة تقدمنا الروحى فى طريق الكمال المسيحى ، وهو الطريق السلطانى الذى نهجه لنا يسوع فى التطويبات .

أما من جهة الوسائل أو الشروط التى تضمن لنا السعادة بطريقة أكيدة ثابتة ، والتى حوتها الثمانية التطويبات فهى: عدم التعلق بخيرات هذا العالم الفانية ؛ وممارسة الوداعة والتواضع ؛ ثم التسليم التامّ لعناية الله الأبوية فى السراء والضراء ؛ حبّ الفضيلة والكمال ، وبالتالى حب شريعة الله المقدسة ، والعمل بمقتضى أوامرها ونواهيها .

البرّ بالقريب ؛ ونقاوة القلب وطهارة السيرة ؛ ثم العمل على توطيد أواصر المحبة والوئام بيننا وبين القريب ، وبنيان الجميع بقدوتنا الصالحة ؛ أخيراً احتمال كل اضطهادات الأشرار حباً بالمسيح .

☆ ☆ ☆

وقد علم سيدنا يسوع المسيح تعاليمه هذه من أعلى الجبل ، وفى عزلة تامة عن ضوضاء المدينة ، ليشير بذلك ، كما لاحظ القديس أغوسطينوس ، إلى سموّ هذه التعاليم الإلهية . وأننا لا نستطيع تحقيقها عملياً ، إلا بانعزالنا ، قلبا يكون بالروح ، عن العالم وأباطيل العالم ، واتجاهنا بكل قوانا وجوارح قلبنا نحو السماويات ، حيث الله ، ينبوع كل الخيرات ، وموضوع سعادتنا القصوى الأخيرة .

التطويب الأول

« طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات »

فى هذا التطويب الأول يعد سيدنا يسوع المسيح المساكين بالروح بملكوت السماوات أى بالسعادة الأبدية .

فمن هم هؤلاء المساكين المحظوظون ؟ هم المؤمنون كافة ، الذين يجدّون فى تطبيق أعمالهم على إيمانهم .

فى طليعة هؤلاء المؤمنين يجب أن نحصى أولئك الأبطال الذين تركوا كل شىء حباً بالمسيح ليتبعوه عن قرب ، وهو الذى لم يكن له حجر يسند إليه رأسه .

ثم هم جماعة المؤمنين الذين، وإن لم يتطوعوا الحياة الفقرولم يرغبوا فيها، مع ذلك تجدهم راضين عن حالتهم الفقرية ، فلا يحسدون قريبهم ولا يشتهون ماله . هؤلاء إذا طلبوا المال فيطلبونه بطمأنينة بال ، من غير ما إنزعاج أو قلق ، ومن باب حلال .

هم أخيراً الأغنياء ، الذين جردوا قلوبهم عن حب المال ، كأبينا إبراهيم وأيوب البار، وكثيرمن الأغنياء فى كل عصروجيل ، ممن لم تستعبدهم شهوة المال ، وإن كانوا ذوى ثروة طائلة .

مما تقدم يظهر أن الفقراء غير الصابرين ، والذين دوماً يتذمرون على العناية الإلهية ، ومتوسطى الحال الذين يريدون أن يقلدوا الأغنياء ، ويظهروا بمظهر البذخ ، والأغنياء الذين جعلوا كل إتكالهم على الأموال : هؤلاء جميعاً ليس من نصيبهم ملكوت السماوات .

* * *

إن المساكين بالروح أيضاً ، حسب معنى الآية الروحى ، هم المتواضعون . والمتواضعون هم الذين يقرون بأن كل مالديهم من مواهب طبيعية وفائقة الطبيعة هو من عند الله عز وجل ، وأنهم دونه تعالى لا يستطيعون شيئاً .

قال يسوع : « إنه لأسهل أن يدخل الجمل فى ثقب الإبرة من أن يدخل غنى ملكوت السماوات » (مت ١٩ : ٢٤)

أتعلم لماذا لايستطيع الغنى أن يدخل الملكوت السماوى ؟ لأن الغنى ، فى العادة متكبر ومنتفخ كالجمل . ومن غير المعقول أن يدخل من هو فى حجم الجمل طريقاً ضيقاً ، كما هو حال طريق الملكوت السماوى ، الذى شبهه المسيح هنا بثقب الإبرة!

لا بل وأن دخول الجمل فى ثقب الإبرة ، حسب تعليم المسيح البديع ، لأسهل من دخول الغنى ملكوت السماوات !

فطوبى للمساكين بالروح الذين هم فى خفة العصافير ، ولم يعد يربطهم شىء

بالأرض ، يستطيعون أن يحلقوا فى أجواء نقية ، هى ولا ريب ، صورة ضئيلة لأجواء ذلك الملكوت السعيد المعد لهم . « طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات »

التطويب الثانى

« طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض »

الوداعة هى فضيلة مسيحية لا تختلف فى جوهرها عن التواضع ، بل هى التواضع فى صورة ظاهرة ملموسة .

وعلى ذلك فالوديع هو من يعامل قريبه بكل حلم ، لطف وأناة : دمث الأخلاق ، ليّن الجانب ، عذب العشرة .

إذا ابتلاه الله بالتجربة فهو صبور ، وطويل الروح . يستسلم دوماً لعناية الله الأبوية ، ولا يطمح فى شىء سوى مرضاته تعالى .

الوديع أيضاً من يظهر الحلم مع نفسه ، فلا يستبعد شيئاً مطلقاً من بوادر طبيعته الساقطة ، ولا يغضب على نفسه من جرّاء هفواته ونقائصه . بل يعترف بكل بساطة بضعفه وعجزه الطبيعيين عن إتمام كل الخير الذى يشتهيه بالروح . وأنه دون نعمة الله تعالى لايستطيع أن يأتى بما يذكر من أعمال البر والصلاح .

إننا فى الواقع غير ودعاء ، لأننا نطمح بكبرياء إلى المقامات الرفيعة والتسلط على القريب ، وأن يعتدّ الناس بنا كشىء عظيم !

وفاتنا أن عظمة الإنسان الحقيقية هى فى تواضعه ووداعته ، وأن الوديع وحده ، دون سواه ، مستحق أن يسوس الجماعة . فهو الوحيد الذى يستطيع أن يُسيطر على قلوب الناس ، التى لا يمكن السيطرة عليها بالكبرياء مطلقاً !

إن الودعاء الذين بفضلهم وفضيلتهم يسيطرون على قلوب بنى جنسهم ، يسيطرون بأولى حجة على أنفسهم . إنهم يملكون حقاً قلوبهم ، ويسيطرون على كل حركاتهم وسكناتهم تمام السيطرة .

ميراث الودعاء فى الدنيا هو قلوب الناس ، التى يسبونها إلى محبتهم سبياً ، وفى الآخرة الملكوت السماوى ، أرض الميعاد الحقيقية ، التى كانت بلاد فلسطين ، أرض الميعاد فى هذا العالم ، ترمز إليها .

فضيلة الوداعة التى تكسبنا قلوب أخوتنا ومحبتهم ، والتى تذيقنا السعادة الأبدية مقدماً ، هى الفضيلة الوحيدة التى مع التواضع ، شاء سيدنا يسوع المسيح أن نتعلمها منه على وجه الخصوص . قال : « تعلموا منى أنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لأنفسكم » (مت ١١ : ٢٩)

ولم يقل مثلا تعلموا منى أنى صانع المعجزات الباهرات ، أو الذى صام وصلى طويلا ، أو الذى ذاق من العذاب ألواناً . . ذلك ليعلمنا أنه لا يعفى أحداً ، كائناً من كان ، من ممارسة هاتين الفضيلتين الأساسيتين !

فطوبى للودعاء الذين لا يأتون أبداً بشىء مما يغيظ قريبهم أو يهين خالقهم . وطوبى لهم ، على الأخص ، لأنهم مجدون فى عمل كل ما من شأنه أن يقرب الله والناس نحوهم .

هؤلاء يرثون الأرض التى تدرّ عليهم عسل المحبة الأخوية ، ولبن البنوة الإلهية .

التطويب الثالث

« طوبى للحزانى فإنهم يعزون »

هذا التطويب ، فى اليونانى وفى بعض التراجم كالقبطى ، هو الثانى لا الثالث ، كما فى اللاتينى وبعض التراجم الأخرى .

إن الحزانى الموجه إليهم هذا التطويب ، حسب رأى الآباء القديسين ، هم جماعة الأبرار الذين يستسلمون فى جميع أشجانهم وأوجاعهم ومختلف تجاربهم لعناية الله الأبوية الرحيمة بكل خضوع .

هم المبتلون بكل نوع من التجارب : فى أموالهم وعائلاتهم وصحتهم . . كما كان أيوب البار .

أو كما كان الرسول بولس فى بدء حياته الروحية مجرباً بحرب حامية الوطيس بحكم ناموس الخطيئة، فقد قال: «أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس روحى .. من ينقذنى من جسد الموت هذا. نعمة الله بيسوع المسيح ربنا» (رو ٧: ٢٣ و ٢٥)

هم بعض الأخيار الذين يقبلون المحنة من يد الله تعالى شاكرين، رغم مايقاسون من شدة التجارب ووطأتها!

هم أخيراً الصديقون الذين تحرروا من كل رباط أرضى، فاضحوا لاينشدون شيئاً آخر سوى إنحلال أجسادهم ليتحدوا بالمسيح. هكذا على مثال الرسول القائل بعد أن بلغ أوج الكمال والقداسة: «لى رغبة أن أنحل فأكون مع المسيح وذلك أفضل لى بكثير» (فل ١: ٢٣)

الحزانى أيضاً، حسب رأى كثير من الآباء، هم الخطاة الذين – تحت تأثير النعمة – يبكون ماضيهم المملوء رجاسة، آسفين عما فرط منهم من عصيان جسيم لخالقهم الكلى المحبة.

فكل هؤلاء الحزانى يعدهم يسوع بالتعزية، لا فى الآخرة فحسب، بدخول فرح سيدهم، بل وفى هذه الحياة أيضاً. فقد جاء وعد يسوع هذا على وجه الإطلاق، غير مقيد بشرط ألبتة. قال: «طوبى للحزانى فانهم يعزون»

فطوبى لك، أيها الأخ الحبيب، فيما لو كنت فى زمرة هؤلاء الحزانى، فثق أنك لن تلبث طويلا، وقد ترى أن العاصفة قد سكنت وقلبك امتلأ بالتعزية.

وكأنى بك تسألنى أية تعزية؟ تعزية يسوع التى تفوق كل وصف، عربون وبداية التعزية السماوية، التى لن يشوبها كدر إلى الأبد!

وهنا لا يسعنى إلا أن أقول لك، فيما لو كنت دون تجربة، موفقاً على الدوام فى جميع مشروعاتك وأعمالك أن تكون على وجل، لأن يسوع القائل طوبى للحزانى قال أيضاً: «الويل لكم أيها الضاحكون الآن، فانكم ستنوحون وتبكون» (لو ٦: ٢٥)

إن التعزية التى يمنحها الله للبار فى هذه الحياة هى ، فى كثير من الأحيان ، عظيمة بهذه الدرجة حتى إنها تنسيه كل شدائده ، كما كان يحدث للرسول بولس الذى كتب مرة فى رسالته الثانية لأهل كورنتس يقول : « وأنا فائض بالفرح فى جميع مضايقنا » (٢ كور ٧ : ٤) . « فطوبى للحزانى فانهم يعزون »

التطويب الرابع

« طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ فانهم يشبعون »

إن الجياع والعطاش إلى البر ، هم جماعة المؤمنين التوّاقين بإخلاص إلى القداسة والكمال :

هم الذين وطدوا العزم على السير مدى الحياة بمقتضى شريعة الله دون أن يحيدوا عنها يمنة أو يسرة ، مفضلين الموت على عصيان الله بارتكاب الخطيئة ، ولاسيما المميتة !

هم الذين يمارسون كل الفضائل المسيحية بحمية ونشاط ، ولاسيما الإيمان والمحبة والتواضع والصبر : الذين لا يألون جهداً فى صنع كل المبرّات وفعل الخير للقريب ، ولاسيما المبتلى بمختلف التجارب ، وفيه يرون صورة يسوع معلمهم الإلهى المتألم !

هم الذين يتقدمون بكثرة وحرارة قلب ، إلى قبول الأسرار المقدسة ، ولاسيما سرى التوبة والمناولة ، ينابيع النعمة التى لا تنفد أبداً !

هم أخيراً الذين يعملون بأقصى جهدهم وبكل ما فى طاقتهم على مطابقة إرادتهم إلى إرادة الله عزّ وجلّ مطابقةً تامّة ، طالبين مرضاته تعالى وتمجيد اسمه القدوس فى كل شىء .

إن جميع هؤلاء سيمنحون عاجلاً أو آجلاً ، كل بحسب دعوته ، ما يشتهون من برّ وكمال وقداسة . لا بل وأعظم مما يشتهون ويطلبون ، أضعافاً مضاعفة ، إلى حدّ الشبع : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون »

فى هذه الدنيا برؤياهم أن كل مقاصدهم الصالحة النبيلة ، وما كانوا يطمحون إليه بغيرة مقدسة من برّ واستقامة سيتحقق لهم بإطراد بنعمة الله : « الذى ابتدأ فيكم العمل الصالح ، يتممه » (فى ١ : ٦)

أما فى الآخرة فبالاتحاد الكامل بالله ينبوع كل بر وكمال وقداسة . هذا بخلاف الذين لم يكترثوا مطلقاً بإصلاح سيرتهم ، ولم يظهروا أية رغبة فى أن ينهجوا طريق البر والاستقامة ، وهو الطريق الذى دعوا إليه بدعوتهم إلى المسيحية .

وكذا الذين ، وإن أظهروا بعض هذه الرغبة ، لم يعملوا من جهتهم أى عمل يذكر لتحقيق هذا الهدف ، ولم يعزموا أبداً عزماً صادقاً على أن يعملوا لخلاص نفوسهم .

هؤلاء جميعاً سيأتى عليهم يوم ، يشتهون فيه البر والأعمال الصالحة التى يزدرونها ولا يقدِّرون قدرها الآن ، ولكن سيكون ذلك بعد فوات الأوان !

ولذا فلا عجب أن يتركهم عدل الله يتضوَّرون جوعاً وعطشاً ، حسرةً منهم على ما فاتهم من سعادة أبدية ، وذلك فى سعير نار لا تطفأ !

فطوبى لتلك النفوس الحكيمة بحكمة أبناء الله ، التى لا همّ لها فى هذه الدنيا العاجلة سوى التزود بأعمال البرّ والفضيلة والكمال والقداسة . تلك الأعمال التى تستحق لصاحبها دخول السعادة والراحة الأبدية : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون »

التطويب الخامس

« طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون »

الرحمة هى فضيلة مسيحية تحثنا على إبتغاء كل الخير ، لا بل وعمل كل الخير للقريب كما لأنفسنا .

والقريب ، على حدّ تعبير الكتاب ، لا يعنى فئة معينة من الناس ، بل الناس أجمعين دون استثناء : الأجنبى كالمواطن ، والعدو كالصديق .

وعلى ذلك فالرحمة هى ، ولا شك ، أعظم مظاهر المحبة المسيحية لأنها فضيلة عملية ، والناس هم أكثر حاجة إلى عملنا منهم إلى كلامنا .

إن أعمال الرحمة الممكن ممارستها مع القريب هى كثيرة ومتشعبة كما هى كثيرة ومتشعبة مشاكله الروحية والجسدية . أهمها : مراعاة حق الفقراء والمعوزين الذين لا طاقة لهم على العمل . وذلك بتوفير الغذاء والكساء لهم ، بل والمسكن والعلاج الضرورى ، وما إلى ذلك من إحتياجات وضروريات .

ومن أعمال الرحمة : إيواء الأيتام والعجزة والغرباء ، وفتح الملاجىء والمدارس المجانية لأبناء الفقراء ، وتشجيع ما هو كائن منها بالمال والدعاية ، ولاسيما بالصلاة من أجل نموها ونجاح مشروعاتها .

وكذا مكافحة البطالة وفتح أبواب الرزق والعمل للقادرين على العمل ، ولاسيما لأرباب العائلات الفقيرة ، الذين لا عماد لهم ، سوى كسبهم اليومى الضئيل .

هذه هى بعض أوجه البر والإحسان التى يجب بذلها للقريب المحتاج ، وهى أقل ما يطلب منا لنكون رحماء .

وليست هذه ، إلى ما لم نذكر ، لضيق المجال ، من أعمال خيرية وإجتماعية كثيرة متنوعة ، هى من واجبات الحكومات والأغنياء فحسب ، بل ومن واجبات المجتمع أفراداً وجماعات ، أغنياء وفقراء : فكل يجب عليه أن يعمل بقدر طاقته ومواهبه ، مستخدماً كل سلطانه ونفوذه للوصول لهذا الهدف النبيل ، ألا وأعنى به خير الإنسانية ، وتخفيفاً لوطأة آلامها .

من أعمال الرحمة أيضاً ، عيادة المرضى ، وعلاج الفقراء مجاناً ، تعزية الحزانى ، ومؤاساة البائس . هذا إلى جانب الحسنة التى يجب أن تبذل بسخاء متى إقتضى الحال . والعمل على إدخال السرور والطمأنينة على المتضايقين والمضنوكين بمختلف تجارب الحياة وصروف الدهر .

* * *

عمل هام من أعمال الرحمة الروحية هو تعليم الجهلة العلوم النافعة ، ولاسيما واجباتهم الدينية .

وكذلك المشورة بالخير أى بما يُرضى الله عزّ وجل ، والعمل بكل طاقتنا لإبعاد القريب عن الشر ، ولاسيما شرّ الخطيئة ، وانتشاله من مواطن العطب والتهلكة الروحية والجسدية . وكل هذه من أعمال الرحمة الممكن ممارستها بسهولة فى كل مكان وزمان .

ويمكنك أن تقوم بهذه المهمة ، دون أن تشعر قريبك بذلك ، أو على الأقل دون أن تجرح شعوره . هذا إذا توخيت الفطنة ، وعرفت أن تنتهز الفرصة المؤاتية . لأن موقفك منه موقف المعلم أو المرشد الروحى قد ينفرهُ منك ، ويجعله يزدرى بتعليم الحكمة . وللمثل الصالح تأثير محسوس فى تأدية هـذه الرسالة الأخوية .

ومن أعمال الرحمة الروحية أيضاً الصفح بسخاء عن السيئات ، والصبر على نقائص القريب ، وهذه أعمال تدل على ثبات صاحبها وعلوّ باعه فى الفضيلة .

وإنك لترى مما تقدَّم كم هى عديدة تلك المناسبات المهيئة لنا فى هذا المضمار لممارسة فضيلة الرحمة . ففى كل ساعة ، وفى كل مكان نستطيع ، فيما لوكنا حكماء حقاً ، أن نكتسب من الأجور السماوية ما لا يحصى ولا يعد .

« طوبى للرحماء فانهم يرحمون » أتريد أيها القارىء الحبيب ، أن تنال حظوةً فى عينى ربك ، فكن رحيماً مع قريبك . ثمَّ أتطمع فى مغفرته تعالى ، فاغفر لأخيك .

ثم أتبتغى أن تحظى بكمال الرحمة ، فتدخل سعادة لاتبلى ولا تفنى ، فاصنع كل ماتصل إليه يدك من خير لقريبك .

وكن على ثقة أن كل ماتصنعه لأحد هؤلاء إخوة المسيح الصغار ، فانك تصنعه للسيد المسيح نفسه . وهو السيد الذى يكافىء عبيده الأمناء بالتعزية والرحمة الأبدية ، فى جنات الخلد وفردوس النعيم : « طوبى للرحماء فانهم يرحمون »

التطويب السادس

« طوبى للأنقياء القلوب فانهم يعاينون الله »

إن الأنقياء القلوب هم الذين يحفظون نفوسهم من كل دنس خطيئة ، ولاسيما من الخطايا المضادة للعفة والطهارة .

هم بنوع خاص ، العبيد الأمناء والبنون البررة ، الذين لايكتفون بالابتعاد عن الخطايا المميتة فحسب ، بل ويسعون للابتعاد عن ارتكاب العرضية أيضاً ، ولاسيما الإرادية الصادرة عن معرفة تامة وإرادة حرة .

هم بالعموم جماعة المؤمنين الحكماء الذين يقدّرون موهبة النعمة ، التى تقدس نفوسهم وتجعلهم شركاء فى الطبيعة الإلهية ، حق قدرها ، فلا يفرّطون فيها بكل خيرات هذا العالم !

فكل هؤلاء جميعاً لهم الحق فى معاينة الله : هنا على الأرض بنور الإيمان الذى يكشف لهم عن عجائب ، هى سرّ مختوم لحكماء هذا العالم وفى الآخرة بنور المجد المزمع أن يتجلى فيهم .

الآن يعاينون الله كما فى مرآة ، أما حينئذ — فى الفردوس السماوى — فيعاينونه تعالى وجهاً لوجه (١ كور ١٣ : ١٢)

على أن رؤية الله ، سواء فى هذه الحياة أم فى الآخرة (وفى كلتا الحالتين هى رؤية عقلية ، إنما الله روح ، فلا يمكن أن يقع تحت الحواس) هى بنسبة نقاوة قلوبنا ، أو بعبارة أوضح هى بنسبة تقدمنا فى الفيضلة وحياة الكمال المسيحى .

ولاعجب ، فكما أن رؤية الأشياء الطبيعيةهى نسبية ، بحيث إن من كان نظرهُ حاداً رأى الأشياء بوضوح ، وضعيفه رآها غير واضحة ، كذلك فى الروحيات ، بقدر ماتكون عين القلب ، أو الروح وهو مايعادله ، أكثر نقاوةً فبقدر ذلك يكون فهمها وإدراكها للروحيات ، وبالتالى لله ذاته محور الحياة الروحية .

ومما لاشك فيه إن الرذيلة ، ولاسيما الرذيلة المضادة للطهارة ، كغشاوة كثيفة ، تمنع النفس من رؤية جمال الحياة الفائقة الطبيعة ، وما ترتب على هذه الحياة من

مواهب جليلة وحقوق ثابتة استحقها لنا سيدنا يسوع المسيح بثمن دمه الكريم .

ولذا فإن هذه النفوس التعيسة تفقد إيمانها رويداً رويداً ، إن لم يكن نظرياً فعملياً حتماً ، فتأخذ تخبط خبط عشواء ، متسكعة فى ظلمات الخطيئة والإثم ، إلى أن يدركها ، عاجلا أو آجلا ، الظلام الذى لانهاية له ، حيث البكاء وصريف الأسنان !

فالطوبى ثم الطوبى للأنقياء قلوبهم ، لأن إيمانهم ، وهو ملتهب دوماً بنار المحبة ، يضىء إليهم مبدداً ظلمات هذا العالم المخيفة ، حتى دخولهم النور الذى مبعثه الله والحمل : « طوبى للأنقياء قلوبهم فإنهم يعاينون الله »

التطويب السابع

« طوبى لصانعى السلامة فانهم بنى الله يدعون »

صانعو السلامة ، هم الذين يسعون سعياً حثيثاً فى مصالحة إخوتهم المتخاصمين وحثهم على التسامح المتبادل ، وإن لم يوفقوا دوماً فى هذه المهمة الشاقة .

هم الذين يجدّون فى رفع أسباب الخصومات والمنازعات ، متحاشين كل مامن شأنه أن يعكر صفاء المحبة الأخوية .

هم على الأخص ، الذين تتسع قلوبهم للصفح عن زلات القريب ، ومغفرة كل مايلحق بهم من سيئات ، عاملين على توطيد السلام بينهم وبين إخوتهم بكل مافى طاقتهم ، ممارسين الفضائل المسيحية كافة ، ولا سيما الوداعة والتواضع .

كل هؤلاء يدعون أبناء الله ، لأنهم يتشبهون بالله أبيهم السماوى إله السلام ، مقتفين آثار السيد المسيح رئيس السلام (أش ٩ : ٧) الذى عمل على مصالحتنا مع الله ، مكفراً عن خطايانا جميعها على عود الصليب ، ومصالحة البشر بعضهم مع بعض ، برفعه من الوسط كل أسباب البغضاء والتناحر بينهم ، والحواجز التى كانت تفصلهم بعضهم عن بعض ، بحيث — لم يعد بعد على حد تعبير الرسول بولس — لايونانى ولايهودى . . ولاعبد ولاحر . بل المسيح هو كل شىء وفى الجميع (كو ٣ : ١١)

وعلى ذلك فكل من يعمل لإيجاد السلام وتوطيد السلام ونشر السلام فهو ابن لله وأخ للسيد المسيح ، وبالتالى له الحق فى الميراث الأبدى : « وحيث نحن أبناء فنحن ورثة ، ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رو ٨ : ١٧)

هذا بخلاف الذين يعملون ، عن معرفة ، على بث روح الشقاق والبغضة بين الإخوة ، فلا ريب ، أن أمثال هؤلاء يأتون بعمل من أعمال الشيطان الرجيم أبيهم. وحيث إنهم إتخذوا من الشيطان أباً ومعلماً ، فهم لايرثون إلا الشيطان !

لهؤلاء يقول الديان العادل فى اليوم الأخير : « إذهبوا عنى ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (مت ٢٥ : ٤١)

التطويب الثامن والأخير

« طوبى للمضطهدين من أجل البر فإن لهم ملكوت السماوات »

المضطهدون من أجل البر ، هم الذين ، فى سبيل البر والاستقامة ، يحتملون كل المتاعب والصعاب التى تعترضهم من الخارج بصبر وأناة .

ولاعجب ، أن يضطهدالعالم البار ، وهو الواقع كله أى العالم ، تحت حكم الشرير (١ يو ٥ : ١٩) . ويضطهد البار لأنه بطهر سيرته « قدصار للعالم عذولا .. بل إن منظرهُ ثقيل علينا – يقول العالم – لأن سيرته تخالف سيرة الناس ، وسبله تباين سبلهم » (حك ٢ : ١٤ – ١٥)

غير « أن نفوس الصديقين هى بيد الله » (حك ٣ : ١) فلا بأس عليهم . وليست الاضطهادات التى يكيلها لهم الأشرار ، إلا علامة إختيار من جهة الله أبيهم السماوى ، الذى يريد ، بسماحه بالاضطهاد ، تمحيص مختاريه ، كما يمحص الذهب فى البوتقة .

والاضطهاد هو علامة إختيار ، لأنه العامل الأخير الذى يفصلنا تماماً عن حب العالم ، لنرتمى بكامل ثقتنا فى أحضان أبينا السماوى .

وهو الخاتم الذى يميز الأخيار عن الأشرار . به نضحى صورة ناطقة ليسوع

المسيح ابن الله بالطبيعة، الذى قاسى كإنسان أفدح أنواع الإضطهاد، بل ومرّ العذاب والآلام والموت على الصليب من مضطهديه.

لنحتبرن إذن أنفسنا سعداء حقاً حينما نوجد أهلا للاضطهاد، ولتمتلىء قلوبنا بالتعزية، وشجاعة مقدسة لإحتمال كل اضطهاد بصبر وأناة، بل وبسرور عظيم، فقد حفظ الله لنا أجراً عظيماً فى ملكوته السماوى: «طوبى لكم إذا اضطهدوكم وعيروكم وقالوا عليكم كل كلمة سوء من أجلى كاذبين، حينئذ سرّوا وابتهجوا فان أجركم عظيم فى السماوات» (مت ٥: ١١ و١٢)

فطوبى للأبرار الذين وطنوا العزم على التشبه بمعلمهم الإلهى يسوع المسيح صابرين إلى النهاية: «فهم فى وقت إفتقادهم يتلألأون ويسعون سعى الشرار بين القصب، ويدينون الأمم» (حك ٣: ٧و٨)

٭ ٭ ٭

هذه ولاشك، لمحة عاجلة فى تطويبات سيدنا يسوع المسيح، إستطعنا أن نرى من خلالها كم هى عظيمة وسامية الحكمة التى تضمنتها. تلك الحكمة التى يجب أن تكون رائد كل مسيحى حكيم يريد أن يحظى بسعادة أكيدة: فى الآخرة بنوع كامل بامتلاك الملكوت السماوى. وفى الدنيا بطمأنينة البال الصادرة عن الضمير الصالح!

أجل، أن العالم لايفهم، ولايريد أن يفهم لغة التطويبات، لا بل ويضحك منها لأنها تعليم، على خط مستقيم، ضد تعاليمه: ذلك العالم الذى يسمى الوداعة جبناً، والإماتة جنوناً، تعساء الفقراء والمضطهدين.

الذى يطوب الأغنياء والذين يتمتعون بملذات هذا العالم! ولكن ليذكر المسيحى أن الله هو الذى سيدينه فى اليوم الأخير وليس العالم، وحسب هذه التعاليم والمبادىء المقدسة، لاحسب تعاليم العالم الرديئة والمعوجة.

صليحو

يسوع والتواضع

(متى ١١ : ٢٩)

من تصفح الإنجيل بروية ، وأمعن النظر فى سيرة سيدنا يسوع المسيح ، رأى لساعته ، أن الكمال كل الكمال ، والمثل العليا يتجسمان فيه تجسماً . وأن ليست هى صفة أو فضيلة بعينها ، التى تميز هذه الشخصية الجذابة ، والفريدة فى تاريخ البشرية ، بل مجمل الفضائل ، والصفات الحسنة جميعها : وفيها يبزُّ يسوع جميع القديسين وكل عظماء الرجال .

ومع ذلك فإن يسوع لم يشأ أن نتعلم منه ، على وجه الخصوص ، غير فضيلة واحدة ، وهذه الفضيلة هى التواضع . قال : « تعلموا منى أنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩)

ويمكننا أن نسأل لمَ إختار يسوع التواضع ، ولم يختر فضيلة أخرى ، مثلا الطاعة أو العفاف . فالجواب هو إنه اختار التواضع ، لأنهُ فضيلة أساسية . إذ من غير تواضع لايمكن أن تقوم قائمة لفضيلة ما .

بل وفى الحياة العملية أيضاً ، التواضع هو أساس كل نجاح ورفعة . وعلى ذلك قال يسوع : « من رفع نفسه إتضع ، ومن وضع نفسه إرتفع » (لو١٤ :١١)

أما الوداعة التى ذكرها يسوع مع التواضع ، فماهى إلا التواضع فى صورة خارجية ظاهرة ، تبدو للعيان فى دماثة الأخلاق ، ومعاملة القريب بدعة وأناة وسعة صدر .

غير أن يسوع أراد أن يعلمنا التواضع بمثله ، قبل أن يعلمنا إياه بقوله : فولد من أم فقيرة ، فى مدينة خاملة الذكر ، لافى قصر ولا فى بيت ، بل فى مغارة حقيرة ، وقد أضجع فى مزود للبقر .

وهو الوحيد بين بنى البشر ، لوشاء لجاء إلى العالم فى أهبة المجد والسلطان .

لكن هو التواضع ، وإن فى غناء عنه ، شاء أن يلتحف به منذ أول لحظة من دخوله العالم . وذلك ليعلمنا ممارسة هذه الفضيلة على الوجه الأكمل .

ومامن شك فى أن حياة يسوع هى سلسلة من التواضع ليس بعده تواضع : فهربه من وجه هيرودس ، وطاعته لمريم ومار يوسف ؛ وإحترافه مهنة النجارة المتواضعة ، مدة ثلاثين سنة ؛ وطلبه معمودية يوحنا المعمدان كالمحتاج إلى تطهير ؛ واختلاطه بالخطاة والأثمة ؛ ثم تنقله الدائم فى مدن وقرى فلسطين ، من غير أن يكون له حجر يسند إليه رأسه ؛ وأن يختم رسالته معلقاً على خشبة الصليب عرياناً ، وسط لصين كأنى به أكبر المجرمين :

كل هذه أفعال تواضع سامية تشهد بحب الله لهذه الفضيلة الوعرة ، التى لابد لنا من تذليلها إن شئنا الرفعة الحقيقية ومجد الحياة الأبدية . وقد سبق أن مارس ابن الله التواضع على هذا المنوال الشاق ، لئلا نجد نحن التراب والعدم صعوبة فى ممارسة هذه الفضيلة ، وإن على خط مستقيم ضد كبرنا ، واعتدادنا بالنفس الفطريين .

⁂

وليس بخاف أن تواضع يسوع لم يكن عن إضطرار ، بل لتعليمنا وفى سبيل محبتنا : فقد هرب ، وكان فى إمكانه أن يصمد أمام أعدائه ومضطهديه . وأطاع ، وهو السيد والخالق ، ليعلمنا الطاعة للرؤساء .

واحترف مهنة متواضعة ، ليرفع من منزلة العمل ، ويعلم الجميع إحترام العمال . وشاء أن يحصى مع الأثمة ، لأنه جزم أن يأخذ أمراضنا ويحمل أوجاعنا ، بل وماهو أعظم من ذلك ، ثقل خطايانا . وضحى براحته فى طلب الخروف الضال ، فى المدن والقرى والبرارى ، ليعلم رسله وتلاميذه الغيرة على خلاص النفوس .

وحيث إنه أحبنا حتى النهاية ، ولامحبة أعظم من هذه أن يبذل المحب نفسه عن أحبائه ، فقد تطوع وبذل نفسه عنا . وبذا خلصنا من عبودية إبليس والخطيئة ، واستحق لنا الحياة والسعادة الأبدية .

فما أعظم التواضع ! وبه استحق لنا المسيح فداءً أبدياً ، ورفعة لاتسامى ، رفعة البنوة الإلهية : « أنظروا أية محبة منحنا الآب حتى ندعى ونكون أبناء الله » (١ يو ٣ : ١)

والتواضع هو الأساس ، الذى ترتكز عليه الفضائل المسيحية جميعها . وهو الأساس للشخصية الجذابة المحبوبة عند الله والناس .

عند الله ، لأنه تعالى «يقاوم المتكبرين ويؤتى المتواضعين نعمة» (١بط٥ : ٥). ويقاوم الله المتكبر ، لأنه يدعى ماليس له : يدعى العظمة ، والعظمة لله وحده ويدعى الصلاح وماهو بصالح . ثم هو يفترى لأنه ينكر فضل ربه عليه . « وأى شىء لك لم تنله . فإن كنت قد نلته فلماذا تفتخر كأنك لم تنله » (١ كو ٤ : ٧) .

أما المتواضع ، فإن إفتخر ، فافتخاره بالله . لأنه على يقين من أن كل مالديه يستمده من الله . وبذلك فهو يمجد الله .

وهو محبوب عند الناس ، لأنه بتواضعه وعفافه ، يزيل كل أسباب الشقاق والخصام ، وكل مامن شأنه أن ينفر الغير ، جاذباً إلى محبته الجميع .

لنتعلمن التواضع إذن من يسوع معلمنا الإلهى ، تلك الفضيلة التى هى أساس كل فضيلة ، وكل رفعة فى الدنيا والآخرة ، ومعين الخير الذى لاينضب : « تعلموا منى أنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لأنفسكم » (مت ١١ : ٢٩) .

الدعوة إلى الوليمة

(لوقا ١٤ : ١٢ — ٢٥)

« ودخل يسوع بيت أحد رؤساء الفريسيين فى السبت ليأكل خبزاً »[١] ومن درر تعاليمه السماوية التى أعلنها ، فى تلك المناسبة ، نصيحته هذه لصاحب الدعوة : « إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدعُ أحباءك ولا إخوانك ولا أقرباءك ، ولاالجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك منهم المكافأة .

---

(١) أكل الخبز : اصطلاح عبرى ، معناه تناول الطعام ، مهما كان نوعه .

ولكن إذا صنعت مأدبة فادعُ المساكين والجدع والعرج والعميان فتكون مباركا ، إذ ليس لهم ما يكافئونك به — هذا فى الدنيا . أما فى الآخرة — فتكون مكافأتك فى قيامة الصديقين »

فلما سمع هذا بعض المتكئين سُرَّ أيما سرور ، وقال متحمساً : « طوبى لمن يأكل خبزاً فى ملكوت الله »

فأجابه يسوع بمثل من أمثاله الشهيرة ، مبيناً له كيف أن أكثر الناس يؤثرون الاستماع للدنيا وأفراحها ، على الاستماع لله الداعى الجميع للاشتراك فى أفراح وليمته السماوية . قال له : إن رجلا صنع عشاء عظيماً ودعا كثيرين . وفى ساعة العشاء ، أرسل عبيدهُ يقول للمدعوين هلموا فإن كل شيء قد أعد . ولكنهم طفقوا جميعاً يعتذرون . فقال الأول : قد اشتريت حقلا ، ولابدَّ لى أن أخرج وأنظرهُ ، فأسألك أن تعذرنى . وقال الآخر . قد اشتريت خمسة فدادين بقر ، وأنا ماض لأجربها ، فأسألك أن تعذرنى . وقال ثالث : قد تزوجت امرأة ، فلا أستطيع أن أجيء .

فحينئذ غضب رب البيت وقال لعبده : أخرج سريعاً إلى شوارع المدينة وأزقتها وَأْتِ بالمساكين والجدع والعميان والعرج إلى ههنا . ولم تمض هنيهة وإذا بالعبد يخبر سيده قائلا : ياسيد قد قضى ما أمرت به وبقى محل . فقال السيد للعبد : أخرج إلى الطرق والأسيجة واضطرهم إلى الدخول حتى يمتلىء بيتى . فإنى أقول لكم إنه لايذوق عشائى أحد من أولئك الرجال المدعوين .

من هذا المثل يظهر جلياً أن الدعوة لدخول الحياة الأبدية هى موجهة إلى جميع الناس ، دون إستثناء أحد ، من أى طبقة وحال كانوا . وإن قيل أن ثمة إمتيازاً ، فهذا الإمتياز هو للأغنياء لاللفقراء ، فقد وجهت إليهم الدعوة قبل الجميع ، بما حباهم الله ، فى هذه الدنيا ، من أنعام وأرزاق واسعة تساعدهم ، ولاشك ، إن شاءوا على عمل البر والصلاح .

غير أن الفقراء ، وإن لم توجه إليهم الدعوة أولا ، فإن الملك الأعظم يضطرهم إضطراراً إلى دخول وليمته السماوية ، لأن شعورهم بالفاقة فى هذه الحياة الدنيا

يجعلهم يرغبون فى الخيرات الباقية الأبدية أكثر من الأغنياء .

وقد رأى الآباء القديسون بصواب فى تلك الأعذار ، التى إنتحلها أصحابها المدعوون إلى العشاء العظيم ، الشهوات الثلاث ، ألا وأعنى بها حبّ المال ، واللذات ، والمجد والجاه العالمى . وهى التى عبر عنها الرسول الحبيب يوحنا بقوله : « إن كل مافى العالم هو ، شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة » (١ يو ٢ : ١٦)

هلموا يقول الرب ، بواسطة عبيده خدام الكلمة للأغنياء وأصحاب المطامع والمتكبرين ، هلموا فقد أعد كل شىء لخلاصكم الأبدى . فيجيب هؤلاء ، كلا . لقد اشتريت ضيعة ... السماء والآخرة ؟ ! نحن لا نريد أن نفكر الآن فى السماء ، بل فى التقدم فى الدنيا ، نريد اسماً وشهرة ، بل سلطة وعظمة .

وما بالكم تزعجوننا بذكرى الآخرة ؟ ألا نستطيع أن نتمتع بدنيانا ؟ دنيا الأمانى والأحلام الحلوة اللذيذة ، دنيا المقتدرين وأصحاب الرتب السنية ؟

تعالوا يقول خدام الرب للتجار وأصحاب المهن المنغمسين فى كل نوع من المكاسب الحلال والحرام ، تعالوا فإن كل شىء قد أعد لخلاصكم ، فيجيب هؤلاء أيضاً ، كلا . لقد اشتريت خمسة فدادين بقر . . لنا مصالحنا وأعمالنا التى لا تسمح لنا بتضييع أوقاتنا . . ! إن المكاسب والأرباح هى كل شىء لهذه الطبقة الجشعة التى تقول على الدوام هات هات دون أن تشبع أبداً !

تعالوا يقول خدام الكلمة ، تعالوا أيها الناس المفتدون بدم المسيح إلى الوليمة التى أعدت لكم منذ إنشاء العالم ، لا . لا . يجيب الفساق والمخنثون . قد تزوجت امرأة . . « هؤلاء الذين بذيغ أفكارهم قالوا : إنما حياتنا ظل يمضى ولا مرجع لنا بعد الموت . . . فتعالوا نتمتع بالطيبات الحاضرة ، ونتروى من الخمر الفاخرة ، ونتكلل بالورد قبل ذبوله ، ولا يكن مرج إلا تمر لنا فيه لذة » (حك ٢)

لنحذرن نحن أبناء النور من الانغماس فى اللذات المهلكة ومن الحرص والطمع المفرط ، وطلب مجد وهمى ، سريع الزوال ، لأن كل الذين رفضوا نداء النعمة ولم يلبوا دعوة الخلاص بسبب إنهماكهم فى شهواتهم الموبقة قد حُرموا وإلى الأبد من الاشتراك فى وليمة الملك الأعظم ، رب السماوات والأرض .

الإيمان الواهب الحياة الأبدية

(يوحنا ٣ : ٣٦)

« من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية ، ومن لا يطيع الابن فلا يعاين الحياة ، ولكن غضب الله مستقر عليه » (يو ٣ : ٣٦)

هذه هي آخر شهادة ليوحنا المعمدان تعلن بوضوح أن الإيمان بيسوع المسيح هو شرط ضروري للخلاص . ذلك ان يسوع المسيح هو ابن الله ، وابن الله بالطبيعة ، أرسله الآب هدًى وخلاصاً للعالمين : فمن آمن به ينال الحياة الأبدية ، ومن لم يؤمن به فلا ينال هذه الحياة ، بل وجام غضب الله مستقر عليه ، مادام الله إلهاً ولا مجير .

وقد ذكر الإيمان لا غير ، لا لأن الإيمان هو الشرط الضروري الوحيد للخلاص ، بل لأنه الشرط الذي له الأسبقية على غيره . فهو في الدين بمثابة الأساس للبنيان ، بحيث إذا رفعت الإيمان تقوض كل بنيان الدين .

كما وذكر الإيمان بالابن خاصة ، لأن الابن ، ولاسيما بعد تجسده ، هو دون جدال ، مركز ومحور الدين الحقيقي الوحيد ، الذي يجب أن يدين به كل البشر . وعليه فالإيمان بالابن يتضمن الإيمان بكل ماله صلة قريبة أو بعيدة بالابن . إذن بكل ماجاء في العهدين القديم والجديد . لا بل وبكل ماأوحى به الله من حقائق ، سواء أدونت في الكتاب المقدس ، أم لم تدون ، وقد وصلتنا بواسطة التقليد .

وبالإيجاز فإن الإيمان بالابن هو الإيمان بكل حقائق الوحي ، إذ لا توجد حقيقة واحدة منه ، إلا ولها صلتها بالابن : إن لم يكن باعتباره ابن الله فباعتباره ابن البشر ، أو مخلص العالم ، أو معلم البشرية ومصلحها العظيم .

ولا نقول جديداً إذا قلنا : إن رفض حقيقة واحدة من حقائق الوحي — وكلها كما سبق القول لها علاقتها الوثيقة بالابن — تكفي ليقطع الإنسان من عضوية الكنيسة جسم المسيح السري .

والذى لا شك فيه ، إنه يجب على المسيحيين كافة أن يتلقوا حقائق الوحى جميعها من الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الله .

وهى السلطة الوحيدة التى إختارها ابن الله لتعلمنا حقائق الإيمـــان ، والتى بالتالى لها وحدها الحق فى تفسير الكتاب المقدس ، وتمحيص التقليد .

* * *

غير أن الإيمان ، وأن شرطاً جوهرياً ، كما ذكرنا ، فما هو إلا بمثابة أساس ليس إلا . ومعلوم أن أساساً من غير بنيان لا يمكن أن ينفع صاحبه شيئاً ، لا بل وإن واضع مثل هذا الأساس العاجز عن إتمام البنيان يضحى ، كما يقول الإنجيل الكريم ، عرضة للسخرية .

إذن فمن يريد أن ينتفع بأساس الإيمان فلا بد له من أن يبنى عليه برج الكمال المسيحى ، ذلك البرج الذى لا تقوم له قائمة من غير الأعمال الصالحة .

وعلى ذلك فمن يؤمن ، ولا يعمل بموجب الإيمان فهو أشبه ما يكون بالمعطلة ، وهم جماعة الكفرة الذين أنكروا وجود الله ، زاعمين أن لاحياة إلا الحاضرة ، وأن الإنسان ينتهى بالموت .

لا بل إن مثل هذا المسيحى هو أكثر حماقة من المعطلة أنفسهم، لأنه إن وجد عذر ما لهؤلاء بسبب جهلهم المطبق ، لا عذر للمسيحى مطلقاً ، وقد عرف بنور الإيمان مالا يعرفون .

ومامن شك فى أن من يؤمن ولايعمل الأعمال التى تليق بالايمان ، فهو يؤمن على غير جدوى . لأن الإيمان الواهب الحياة الأبدية هو الإيمان الحى والعامل ، الذى يحيا ويعمل بالمحبة . وعلى ذلك قال بولس الرسول : « لوكان لى الإيمان كله ، حتى أنقل الجبال ولم تكن فى المحبة فلست بشىء » (١ كور ١٣ : ٢) والرسول يعقوب يقول : « الإيمان إن كان بغير أعمال — صالحة ، مجرداً عن المحبة — فهو ميت فى ذاته » (يع ٢ : ١٧)

إن الشياطين أيضاً ، بشهادة القديس يعقوب سالف الذكر ، يؤمنون ،

بل وإن معرفتهم لحقائق الإيمان تفوق بمراحل كل معارفنا . ومع ذلك فهم فى جهنم يقاسون أفدح العذابات . والسبب فى ذلك لأن إيمانهم ميت . لم تحيه المحبة، وقد تجرد عن كل صلاح .

من هنا يتضح أن الإيمان الذى يبرر الإنسان ويفيده للحياة الأبدية هو الإيمان الذى يحيا ويعمل بالمحبة (فى حال النعمة) أعمال البر والقداسة ، أو بعبارة أخرى هو الإيمان المقرون بالأعمال الصالحة .

على أن عدم الإيمان ومعصية ابن الله ، لايحرمان الإنسان من دخول الحياة والتمتع بمشاهدة الله الطوباوية فحسب ، بل ويجلبان عليه دماراً وهلاكا أبديين .

فيخسر المنافق ، الذى لم يؤمن ، وكذا الذى آمن ولم يعمل بمقتضى إيمانه ، السعادة الأبدية التى خلق من أجلها ، مدخراً لنفسه عذاب نار أبدية ، أضرمها غضب الله المنتقم من أعدائه : « ومن لايطيع الابن فلا يعاين الحياة ، ولكن غضب الله مستقر عليه » (يو ٣ : ٣٦)

مايغفر ومالا يغفر من الخطايا

(متى ١٢ : ٣٠ — ٣٢)

« من ليس معى فهو على ، ومن لايجمع معى فهو يفرق . من أجل هذا أقول لكم إن كل خطيئة وتجديف يغفر للناس . وأما التجديف على الروح فلا يغفر . ومن قال كلمة على ابن البشر يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لافى هذا الدهر ولافى الآتى » (مت ١٢ : ٣٠ — ٣٢)

إذا قامت حرب بين مملكتين أو هيئتين رأينا الناس انقسموا لساعتهم إلى حزبين : حزب مؤيد ، وحزب معارض . يريد كل منهما النصر للحليف الذى إتخذه ، وقلما نجد عاقلا يلازم الحياد .

غير أنه توجد حرب من نوع آخر ، لابد للجميع من خوض غمارها ، من غير أن يجوز لأحد ، ولاللعقلاء أهل الفطنة والحذر ، أن يلازموا فيها الحياد .

هذه الحرب هى تلك الكائنة بين مملكة الخير ومملكة الشر ، والقائمة على قدم وساق بين مملكة المسيح ومملكة إبليس .

أما كيف لايجوز لأحد على الإطلاق أن يلازم الحياد فى هذه الحرب ، فهو مايظهر لنا من قول المسيح : « من ليس معى فهو على » . إذن فمن لايحارب مع المسيح فهو يحارب ضده . ومن لايتبعه فهو يتبع الشيطان عدوهُ . إذن إن معنى الآية الجلى هو أن المسيح يعتبر من الخوارج ، بل ومن أعدائه ، كل الذين لاينضوون طائعين مختارين تحت لوائه .

ولا يكفى للانضواء تحت لواء المسيح أن تؤمن به وبتعاليمه الالهية ، بل ويجب أن تحفظ كل وصاياهُ ، وتقتفى آثارهُ المقدسة ، وهو القائد المظفر ، الذى يقود تابعيه وجنوده إلى نصر أكيد ، وجمع غنائم عظيمة غير قابلة للفساد .

لأن من يجمع مع المسيح — الشبه مأخوذ عن عملية الحصاد — فلا يمكن أن يجمع إلا ثماراً يانعة شهية ، هى من الكثرة ، بحيث لايمكن أن تنفد إلى الأبد .

هذا بخلاف الذى لايريد أن يجمع مع يسوع ، فانه من المحال أن يجمع شيئاً صالحاً للحياة الأبدية ، بل ومثل هذا الإنسان يعدُّ مبدداً ومبذراً لعطايا الله ومواهبه السنية : « ومن لايجمع معى فهو يفرق »

وبما أنه لا طريق ولا حق ولا حياة من غير يسوع . فقد قال لاسمه السجود : « أنا هو الطريق والحق والحياة » . ينتج أن من لايتبع يسوع فقد حاد عن الحق ، والطريق المستقيم ، المؤدى إلى الحياة ، وكان مصيرهُ الهلاك ، وبئس المصير .

غير أنه مادام الإنسان على هذه الأرض حياً يرزق ، فباب الخلاص مفتوح أمامه ، وإن حارب فيما مضى فى صفاف الهالكين ضد المسيح وكنيسته . يؤيد ذلك قول يسوع : إن كل خطيئة وتجديف يغفر للناس ، ما عدا التجديف على الروح القدس ، الذى لايغفر لافى هذا الدهر ولا فى الآتى .

والآن ما هو التجديف على الروح القدس، هذه الخطيئة الثقيلة للغاية، التى لايمكن أن تغفر، لافى هذه الدنيا ولافى الآخرة ؟

هى على أنواع كثيرة أهمها : إنكار حقائق الإيمان كلها أو بعضها، لغرض مافى النفس. وذلك رغم وضوحها، أو بالحرى رغم اقتناعنا أنها من الله. وعلى ذلك كان الفريسيون مجدفين على الروح القدس روح الحق. فقد أنكروا لأغراض دنيوية بحتة، يسوع ورسالته رغم ما رأوا من تحقيق نبوات الأنبياء فيه.

كذلك يعدّ مجدفاً على الروح القدس، غير المؤمن، والهرطوقى، والمنشق الذى خوفاً من القيل والقال أو اضطهاد الأشرار أو أن يفقد منصباً ... يغمض عينيه عمداً للحق.

ويجدف على الروح القدس، الخاطىء، الذى يصرّ على البقاء فى خطاياه، ولايريد أن يتوب بحجة أن الله رحيم..! فإن مثل هذا التصرف الأخرق يغلق فى وجه الروح القدس كل باب، كان فى الإمكان أن يدخل منه إلى قلبه لتبريره.

وكذا يعتبر مجدفاً على الروح القدس، الخاطىء القانط، الذى يقول مع قاين ويهوذا إن خطيئتى أعظم من أن تغفر.

وذلك لا لأنه يهين الله إهانة كبيرة فحسب، بانكاره صفة الرحمة فيه تعالى، وهى من أخص صفاته، بل ولأنه بيأسه وقنوطه الجنونى يسدّ هو كذلك، كزميله الطامع فى المراحم الإلهية بغير تعقل، كل باب على الروح القدس ليلج قلبه بنعمته.

وخلاصة القول إن جميع الخطايا هى قابلة للغفران، ماعدا الخطايا التالية، وهى : قطع الرجاء من الخلاص؛ وتوقع الخلاص بغير استحقاق الأعمال الصالحة؛ والعناد فى حقائق الإيمان الواضحة؛ المداومة على الخطايا؛ وتأجيل التوبة إلى ساعة الموت.

الفداء عمل محبة

(يو ٣ : ١٦)

بلا مراء ، إن الله وهو العظيم فى المجد والجلال ، لم يلحقه أى ضرر من جراء معصية آدم . إنما الضرر كل الضرر ، كان ضرر آدم وذريته . غير أن هذه المعصية ، وإن كانت ويلة على آدم وحدهُ وذريته ، لم تخلُ من كبير إهانة لله جلَّ جلاله .

وكان فى طاقته تعالى أن ينتقم لذاته من تلك الإهانة ، بإعمال عدله الرهيب فى آدم ، ومقاصته القصاص الخليق بذنبه الكبير هذا .

إلا أنهُ رحمه لأنه تراب ، ووعده منذ تلك السقطة الأولى بمخلص سوف يردُّ الأمور إلى نصابها ، بل ويكون عهدهُ أوفر رحمة ونعمة لبنى آدم .

والآن ماهى طبيعة هذا المخلص الموعود ؟ إنه لايمكن أن يكون مجرد إنسان ، لأن طبيعة هذا الأخير المجروحة وقواهُ الضعيفة ، بسبب الخطيئة ، تحول دونه وتحقيق مهمة الفداء ، غاية المخلص الأولية .

بل والملاك أيضاً ، وإن فى مرتبة أعلى من الإنسان ، فقد كلل بمجد وكرامة أعظم ، ولم يتلوث بالخطيئة قط ، لايستطيع مع ذلك أن يقوم بهذه المهمة ، ومصالحة البشرية مع خالقها .

ذلك أن الإهانة التى أهان بها البشر الله ذا الجلال غير المتناهى ، هى على نوع ما ، غير متناهية . وبالتالى لايقوى على تعويضها إلا شخص ذو كرامة غير متناهية .

إن هذا الشخص ذا الكرامة غير المتناهية هو سيدنا يسوع المسيح ، ابن الله المتجسد ، الذى جمع فى أقنومه الإلهى الواحد الطبيعتين الإلهية والبشرية .

ومن الواضح أن الفداء ، وإن نسب للابن ، لأن الابن وحده الذى تجسد وصار إنساناً ، دون الآب والروح القدس ، فهو مع ذلك عمل الآب والابن والروح القدس على حدّ سواء .

وما من شك ، فى أن الطريق الذى إختاره الله لعمل فدائنا هو الطريق الأكمل الذى يظهر عظمة حبه تعالى لنا .

وقد أبدى لنا الآب حبه السامى هذا بتضحية ابنه ووحيده من أجلنا ، ففى سبيل خلاصنا سلمه إلى الموت وموت الصليب « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦)

والقديس بولس يعلن لنا : أن الله وهو الغنى بالرحمة ، من أجل كثرة محبته التى أحبنا بها ، حين كنا أمواتاً بالزلات أحيانا بالمسيح يسوع وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات (أف ٢ : ٤ — ٦)

أما الابن فانهُ أحبنا بحب بطولى لامثيل له : فى سبيل خلاصنا ، ولد فقيراً وعاش ومات فقيراً ، ثم تواضع وتألم ومات معلقاً على الصليب ، مضحياً هكذا بكل رخيص وغال بل وبحياته ذاتها !

وهذه التضحية الأخيرة هى ولاشك ، أكبر شاهد على حبه السامى لنا . إذ « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يبذل نفسه عن أحبائه » (يو ١٥ : ١٣)

والأعجب من ذلك هو إنه كان فى طاقته أن يخلصنا دون هذه التضحية الأخيرة إذ إن نقطة دم واحدة ، بل ودمعة واحدة يسكبها يسوع ، كانت تكفى لإيفاء العدل الإلهى كل حقوقه بنوع فائض ، لا عن عالمنا فقط ، بل عن ألف عالم أكبر إثماً من عالمنا هذا أيضاً .

ولا مغالاة فى ذلك ، لأن كل أعمال يسوع حتى الصغيرة منها ، من حيث إنها أعمال إله وإنسان معاً ، فهى ذات قيمة واستحقاق غير متناهيين .

ويظهر يسوع حبه السامى لنا فى سر القربان الأقدس ، حيث يهبنا كل ذاته : جسده ودمه ونفسه وكل لاهوته ، وذلك لنحيا بحياته القدوسة ونصبح معه شيئاً واحداً ، كما هو والآب واحد .

وهو الذى بعد صعوده إلى السماوات ، لم يشأ أن يتركنا يتامى ، فأرسل لنا روحه القدوس البار قليط المعزى ، روح الحق ، ليعضد ضعفنا ويقوى أرواحنا ، ويرشدنا إلى معرفة الحق جميعه .

وجاء الروح القدس فأفاض علينا مواهبه ، وسكب فى نفوسنا نعمته ، ووهبنا شعلة الحب المقدس : « لأن محبة الله قد أفيضت فى قلوبنا بالروح القدس الذى أعطى لنا » (رو ٥ : ٥) ، وهو الذى بإلهاماته وأنواره العلوية يرشدنا إلى طريق البر والقداسة ، ويتمم فينا عمل المسيح المخلص .

* * *

لنبادلن إذن حب الله العظيم نحونا بحب مماثل ، ولنذكرن كلمة الرسول القائل : « أما الذى يقترن (بالمحبة) بالرب فيكون معه روحاً واحداً ... أما تعلمون أن أجسادكم هى هيكل الروح القدس الذى فيكم ، الذى نلتموه من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم . لأنكم قد أشتريتم بثمن كريم . فمجدوا الله واحملوهُ فى أجسادكم » (١ كور ٦ : ١٧ - ٢٠)

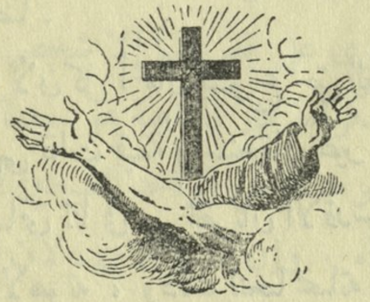

فهـــرس

		الصفحة
مقدمة		١
الأحدالأول من توت	عظمة المسيحى ورسالته	٣
« الثاني « «	محبة الله والقريب	٧
« الثالث « «	زكا العشار	١١
« الرابع « «	مريم المجدلية	١٦
الأحد الأول من بابه	شفاء مخلع كفرناحوم	٢٢
« الثاني « «	السعى الباطل	٢٦
« الثالث « «	بعل زبوب	٢٩
« الرابع « «	إقامة ابن أرملة نائين	٣٣
الأحدالأول من هاتور	مثل الزرع	٣٧
« الثاني « «	مثل الزرع	٤١
« الثالث « «	فى محبة يسوع وحمل الصليب	٤٤
« الرابع « «	الشاب الغنى	٤٧
الأحدالأول من كيهك	عظمة يوحنا المعمدان	٥١
« الثاني « «	بشارة الملاك لمريم	٥٤
« الثالث « «	زيارة مريم لنسيبتها أليصابات	٥٨
« الرابع « «	تسبحة زكريا	٦١
الأحد الأول من طوبه	الهرب إلى مصر	٦٥
« الثاني « «	عظمة أم المخلص وآية يونان النبى	٦٨
« الثالث « «	فضل معمودية المسيح على معمودية يوحنا	٧٣
« الرابع « «	شفاء المولود أعمى	٧٧
الأحد الأول من أمشير	الطعام الباقى للحياة الأبدية	٨١

		الصفحة
الأحد الثاني من أمشير	أعجوبة تكثير الخبز والسمك	٨٥
« الثالث « «	الخبز الواهب الحياة للعالم	٩٠

أناجيل الصوم الكبير

رفاع الصوم الكبير	فى الصدقة والصلاة والصوم	٩٤
الأحد الأول من الصوم	الاهتمام المفرط بتحصيل الرزق	٩٩
« الثاني « «	تجارب السيد المسيح	١٠٢
« الثالث « «	مثل الابن الشاطر	١١١
« الرابع « «	السامرية	١١٥
« الخامس « «	شفاء مخلع بركة بيت حسدا	١٢٠
« السادس « «	حكمة التجارب والمحن	١٢٥
أحد الشعانين	دخول المسيح أورشليم باحتفال عظيم	١٢٩
« القيامة	لقد قام الرب فى الحقيقة	١٣٣

أناجيل الخمسين

الأحد الأول من الخمسين	ظهور يسوع لتلاميذه ورسم سر التوبة	١٣٦
« الثاني « «	عاقبة إنكار لاهوت السيد المسيح	١٣٩
« الثالث « «	مثل المدعوين إلى عرس ابن الملك	١٤٣
« الرابع « «	خبز الحياة	١٤٧
« الخامس « «	تعزية يسوع لتلاميذه	١٥٠
خميس الصعود والأحد السادس من الخمسين	صعود سيدنا يسوع المسيح إلى السماء	١٥٣
أحد العنصرة	البارقليط المعزى	١٥٧

الأحد الأول من بؤونة	الثقة والثبات فى الصلاة	١٦١
« الثاني « «	سلطان الحل من الخطايا	١٦٦

		الصفحة
الأحد الثالث من بؤونة	شفاء المجنون الأعمى والأخرس	١٦٩
« الرابع « «	من موعظة المسيح على الجبل	١٧٣
الأحد الأول من أبيب	الإثنان والسبعون تلميذاً	١٧٧
« الثاني « «	فى التواضع وتشكيك القريب	١٨١
« الثالث « «	أعجوبة تكثير الخبز	١٨٥
« الرابع « «	إقامة لعازر من الموت	١٨٨
الأحد الأول من مسرى	مثل الكرامين الخونة	١٩٤
« الثاني « «	دعوة القديس متى	١٩٩
« الثالث « «	مثل القوى والأقوى	٢٠٣
« الرابع « «	نبوة يسوع عن خراب أورشليم	٢٠٨
الأحد من شهر النسئ	نبوة يسوع عن انقضاء العالم	٢١٣
الأحد الخامس من الستة الأشهر الأولى	مثلا البرج والملك المحارب	٢١٧
« « « « الأخيرة	أعجوبة تكثير الخبز	٢٢٠

أناجيل الأعياد

عيد النيروز (رأس السنة القبطية)	يسوع يكرز بسنة الرب المقبولة	٢٢٣
« الحبل بالعذراء بلا دنس	عصمة مريم من وصمة الخطيئة الأصلية	٢٢٧
« ميلاد سيدنا يسوع المسيح	تسبحة الملائكة	٢٣٥
« الختان	اسم يسوع	٢٣٩
« الغطاس (الظهور الإلهى)	عماد سيدنا يسوع المسيح	٢٤٢
« دخول المسيح الهيكل	تطهير السيدة العذراء	٢٤٨
« الفصح المجيد	لقد قام المسيح وهو باكورة الراقدين	٢٥١
« العنصرة المجيد	حلول الروح القدس على التلاميذ	٢٥٤
« قلب يسوع الأقدس	فى عبادة قلب يسوع	٢٥٧

عيد الرسل	نصر الإنجيل على الوثنية	٢٦٦
« التجلى	تجلى السيد المسيح على جبل طابور	٢٦٩
« الانتقال	انتقال مريم العذراء إلى السماء بالنفس والجسد	٢٧٢
« يسوع الملك	الملك الأعظم ملك الملوك ورب الأرباب	٢٧٨
« جميع القديسين	تطويبات السيد المسيح	٢٨٤

ملحــــق

يسوع والتواضع ٢٩٨
الدعوة إلى الوليمة ٣٠٠
الايمان الواهب الحياة الأبدية ٣٠٣
ما يغفر وما لا يغفر من الخطايا ٣٠٥
الفداء عمل محبة ٣٠٨

SEMINARIUM FRANCISCALE ORIENTALE
GHIZAE AEGYPTI

P. Aloysius Barsum O. F. M.

HOMELIAE
IN EVANGELIA DOMINICALIA ET FESTIVA
YUXTA ALEXANDRINAE ECCLESIAE RITUM

Editiones Franciscales
Ghizae 1951

U.B. LIBRARY

DATE DUE

05 FEB 2000
Circulation. Dept. 4

A.U.B. LIBRARY

220:B282tA:c.1
برسوم ،لويس(الاب)
تفسير الاناجيل المقدسة التي تقرأ في اي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01003409

220
B282tA